الباب الأول

شبلی النعمانی: حیاته وآثاره

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

حيـــاته ومـؤلفـاتــه

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً: حياة(*) شبلى النعمانى

* ميلاد شبلى ونشأته: «أجداد شبلى وأسرته:

ولد شبلى فى قرية «بندول» وهى من أعمال مدينة «سكرى» القديمة التى ورد ذكرها فى كتاب «آئين اكبرى» وكانت موطنا للراجپوت، ولا يزال الراجپوتيون يعيشون فيها حتى الآن وتقع فى إقليم أعظم گرهـ وقد أسلم كثير من سكان «بندول» ومنهم أسرة شبلى التى كانت أصولها الأولى هندوسية من الراجپوت واعتنق جده الأعلى «شيوراج سنگ» الإسلام وسمى: سراج الدين وكان من كبار الإقطاعيين وأصحاب السطوة والنفوذ فى قرية «بندول» وفى القرى المجاورة، ثم تولى منصب جابى الضرائب واستمر هذا المنصب ردحًا من الزمن تتوارثه الأسرة.

وقد نال سهراب حفيد سراج الدين مكانة دينية رفيعة وبايعه الناس مرشدًا دينيا فكان أول من لقب بلقب «شيخ» حيث كان من عادة الراجپوت الذين أسلموا أن يطلقوا لقب «خان» على المرشد الدينى، بينما كان جدا شبلى منشى حسن على وأخوه منشى وارث على محصلين فى الإدارة المالية بأعظم گرهـ، أما جده لأمه الشيخ قربان قنبر الأنصارى فكان من أشهر المحامين فى أعظم گرهـ، فى بداية الحكم الإنجليزى وكان

(*) هناك مؤلفات عديدة تناولت حياة شبلى وأعماله منها على سبيل المثال لا الحصر: «سيرت شبلى» لإقبال سهيل، «تنقيد شعر العجم» لـ محمود خان شيرانى، «الميزان» فوق رضوى، «تذكره شبلى» امين زبيرى، «شبلى نامه» و«موج كوثر» محمد إكرام، «شبلى ايک دبستان «افتاب أحمد صديقى، «شبلى كامرتبه اردوادب مين» عبد اللطيف أعظمى، «مطالعة شبلى» شجاعت على سنديلوى، «اردوكابهترين انشاپرداز» سعيد الأنصارى. وعلى رأس هذه الكتب جميعًا يأتى كتاب «حيات شبلى» لتلميذه سيد سليمان الندوى إلى جانب عدد شبلى فى مجلات: اديب وصبا والبصير. وقد تناولت هذه الكتب حياة شبلى مدحًا وقدحًا وقد آثرت الاعتماد فيما كتبته عن حياة شبلى على كتاب «حيات شبلى» لسيد سليمان الندوى لسببين:-

الأول: إن هذا الكتاب الضخم حوالى ألف صفحة تقريبًا يحتوى على سيرة شبلى بطريقة موضوعية لأنه كان قريبًا من وقائعها وكان أقرب التلاميذ إلى نفس شبلى، حيث عهد إليه بتكميل كتابه «سيرت النبى» فقام بهذه المهمة خير قيام. والثانى: أن هذا الكتاب كان من الناحية الزمنية أقرب كتاب عن حياة شبلى والمرجع الرئيسى لما كتب عن حياة شبلى فى الأردية.

شاعراً قرض الشعر فى مناقب أهل البيت كما أن مولانا حميد الدين مؤلف كتاب «نظام القرآن» حفيد للشيخ قنبر الأنصارى[١].

وأبوه هو الشيخ حبيب الله تلقى تعليمه الأولىّ وتعلم اللغة الفارسية وأبدى فيها نبوغًا خاصًا فى تذوق الشعر الفارسى كما صرح شلبى بذلك فى كتابه «شعر العجم»[٢] وتعلم بدايات اللغة العربية ثم تقدم لامتحان القانون ونجح وأصبح محاميًا مشهوراً فى المحكمة العليا بإله آباد وكان له دور بارز فى حفظ الأمن فى منطقة «سكرى» عندما قامت ثورة ١٨٥٧م وشارك فى العديد من الأعمال العامة كبناء السدود والكبارى وكان الشيخ حبيب يملك مزارع كبيرة للنيلة كما أقام مصنعًا للسكر.

أما والدة شبلى بنت حاجى قربان قنبر الأنصارى فكانت سيدة فاضلة تتصف بالورع والتقوى وقد أكثر شبلى من ذكر محاسن والدته وذكر أنه تعلم منها صلاة قيام الليل وقد توفيت سنة ١٨٨٦م ورثاها شبلى فى القصيدة التى رثى بها مولانا محمد إسحاق، وفى عام ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨م شيد شبلى تخليداً لذكراها قاعة فى المدرسة القومية (نيشنل اسكول) التى تعرف اليوم باسم مدرسة شبلى العليا بأعظم كَرْهـ[٣].

*** إخوة شبلى:**

كان للشيخ حبيب الله أربعة أبناء وبنت وقد تزوجت ابنته ثم ماتت فى حياته، وكان شبلى أكبر ابنائه يليه مهدى حسن وكان ذكيا وعلى خلق ويكن له شبلى محبة خاصة، وسافر إلى إنجلترا لتلقى التعليم بها فى أبريل ١٨٨٥م، وألقى شبلى قصيدة رائعة فى وداعه، وحصل على شهادة الثانوية من إنجلترا ثم عاد إلى الهند سنة ١٨٩٢م وعمل موظفًا عدة سنوات ثم توفى فى ٢٩ يونيو ١٨٩٧م، والأخ الثانى لشبلى هو مولوى محمد إسحاق وكان من أنجح المحامين فى المحكمة العليا بإله آباد وكان يتمتع بخلق قويم وذكاء حاد وتوفى فى شبابه فى أغسطس ١٩١٤م، والأخ الثالث هو محمد جنيد النعمانى وهو أصغر أخوة شبلى وعمل بعض الوقت فى المحاماة فى أعظم كَرْهـ ثم فى المحكمة القضائية ثم رئيس قضاة كانپور[٤].

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٥٨-٦١ (ط٥. اعظم كَرْهـ. ١٩٨٥م).

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم: ٤/١٨.

(٣) سيد سليمان اندوى: المرجع السابق: ٦١-٦٥.

(٤) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٦-٦٨.

* طفولته وتعليمه الأولى:

ولد شبلى فى ذى القعدة ١٢٨٤ هـ/ مايو ١٨٥٧م إبان الثورة الهندية[١] ومن الصدف العجيبة أن يولد شبلى فى نفس اليوم الذى استولى فيه الثوار على جانب من سجن المديرية وأطلقوا سراح كثير من السجناء، وسمى الوالدان الطفل باسم «محمد شبلى» وهو اسم يتناسب مع الذوق الصوفى والعرفانى للشيخ حبيب الله الذى سمى الابن الأصغر «الجنيد»، وشبلى صوفى كبير اشتهر باسم الشيخ شبلى(*) البغدادى وتوفى فى ٣٣٤ هـ وهذا لقبه واسمه الحقيقى أبو بكر دلف بن مجدد وينتسب شبلى إلى موطنه شبليه فى تركستان وغلبت عليه هذه النسبة حتى حلت محل اسمه، وكان شبلى يكتب مؤلفاته الأولية باسم «محمد شبلى» ثم «شبلى» فقط وبعد ذلك أضاف إليه «النعمانى» وينخدع بعض الناس من هذه النسبة «نعمانى» ويظنون أنه من أولاد الإمام أبى حنيفة النعمانى بن ثابت أو ينتسب إلى أسرته إلا أن كليهما غير صحيح. ويرجع سبب هذا الظن إلى أن شبلى كان حنفيًا متعصبًا فى بداية أمره ويعد هذا اللقب فخرًا له فى حين أن طبعه يميل إلى التجديد فقيل له «نعمانى» بدلاً من «حنفى» ولم يختر شبلى هذه النسبة بنفسه بل لقبه بها أستاذه مولانا فاروق چرياكوتى وكان من غلاة الحنفية.

وقد تخلص شبلى فى شبابه بـ«تسنيم» فى الأردية وبـ«شبلى» و«نعمانى» فى الفارسية، يقول:-

به خوارىء كه زكَوئى تورفت نغمانى كَمان برم كه ازين بس دكَر نمى آيد[٢]

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٦، ودائرة المعارف الإسلامية: ١٣/ ١٦٨-١٧٠، ودائرة المعارف الأردية: ١١/ ٦٥٠-٦٥٢.

(*) أبو بكر الشبلى (٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٦م). هو دلف بن جحدر الشبلى كان فى مبدأ أمره واليا فى دنباوند من نواحى رستاق الرى وولى الحجابة للموفق العباسى وكان ابوه حاجب الحجاب ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح، وله شعر جيد سلك به مسالك المتصوفة، أصله من خراسان ونسبته إلى قرية «شبله» من قرى ما وراء النهر ومولده بسر من رأى ووفاته ببغداد، اشتهر بكنيته واختلف فى اسمه ونسبه فقيل دلف بن جعفر وقيل حجدر بن دلف. (الحافظ احمد بن عبد الله الإصفهانى: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية. بيروت - ١٩٨٨: ١٠/ ٣٦٦-٣٦٧ وابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/ ١٨٠.

(٢) بسبب المهانة التى جرت من شعرك يا نعمانى، فإنى لأظن ان هذا لن يعود ثانية.

ويتخلص باسمه كاملاً فى هذا البيت :-

هم زفيض شبلى نعمانى است اين كه درهر شيوه يكتابوده ام[1]

ويبدو من هذا البيت أن الوزن فقط هو سبب تبديل تخلصه.

وقد عاش شبلى طفولة مرفهة وهانئة وكان ذكيًا بالفطرة ويتمتع بذاكرة قوية وقد وهب الشيخ حبيب الله ابنه شبلى لتعلم الدين والعلوم الدينية فى سبيل الله لكنه ألحق أولاده الآخرين فى مدارس للتعليم الإنجليزى العالى، وطبقًا للتقاليد القديمة ألحق الشيخ حبيب الله شبلى فى المدارس الدينية فتعلم اللغة الفارسية والأردية والقرآن الكريم واللغة العربية وذلك فى قرية جيراجپور القريبة من قريته «بندول»، وكان حكيم عبد الله المتوفى ١٣٠٧ هـ/ ١٨٩٠ م أول أستاذ تلقى العلم على يديه وكان هو بدوره تلميذاً للمفتى محمد يوسف الفرنج محلى، وبعد ذلك قرأ شبلى على مولوى شكر الله المتوفى ١٣١٥هـ/١٩٨٧م وكان من سكان سبرهد فى أعظم كَرْهـ كما تتلمذ على المفتى محمد يوسف، وقد أثنى أساتذته عليه وظهر ذوقه الشعرى مبكراً وكان شبلى ينتهز فرصة فراغه ويتجول فى المكتبات ويختلف إلى بائعى الكتب فى المدينة يقضى أوقاته بينها يقلب صفحات الكتب ويقرأ الدواوين حتى حفظ أجمل الأشعار[2].

ثم قال الشيخ حبيب بالاشتراك مع وجهاء المدينة وأثريائها بإقامة «المدرسة العربية» بأعظم كَرْهـ وعُين فيها مولانا (سخاوت على جونپورى) وهو من خاصة تلاميذ فيض الله -مدرسًا أولا بها فقرأ عليه شبلى بعض الكتب العربية[3]، وقد تتلمذ شبلى فى هذه المرحلة على كثير من الأساتذة المشهورين فى عصره وهم: مولانا على عباس چرْياكوتى، ومولانا هداية الله جونپورى، ومولانا فاروق چرياكوتى (سيأتى الحديث عنهم بالتفصيل عند ذكر أساتذة شبلى).

*** سفره للدراسة فى لاهور ورامپور وديوبند عام ١٢٩١-١٢٩٢هـ:**

وعلى الرغم من أن شبلى قد أتم تعليمه على يد مولانا فاروق إلا أن ذوقه العلمى

---

(١) هذا الأمر أيضًا من فيض كرم شبلى النعمانى، فقد اصبحت متفرداً فى كل أسلوب.

(٢) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٦٩-٧١.

- جراهام بيلى: الأدب الإسلامى فى شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة حسين مجيب المصرى: ٣١٧.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧١.

وطموحه المستمر دفعاه إلى السفر إلى مختلف أنحاء الهند لتلقى المزيد من الأدب والفقه والحديث على أساتذة العصر وزاد شوقه إلى طلب العلم فتلقاه فى لكنا وعلى يد مولانا عبد الحى فرنگى (فرنج محلى) وفى «سهارنپور» على مولانا أحمد على المحدث، وفى (ديوبند) على مولانا محمد القاسم، وفى رامپور حضر مجالس العلماء فى شتى العلوم فى أيام نواب كلب على خان. وكان شبلى ملما بقدر كاف من العلوم التى تلقاها عن مولانا فاروق ولم يكن فى حاجة إلى مزيد منها، لذا اكتفى بشرف التلمذة على مولانا إرشاد حسين الرامپورى[1] فقط، وقد حضر شبلى حلقة دروسه ودرس عليه الفقه عاما كاملا، وظل يعترف باتساع نظره وإصابة فكره ونظرته الاجتهادية المتعمقة وكمال فهمه وإدراكه وقوة تفقهه.

ثم ذهب شبلى إلى (ديوبند) وظل بها قرابة شهر ولم يشترك فى التعليم المنظم بها لكنه تعلم هناك رسالة فى الفرائض واستعار عدة كتب من مكتبة (ديوبند) وكتب اسمه عليهاولا تزال هناك حتى الآن مكتوبًا عليها اسمه. وفى لاهور التقى بمولانا فيض الحسن السهارنپورى وكان يعمل أستاذًا للأدب فى الكلية الشرقية بجامعة البنجاب وأديبا لم تنجب أرض الهند مثله منذ قرون وقد تجشم شبلى مشاق السفر إليه للعب من فيض علمه فى الوقت الذى كان يستعد فيه لامتحان المحاماة ودون رغبة من والده ولم يكن معه ما يكفيه من نفقات السفر وعاش فى لاهور حياة جافة أقرب إلى الفقر وقد أرسل لوالده خطابا شرح له فيه حياته فى لاهور ويمكن لنا أن نعلم منه ما كان يتكبده من المشقة فى سبيل تحصيل العلم ومع ذلك كان راضيًا مطمئنًا.

وبدأ شبلى يتلقى دروسه فى الأدب على يد فيض الحسن فى أوقات فراغه وهى المسافة التى يقطعها من منزله إلى الكلية ذهابًا وإيابًا وعندما أخذ فيض الحسن إجازة لمدة شهرين ليقضيها فى بلده سهارنبور رافقه فيها شبلى وظهر لديه فى ذلك الوقت التذوق الكامل للشعر والأدب العربى وبدأ يحفظ ديوان الحماسة ودرس كتاب «جمهرة أشعار العرب» لأبى زيد محمد القرشى وهى مجموعة من قصائد شعراء الجاهلية وكان من عادة الناس فى ذلك الوقت أن يتجه الطلاب لدراسة علوم الحديث بعد أن ينتهوا من

---

(١) مولانا ارشاد حسين الرامپورى من أولاد مجدد الألف الثانى، تعلم فى لكناو علوم العقليات ثم تعلم باقي العلوم على ملانواب الأفغانى وكان من كبار عصره ومريدا لشاه أحمد سعيد المجددى الدهلوى وكان نابغا فى علوم الظاهر والباطن وتوفى فى ٨ جمادى الآخرة عام ١٣١١ هـ..(حافظ على أحمد شوقى: تذكره كاملان رامپور: ٣٠).

تعلم العلوم والفنون الأخرى لذا اتجه شبلى لدراسة الحديث واختار أشهر المحدثين ليتلقى عنه هذا العلم وكان مولانا أحمد على السهانپورى إمامًا لعلم الحديث فى عصره فقرأ الحديث عليه(١).

* تكميل شبلى دراسته ورغبته فى المناظرات:

لم يكن تأثير المنطق العملى الذى تلقاه شبلى عن مولانا فاروق قاصراً فقط على الخطب والتقارير بل كان يتناظر مع المدّعين طبقًا لقواعد الاستدلال المنطقى وكان اسمه مميزًا بين أقرانه عندما تثار أى قضية على بساط البحث، وبعد أن ترك شبلى سهارنپور اتجه أولاً إلى لكنا وحيث كان صديقه مولانا عبد الحى يقيم فى فرنج محل بمدينة لكناو وكان الطلبة هناك يجتمعون فى مسجد حيدر بخش وتبدأ المناظرات. وشارك شبلى كذلك فى مناظرات رامپور مع مولانا عبد الحق خير آبادى.

وكانت دروس مولانا أحمد على آخر الدروس التى تلقاها شبلى وكان فى ذلك الوقت يقرأ سنن الترمذى عندما عزم والده وبعض أفراد أسرته السفر إلى الحج وكان شبلى متشوقًا لهذا السفر ليتمكن من رؤية روضة الرسول وشاور شيخه فى أمر السفر فشجعه عليه وعزم شبلى على السفر فاتجه من سهانپور إلى بومباى وكان فى التاسعة عشرة من عمره وحصّل العلم فى أربعة عشر عامًا بدأه عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م وانتهى منه عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م(٢).

* سفر شبلى للحج ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦م:

وفى نفس السنة سافر شبلى من بومباى إلى الحجاز مع هذه القافلة المقدسة وقد دون هذا الحدث فى بيت شعر له فى القصيدة التى نظمها عام ١٨٩٢م بمناسبة سفره إلى القسطنطينية يقول:-

فارغ ازحج وزيارت جومراكردخداى خواستم تابسوى روم شوم راه سپر(٣)

وقد واصل شبلى اطلاعه وتعلمه فى هذا السفر المقدس فقد قال بعد أن نهل من

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٨-٨٥. ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٦. - دائرة المعارف الإسلامية: ١٣/ ١٦٨.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٧-٩٠ ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٦-٤٦٧.

(٣) بعد أن أخلانى الله من الحج والزيارة، أردت التوجه نحو بلاد الروم (تركيا).

العلم الموجود فى مكتبات المدينة المنورة:- «لم أر من قبل كنوز علم الحديث التى اطلعت عليها هنا» وعندما ذكر أمامه كتاب «التمهيد» لابن عبد البر وهو فى شرح موطأ الإمام مالك «لقد رأيت نسخة خطية له فى المدينة المنورة» وقد رأى شبلى فى هذه الرحلة حكايات عجيبة ومثيرة عن الصوفية وتأثراً عظيماً بكرم العرب وبساطتهم وغيرتهم وأخلاقهم القويمة(١).

* أول عمل قومى لشبلى ١٨٧٧م:

فى الوقت الذى أتم فيه شبلى تعليمه ظهر فى العالم الإسلامى حركة كبرى هى «الجامعة الإسلامية وكان السيد جمال الدين الأفغانى أول الداعين لها وكان آنذاك يقيم فى القسطنطينية وذلك فى عهد السلطان عبد الحميد وقد استفاد السلطان التركى من هذه الحركة ،أصبح له مكانا سامية فى جميع بلدان العالم الإسلامى، وفى تلك الأثناء نشبت الحرب بين الأتراك والروس عام ١٨٧٧م فاشتعلت نيران الحماس فى أنحاء البلاد وبدأوا يدعون للسلطان بالنصر ويجمعون التبرعات من الناس للجرحى وكتبت المقالات القوية وألقيت الخطب الحماسية، وكان شبلى فى ريعان شبابه فذكر هذه الجذوة وقام بجمع التبرعات فى اعظم كَرْهـ وأرسلها إلى تركيا عن طريق سفيرها فى بومباى حسين حبيب أفندى(٢).

* أعماله العلمية والأدبية من عام ١٨٧٨ حتى ١٨٨٢م:

ظل شبلى فى أعظم كَرْهـ حتى عام ١٨٨٢م وكان أحيانا يتقدم لامتحان المحاماة وأحيانا يعمل فى إحدى الوظائف ويعمل أحيانا أخرى فى تجارة النيلة، وبالرغم من عدم استقراره إلا أن أعماله الأدبية والعلمية والقومية ظلت كالمعتاد لم تتأثر حيث كتب فى هذه الفترة قصائد ورسائل واحتفظ بها كما كانت له محاولات بدائية فى الغزل الفارسى وأصبح الشعر همه الأول حيث كان كبار العلماء فى عصره ينظمون الشعر مثل: مفتى صدر الدين آزرده وكان شاعراً فى الفارسية والأردية وصديقا لأسد الله خان غالب وهو صاحب تذكرة آزرده، وكان مولانا فيض الحسن يقرض الشعر الأردى علاوة على الشعر العربى، بينما كان مولانا فاروق عالما بالموسيقى وشاعراً. وعلى كل حال نظم شبلى فى تلك الفترة عموما قصائد وغزليات فارسية وصار له شهره واسعة فى الشعر الأردى آنذاك

---

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٩١-٩٢.

(٢) المرجع السابق: ٩٣-٩٦.

وكان يشترك فى الندوات الشعرية التى كانت تقام فى أعظم كَرْهـ ولاقت غزلياته قبولاً واستحسانًا.

وفى ٥ صفر عام ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢م كتب ملحمة باسم «كابل وقندر» وهى فى وصف حرب كابل وقد شارك فيها أحد الإنجليز وكتب أبياتا بالإنجليزية فى وصفها فطلب منه والده أن ينقل هذه الأبيات إلى الأردية فكان يسمع الترجمة النثرية ويقرض عليها الشعر بالأردية ويقول مطلع القصيدة:-

- لو سنوتيغ وسنان كى داستان رايت وطبل ونشان كى داستان[١]

وفى تلك الفترة قام شبلى بالرد على مولانا سلامت الله الذى دعا إلى ترك التقليد والجهر خلف الإمام بكلمة «آمين» وقراءة الفاتحة خلف الإمام وغيرها من المسائل وكتب كلاهما الرسائل فى ذلك وكان شبلى حاداً فى الرد عليه. ويتضح من أسلوب هذه الرسائل مدى قوة أسلوبه فى الكتابة الأردية قبل أن يلتقى بالسير سيد أحمد خان، حيث كان لديه القدرة على حل المسائل الفكرية والأسلوبية إلى حد ما كما يبدو كذلك كيفية تعامله مع الفرق والاتجاهات المختلفة فى هذا الوقت الحساس، وكان شبلى كسائر العلماء الأحناف يعتقد أن قراءة الفاتحة خلف الإمام ليست واجبة بل مكروهة وبناء على هذا كتب رسالة مختصرة باللغة العربية هى «إسكات المعتدى على إنصات المقتدى» وتقع فى أربع وعشرين صفحة وطبعت ١٢٩٨ هـ فى مطبعة نظامى كانپور وتداولها الناس[٢]. وعندما سافر إلى البلاد الإسلامية ووصل إلى مصر والشام وتركيا عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م احترمه بعض العلماء وقدروه على هذه الرسالة وقد ذكر شبلى هذه الواقعة فى «سفر نامه»[٣].

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٩٧-٩٩. (استمعوا إلى قصة السيف والرمح، وقصة الراية والطبل والبيرق).

يقول سيد سليمان الندوى «لم أعرف له من بين تلك الرسائل غير واحدة هى «ظل الغمام فى مسألة القراءة خلف الإمام» وهى بالأردية وتقع فى أربعين صفحة وطبعت عام ١٢٩٢ هـ فى مطبعة نظامى المشهور فى كانپور وهى رد على إحدى رسائل مولانا سلامت الله وأثبت ادعاءه بالحديث والقرآن فى موضوع ترك القراءة أولاً ثم أشار إلى الأحاديث المعارضة وأظهر خطاه بالأدلة القاطعة: حيات شبلى: ١٠٢).

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى ١٠٠-١٠٤ ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٧.

(٣) شبلى النعمانى: سفر نامه: ٣٣.

وفى سنة ١٨٧٧م أصدر «منشى سجاد حسين» الصحيفة الساخرة «اودهـ بنج» وكان كبار الشعراء والكتاب يكتبون فى هذه الصحيفة آنذاك وكانت هذه الصحيفة من الناحية السياسية تدافع عن حزب المؤتمر وكان يكتب فيها الموضوعات الساخرة جداً والمعارضة للسيد أحمد خان، وكان شبلى يقرأ هذه الجريدة بشغف وكانت معرفة شبلى «لمير أكبر حسين أكبر إله آبادى»(*) قبل ذهابه إلى على كَرْهـ عن طريق هذه الصحيفة ونشرت لشبلى فيها بعض الغزليات.

وفى ذلك الوقت أصدر منشى نثار حسين فى لكناو مجلة شهرية قيمة للغزل الأردى باسم «گلدسته بيام يار» أى باقة رسائل الحبيب» وكان شبلى يقرؤها وقامت بين شبلى ونثار حسين روابط وثيقة كان من ثمارها اهتمام نثار حسين بطبع مثنوى «صبح اميد» أى «صبح الأمل و» مسلمانون كى گذشته تعليم» أى «تعليم المسلمين فى الماضى» وذلك لأول مرة(١).

* اهتمام شبلى باللغة العربية:

على عادة أهل زمان شبلى اهتم بتعليم اللغة العربية وقد أتقنها شبلى وكتب بها عدة رسائل دينية كما مر بنا وألف كتابين بها هما «الجزية» و«الانتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان»، وقد عثر له على رسالة باللغة العربية بخط يد ٥ وأوراق أخرى كانت عند شبلى باسم «ديوان الصبابة» لابن أبى حجلة التلمسانى الحنفى المتوفى ٧٧٦ هـ والذى جمع فيه مجموعة من أشعار الغزل العربية الرائعة وقد كتب شبلى فى بداية هذه الرسالة «هذا» ديوان الصبابة» يصل إليكم، أما إنى فلا يمكننى الحضور لديكم لا لأنى اشتغلت بأمور غير طائلة وقعدت همتى وصرفت عنان العناية إلى الدنيا وبرأت من تحصيل كمال العلم والأدب ذمتى فإنى بحمد الله خلقت وكسب الفضل سيط فى دمى، فهو لا يفارقنى إن شاء الله فى حالتى وجودى وعدمى بل لأنى لملازمتى لهذه العهدة

(*) أكبر إله آبادى: واسمه سيد أكبر حسين رضوى ولد فى ١٦ نوفمبر ١٨٤٦م فى أسرة فقيرة وتلقى تعليمه الأولى فى المدارس الحكومية وفى عام ١٨٦٦م عمل فى وظيفة نائب محصل وتدرج فى عدة وظائف حتى عين قاضيا عام ١٨٨٨م وفى عام ١٨٩٤م نال من الحكومة لقب «خان بهادر» وتوفى فى سبتمبر ١٩٢١م. وكان شاعرا عظيماً عرف بلون خاص هو الشعر الساخر. (رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٣٧٧).
وكان سيد أكبر من أشد المعارضين للسير سيد أحمد خان وله أشعار ساخرة نشرها فى جريدة «اودهـ پنج». (محمد اكرام: موج كوثر: ٢١٣-٢٢٠).

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ١٠٧-١٠٩.

الرذيلة أدوم أتفكر فى حالتى فيزيد همى ويزداد ملالتى وبيدكم الإنصاف وما هذا إلا الجور والاعتساف فصبر جميل وهو حسبى ونعم الوكيل (ش. نعمانى)[1].

وقد كتبها شبلى فى الغالب بين عامى ١٨٨١م و ١٨٨٢، لأن شبلى كان يوقع آنذاك بـ(ش. نعمانى) ونلاحظ عليه عدة أمور أولها أن لغته كانت فى ذلك الوقت بسيطة وصافية وخالية من تأثير الأسلوب الهندى وتكلف المتأخرين وثانيها أنه كان لديه الرغبة فى قراءة الكتب النادرة.

* دراسة شبلى للمحاماة العمل بها فى أعظم كَرْهـ ١٨٧٩-١٨٨١م:

بعد أن أتم شبلى تعليمه أراد أبوه أن يتجه إلى مهنة يكسب منها عيشه وكانت المحاماة فى نظره حرفة محترمة حيث كان أبوه وخاله من كبار المحامين فى أعظم كَرْهـ وكان من الطبيعى أن يقترح عليه والده أن يعمل فى المحاماة لكن شبلى لم يكن يميل إلى هذا العمل ورغم ذلك اضطر إلى المثول لأمر أبيه مرغما وبدأ فى مطالعة كتب القانون وعندما حان وقت الامتحان لم يكن مستعداً استعداداً كافياً إلا أن أباه صمم على دفع الرسوم القضائية وحينئذ فكر أخوه مهدى حسن أن يدخل الامتحان تشجيعاً له وأرسل الرسوم كذلك وذهب كلاهما للامتحان وكانت المفاجأة هى نجاح أخيه مهدى حسن على الرغم من عدم استعداده للامتحان ورسوب شبلى الذى أصيب بصدمة عنيفة وقرر أن يجتاز امتحان المحاماة واستعد له جيداً بقراءة كتب القانون وحفظ جزئيات المواد القانونية ورتبها ووضع ملاحظاته عليها وفى العام التالى نجح فى الامتحان ١٨٨٠م. وأصر والده على أن يستعد للعمل بالمحاماة إلا أنه واجه صعوبات عديدة فى كل خطوة من العمل لصدقه وايمانه فكان يقضى اليوم فى صراع مع نفسه، لكن بعد ذهابه إلى «على كَرْهـ» ارسل إلى عمه خطابا يعرب له فيه عن عدم رضاه بوظيفته الصغيرة الحالية ويفكر فى الرجوع للمحاماة ثم بدأ العمل بالمحاماة فى أعظم كَرْهـ ١٨٨١م وعزم على ألا يخرج من لسانه أو قلمه حرفا يخالف الصدق والحق إلا أنه لم يستطع التعايش مع مبادىء المحاماة فى المركز فأوضح لأبيه هذه الحقيقة وهى أن ورعه وتقواه لا يتماشيان مع مهنة المحاماة فأسند إليه مهمة مراقبة أعماله فى مصانع النيلة وأدى شبلى هذه المهمة بنجاح[2].

---

(١) المرجع السابق: ١٩٠-١١٠. (ديوان الصبابة لشهاب الدين بن العباس أحمد بن يحيى بن أبى بكر الشهير بابن حجلة المغربى).

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١١١-١١٦.

* سفر شبلى إلى على كَرْهـ ولقاؤه بالسير سيد أحمد خان:

كانت حركة على كَرْهـ من أوسع الحركات الاجتماعية والثقافية فى ذلك العصر وكانت هذه الحركة تدعو إلى تزويد المسلمين بالعلم الحديث وقد تاثر المسلمون فى المراكز الشرقية للهند تاثرًا واضحًا بهذه الحركة وان الشيخ حبيب الله والد شبلى كان من أشد المؤيدين لها ونتيجة لذلك ألحق ابنه مهدى حسن فى التعليم الإنجليزى فى أبريل ١٨٧٦م وأرسله ليتعلم فى مدرسة كلية على كَرْهـ وظل هناك حتى عام ١٨٨١م ونجح فى هذه السنة فى امتحان القبول وفى أكتوبر ١٨٨١ م ذهب الشيخ حبيب وشبلى إلى على كَرْهـ لزيارته(١) ونظم شبلى قصيدة باللغة العربية فى مدح السير سيد الذى أعجب بها عندما قرأها وأثنى على لغتها وأسلوبها ونشرها فى صحيفته «أخبار على كَرْهـ كَزت» بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٨٨١ م يقول مطلعها:-

- المجد يصحب علما حيثما يصل والعلم عن قومنا لا زال يرتحل

وسوف نذكر هذه القصيدة كاملة فيما بعد.

* عمل شبلى فى كلية على كَرْهـ ١٨٨٣م:

وبعد عام ونصف من هذا اللقاء كانت كلية على كَرْهـ فى حاجة إلى مدرس للغات الشرقية فأرسل إليه مولانا فيض الحسن والمح عليه فجاء إلى على كَرْهـ وكان حاكم المديرية هناك آنذاك النواب محمد كريم وهو من محمد آباد بأعظم كَرْهـ فأقام عنده وعن طريقه التقى شبلى بمولوى سمير الله خان فاختاره لتدريس اللغة العربية والفارسية فى الكلية وقربه من السير سيد وتم تعيين شبلى مدرسًا للغة العربية فى يناير ١٨٨٣م وبدأ عمله فى فبراير براتب قدره أربعون روبية شهريًا زادت إلى مائة روبية عندما صار أستاذًا للغة العربية فى الكلية. وكان له فى هذه الفترة أصدقاء عديدون منهم خواجة محمد يوسف وكيل الكلية وشاعر أردى تخلصه «قيس» وكان يلتقى بمولوى سمير الله خان من آن لآخر وكان صديقًا لأكبر إله آبادى ويعرض عليه أشعاره الفارسية لإبداء الرأى فيها(٢).

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٧.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٧ وسيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ١٢١-١٢٤ - أغا محمد باقر: تاريخ نظم ونثر اردو: ٢٠٤-٢٠٥ ومعين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كا حصه: ٢٩٧-٢٩٨.

* علاقة شبلى بالسير سيد أحمد خان :

توطدت العلاقة بين شبلى والسير سيد أحمد خان عندما أراد شبلى الاطلاع على مكتبة السير سيد أحمد خان وساعده فى ذلك فأفسح له مكانا مستقلاً فى داره، فكان شبلى يختلف إليه يوميًا ثم يعود إلى المدينة ولا ينقضى يوم دون عقد لقاءات بينهما حيث يتداولان المسائل العقلية والقومية والدينية المختلفة، وقام شبلى ذات مرة بشرح كتاب الإشارات لابن سينا للسير سيد . يقول « مولوى عبد الحليم(١) شرر » وهو صديق قديم لشبلى : « كنت أنزل فى ذلك الوقت ضيفا على شبلى فى على كَرْهـ وكان السير سيد قد خصص لشبلى حجرة صغيرة داخل سور داره ومنفصلة عنها، وكان مكانا هادئًا يركن السير سيد فيه إلى أمور البحث والتحقيق بانتظام وكان هو وشبلى يتناولان الطعام فيه ويظلان معا أوقاتًا طويلة فيبحثان معا بعمق وتمعن فى المسائل العقائدية والجدلية والتحقيق التاريخى ويطالعان كثيرًا من كتب الفقه والتاريخ والسير وكان كل منها يقدر الآخرَ وقد اعترف السير سيد بأنه لا يعزم أمرا دون مشورة شبلى، كما كان أول أشعار شبلى التى اشترك كلاهما فى نشرها اعترافًا بفضل السير سيد هو مثنوى « صبح اميد » أى صبح الأمل وصور فيه شبلى -بكلمات شاعرية مؤثرة، غفلة المسلمين وتخلفهم وحاول أن يوقظهم من غفلتهم وسباتهم العميق »(٢).

* أعمال شبلى الشعرية الأولى فى على كَرْهـ :

إلى جانب عمل شبلى بالتدريس فى كلية على كَرْهـ بدأ شبلى يهتم بقرض الشعر

---

(١) مولوى عبد الحليم شرر (١٢٧٦-١٢٤٢ هـ = ١٨٦٠ - ١٩٢٦).

مولوى عبد الحليم شرر، مؤرخ وأديب وكاتب مسرحى وصحفى وكاتب قصة مشهور، كان أول روائى يكتب الرواية التاريخية فى الأدب الاردى واستخدام لغة سهلة سلسه وطهر الرواية من الكلمات الفاحشة والسوقية والموضوعات التافهة. ولد فى لكناو فى أسرة كريمة كانت على صلة قوية بملوك اودهـ ورحل أبوه حكيم تفضل حسين إلى متيابرج بكلكتا وهناك بدأ يتلقى تعليمه على يد سيد على حيدر ومولوى مرزا محمد على فقرأ عليهم الفارسية والعربية كما تلقى علوم الحديث على يد المحدث الشهير مولوى محمد نذير حسين، ثم ظهرت موهبته الصحفية فكان يكتب الموضوعات ويرسلها إلى جريدة « اودهـ اخبار » ثم التقى بمنشى نول كشور الذى عينه ضمن هيئة تحرير الجريدة، وله مؤلفات عديدة منها « ابو بكر شبلى » و« جنيد البغدادى » فى السيرة، و« أيام عرب » و« بابك خرمى » روايات تاريخية، و« تاريخ هند » و« عصر قديم » فى التاريخ. وفى الشعر والمسرح « شهيد وفا » و« شب وصل » وغيرها. (رام بابو سكسينة : تاريخ ادب اردو : ٥٢٧ / ٣٥٣٧).

(٢) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ١٢٦-١٢٧.

ويكتب الرسائل الفارسية والأردية وينظم القصائد والغزليات الفارسية والأردية ويتجلى ذوقه الشعرى جيداً فى هذه الأشعار وإن كانت لا تحمل اتجاها خاصاً بها بل كان ينظمها لشعوره بالملل والوحدة كما ذكر فى خطاب له بتاريخ ١٨ يناير ١٨٨٤م وأرسل غزلتيين بالأردية لمحمد سميع وغزلية فارسية لمولوى حميد الدين كما أرسل قصيدة «عيديه» لتهنئة مولوى محمد سميع الله بالعيد ونشرت فى مجلة «كَزت» وهى موجودة فى الديوان، وفى تلك الأثناء غلبت عليه فكرة ترتيب ديوانه الفارسى وأرسل إلى أستاذه محمد فاروق يطلب منه مراجعة الشعر الفارسى قبل أن يطبعه.

وبزغت شهرة شبلى فى الشعر فى كلية على كَرْهـ ونظم فى أبريل ١٨٨٤م قصيدة بقافية «حيران وفراوان» ورديف «چه كنم» وهى غزلية يرد فيها على غزلية الشاعر على[١] حزين وأرسلها شبلى إلى شاعرين فارسيين مشهورين للحكم عليها وهما: خواجه عزيز الدين مؤلف «قيصر نامه» والثانى «نير الدهلوى» تلميذ غالب فسلم كلاهما بتفوق شبلى وأطرى مولانا ذكاء الله على هذه الغزلية فى تعقيبه على الطبعة الأولى من أشعاره الفارسية «مجموعة نظم فارسى» والتى نشرت فى «على كَرْهـ كَزت» فى ٨ سبتمبر ١٨٩٣م ونتيجة هذه الشهرة صار شعر شبلى مادة ضرورية فى برنامج جلسات كلية على كَرْهـ.

وكان لحركة على كَرْهـ تأثيرات مفيدة على شبلى أهمها الإحساس بفساد المسلمين فترك قصص الحب والغرام فى شعره واتجه إلى المفهوم الواسع للحب مثل حب الوطن والقومية والدين وبدأ يتساءل كيف كان المسلمون وكيف أصبحوا؟ فكان هذا الإحساس هو موضوع أشعاره القومية. وفى نفس العام ١٨٨٣ م نظم قصيدة يبشر فيها بمجىء العيد، ولكنه أضفى عليها مسحة حزينة استمطر فيها دموع المسلمين وظل هذا التأثير يتضاعف يوماً بعد يوم حتى سنة ١٨٨٥ فكتب مثنوى «صبح أميد» الذى شرح فيه القصة المؤلمة لتقدم المسلمين وتأخرهم وبشرهم فيه بطلوع صبح الأمل الجديد بنجاح حركة على كَرْهـ وطُبع مراراً ولاقى شهرة عريضة وحدث تغير شامل فى موضوع شعر

---

(١) الشيخ على حزين واحد من كبار الشعراء الإيرانيين المعروفين، قضى جزءاً كبيراً من حياته فى الهند ويعد من شعراء السبك الهندى، واسمه الشيخ جمال الدين عبد المعالى محمد على وتخلصه حزين وأبوه أبو طالب كان يقطن جيلان ويرجع نسب حزين إلى الشيخ زاهد الجيلانى. وقد ولد حزين فى ٢٧ ربيع ١١٠٣ هـ/ ١٦٩٢ م وتوفى فى عام ١١٨٠ هـ/ ١٧٦٦م. (ديوان حزين. نيشنل بيلشنگ هاوس لميتد. كراچى. ١٩٧١ م ص: ١-٧).

شبلى وتأثر جميع الناس بأشعاره التى ألقاها فى اتحاد الكلية والمؤتمر التعليمى وندوة العلماء[١].

* إحساس شبلى بأهمية التعليم الإنجليزى:

كانت الأفكار والآراء الجديدة ومؤثرات العصر الحديث والمزج بين القديم والجديد جزءاً من المناخ الذى عاش فيه شبلى آنذاك، وكان حتى ذلك الوقت يسمع عن مساوئ التعليم الجديد ومحاسنه عن بعد، ثم سنحت إذ ذاك الفرصة كاملة لينفذ فيه بصيرته فأيده بتحفظ وأحس بأهمية التعليم الإنجليزى للمسلمين، ولفت شبلى أنظار أصدقائه وأحبائه وساهم فى بناء مدرسة للتعليم الإنجليزى فى أعظم كَرهـ فى ٢٠ يونيه ١٨٨٣م وهى المدرسة القومية «نيشنل اسكول» وشاركه والده وأصدقاؤه فى بنائها وتوسعت تدريجيًا فأصبحت مدرسة متوسطة فى عام ١٨٨٧م ثم مدرسة عليا فى ١٨٩٥م، وبجهود شبلى تم افتتاح مدرسة للتعليم الإنجليزى فى ندوة العلماء. وقد حاول ادخال اللغة الإنجليزية فى المقررات الدراسية فى دار العلوم عام ١٨٩٩م ففشل ثم أصر على طلبه فى عام ١٩٠٣ م وتم الموافقة عليه عام ١٩٠٨ م وكان من رأيه أن الفقيه الذى يعرف اللغة الانجليزية يستطيع أن يخدم الإسلام أفضل عن طريق عرض قضاياه بوضوح على غير المسلمين[٢].

* الذوق التاريخى لدى شبلى وظهور موهبة التأليف عنده:

لم يكن الذوق التاريخى قد اكتمل لدى شبلى قبل ذهابه إلى على كَرهـ، لكن عندما وصل إلى كلية على كَرهـ بدأ تذوقه التاريخى يتشكل وينضج لديه ويبدو أن هذا التذوق كان كامنا فى طبيعته، فعندما كان فى لاهور قام بقراءة كتاب «سنوات الإسلام» للدكتور لائتنر G.W.LAITNER وكان عالمًا مشهوراً فى العربية والفارسية ومؤسس الكلية الشرقية بلاهور ومديراً لها وقد ألفه عام ١٨٧٦م باللغة الأردية للطلبة الذين يدرسون اللغة العربية وهو تاريخ سياسى وعلمى مختصر للعرب والمسلمين وكان هذا أول كتاب -غالبًا- يقرؤه شبلى فى التاريخ وسرُ كثيراً لمعرفة سيّر ملوك المسلمين وجهودهم العلمية، وعندما وصل شبلى إلى على كَرهـ وقع نظره على الكتب النادرة فى تاريخ العرب وجغرافيتهم فى مكتبة السير سيد ومن هنا بدأ عهداً جديداً فى مطالعة

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٢٨-١٣٠.

(٢) المرجع السابق: ١٣٣-١٣٥.

الإسلامى كما بدأت لديه فكرة كتابة سير ملوك الإسلام باسم «سلسلة مشاهير حكام الإسلام».

وكانت موهبة التأليف موجودة من قبل عند شبلى وقد طُبعت له فى بداية الأمر أول مؤلفاته باللغة العربية وهى إسكات المعتدى وبعض الرسائل فى الفقه الحنفى وبعض المناظرات الأخرى، لكن عندما وصل إلى على كَرّهـ تغير محور تأليفه واهتمامه يقول: «لقد تولدت الرغبة الأولى فى التأليف عندما اطلعت على الكتب التاريخية التى طبعت فى أوروبا وقد وجدتها فى مكان واحد ولم أرها من قبل «وكان هذا المكان هو مكتبة السير سيد فكان منهج الأوربيين فى ترتيب الأحداث واستنباط النتائج موجوداً أمام شبلى فى الترجمة الأردية لكتاب جبن GIBBON «تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية «كما اطلع على كتاب المستشرق الإنجليزى المعروف بامر PAMRE وحياة هارون الرشيد» وأشار إليهما مراراً فى كتابه «المامون»(١).

* وقوف شبلى على التحقيقات العلمية الأوروبية والمطبوعات المصرية:

كانت كلية على كَرّهـ أول مكان يجتمع فيه أساتذة من الشرق والغرب تحت سقف واحد فأثر كل منهما وتأثر فى الآخر من خلال تبادل المعلومات والأفكار، لذا كانت الاطلاع على التحقيقات العلمية والأفكار الأوروبية من أعظم الفوائد التى جنى شبلى ثمارها بمجيئه إلى الكلية، ومن حسن حظه أن الكلية كان بها أستاذ وعالم انجليزى هو توماس آرنولد(٢) T.ARNOLD فارتبطا معا برباط الصداقة والعلم فتأثر كل منهما بالآخر فعلّمه شبلى اللغة العربية وعلّمه آرنولد اللغة الفرنسية ومناهج البحث الحديث وقد توطدت علاقتهما وعندما أعد آرنولد العدة للسفر إلى إنجلترا عام ١٨٩٢م رافقه شبلى إلى بور سعيد ثم توجه آرنولد إلى إنجلترا وسافر شبلى إلى القسطنيطنية ويقول

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٣٥-١٣٧.

(٢) T.ARNOLD: توماس أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠) عالم ومستشرق انجليزى عمل فى كلية على كَرّهـ عشر سنوات وفى فبراير ١٨٩٨م ذهب إلى الكلية الحكومية فى لاهور وعمل استاذاً للفلسفة وكتب كتاباً فى اللغة العربية بعنوان «سوء السبيل فى معرفة المعّرب والدخيل» وكان اقبال من أقرب تلاميذه فى لاهور وعاد إلى انجلترا عام ١٩٠٤م وعمل هناك مساعد امين مكتبة المكتب الهندى حتى عام ١٩٢٠ حيث عين أستاذاً للغة العربية فى جامعة لندن حتى آخر حياته وفى سنه ١٩٣٠م زار الجامعة المصرية فى مصر وألقى محاضرة بعنوان «الفنون الجميلة عند المسلمين، وعندما عاد من هناك مات فجأة فى ٩ يونيو ١٩٣٠م ومن أعظم أعماله كتاب «الدعوة إلى الإسلام» (لندن: ١٨٩٦) وشارك فى دائرة المعارف الإسلامية (كالج ميگزين: فبراير ١٨٩٨م ص: ٧١).

شبلى عنه فى قصيدة «سفر روم» أى رحلة تركيا هذا المصرع (آرنولد آنكه رفيق است وهم استاذمرا) وقد درّس آرنولد لشبلى اللغة الفرنسية من كتاب سيديو(*) «تمدن اسلام» أى حضارة الإسلام ولا يزال هذا الكتاب موجوداً بدار المصنفين حتى اليوم(١).

وكانت هناك وسيلة ثانية لشبلى للاطلاع على المؤلفات والمطبوعات الأوربية غير كلية على كَرْهـ وهى مكتبة مولوى سيد على بلجرامى فى حيدر آباد وكان بلجرامى يعرف اللغة الفرنسية والألمانية إلى جانب الإنجليزية وله صلات مباشرة مع علماء أوروبا فكانت تأتى مؤلفاتهم إليه باستمرار حتى أصبحت مكتبته كنزا زاخراً بعلومهم، وكانت بداية تعارفهما مع نشر كتاب «المأمون» فتوطدت العلاقة بينهما وأهدى البلجرامى كثير من المؤلفات الأوروبية إلى شبلى كما تلقى شبلى منه كتاب الفهرست لابن النديم بعد أن صحح البلجرامى الأسماء اليونانية وكتبها بالأحرف اللاتينية وقد اعتمد عليها فى كتابة موضوع باسم «التراجم»(٢) كما ساعده البلجرامى فى ترجمة بعض موضوعات المستشرقين الأوربين فى الرسالة التى كتبها عن «مكتبة الاسكندرية» وقد أشار شبلى إليه عندما طبعها. وعندما ذاع صيت شبلى فى أوروبا أهداه تهارُتن Tharton قاموس الكلمات العربية "Dozy" فى ١٦ أبريل ١٨٩٨م.

وكانت المطبوعات العربية الحديثة تصل إلى الكلية من مصر ويطلع عليها شبلى، وكانت مصر فى هذه الفترة الزمنية أحسن حالاً من الهند فلم يكن الإنجليز يحكمونها حكمًا كاملاً ولم يكن لهم فى أى نفوذ على الوسط العلمى هناك وقد تعاملت مصر مع الأقوام واللغات الأوروبية عن طريق اللغة الفرنسية والفرنسيس فى البداية عندما استولى عليها نابليون، ثم عن طريق الإنجليز الذين حلوا محل الفرنسيين فى السيطرة على مصر. وعلى كل حال فقد كانت كتب الأدباء والصحف تأتى إلى شبلى مباشرة من مصر والشام وكان يطلب الكتب الجديدة التى تصدر عن النحو والصرف والبلاغة العربية

---

(٠) جان جاك سدّيو (١٧٧٧-١٨٣٢). SEDILLOT, J.J. مستشرق فرنسى «تضلع من العربية فى مدرسة اللغات الشرقية وتخصص فى الفلك عند العرب ومن أهم أعماله هو نشر ما كتبه ابن يونس وأبو الوفاء فى العلوم الرياضية بتعليق وحواشى (باريس: ١٨٠٤م) و«جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات لأبى على المراكشى و«نبذة فى الهندسة لابن الهيثم (١٨٣٤ م) و«مواد لتاريخ العلوم الرياضية والمقارنة عند اليونان والشرقيين». (نجيب العقيقى: المستشرقون. ط٣ دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٤ م الجزء الأول ص: ١٧٧-١٧٨).

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٨.

(٢) شبلى النعمانى: مقالات شبلى: ٦/١-١١٢.

وكتب الفلسفة والفلك الحديثة وعن طريقها اطلع شبلى على التحقيقات الأوروبية الحديثة، وكان شبلى أول من تعامل مع الصحف والمجلات العربية فى الهند ونشرت له مقالات فى مجلة الهلال المصرية وقد ذكر فى إحدى رسائله أسماء المجلات العربية التى كانت تصل إليه مثل: «ثمرات الفنون» من تركيا، و«السلام» من طرابلس، والهلال والمؤيد والمنار والمقتطف من مصر(١).

وواصل شبلى تدريسه فى كلية على كَرْهـ وكون الجمعيات الأدبية للعناية باللغة العربية والآداب الإسلامية وكان من آن لآخر ينظم قصائد مدح للأعمال القومية والقائمين بها مثل قصيدتيه فى مدح خليفة سيد محمد محسن وزير إمارة بتيالة فى ١٨٨٦م والقصيدة الثانية فى مدح نواب إقبال الدولة وقار الأمراء فى حيدر آباد عام ١٨٩٥م. وعندما أسس السير سيد المؤتمر التعليمى الإسلامى «محمدٹن ايجوكيشنل كانفرس» وضع شبلى نفسه فى خدمة هذا المؤتمر.

* مؤلفات شبلى الأولية:

كانت مواهب شبلى منذ أن جاء إلى كلية على كَرْهـ عام ١٨٨٣م محدودة داخل نطاق الشعر والمقالات والخطب، ثم بدأ يبحث عن الأسلوب الأمثل لخدمة الإسلام والمسلمين، وكان يرى الرعب يخيم على حياة المسلمين الذين يخيم على تاريخهم الظلام فى ماضيه وحاضره، وفى نفس الوقت اتجه المؤلفون الأوروبيون إلى الاهتمام بتاريخ المسلمين لتشويهه والقضاء على فكرة اعتزاز المسلمون بتاريخهم، وفى سبيل ذلك أخذوا يقدحون فى الإسلام وفى ملوكه بين الناس حتى ينفر المسلمين من قومهم ويضمحل تفكيرهم للأبد، وبهذه الحيلة الماكرة يكره المسلمون تاريخهم ومن ثم لا يرون أمامهم إلا ازدهار أوروبا ونهضتها، وقد انبرى شبلى شارعا قلمه ليدافع عن المسلمين بعد أن أدرك مخططاتهم وحيلهم واتجه إلى تدوين عظمة الإسلام فى الماضى وتخليد أعمال السلف الصالح وشجعه السير سيد على هذا العمل العظيم(٢).

وكانت أولى مؤلفات شبلى فى هذا الصدد «مسلمانون كى كَزشته تعليم(٣)» أى «تعليم المسلمين فى الماضى» وألفه عام ١٨٨٧م وقد لاقى هذا الكتاب شهرة عريضة فى

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٤٦-١٤٧.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٨.

(٣) شبلى النعمانى: مقالات شبلى ٣/١-٣٦.

أنحاء الهند، كما ارتفعت مكانة شبلى بين المؤلفين، ثم كتب شبلى سيرة «المأمون» الخليفة العباسى وكان ثانى كتاب فى السيرة الأردية الحديثة ونشر عام ١٨٨٧م وهو أول مؤلف مستقل لشبلى وأول حلقة فى سلسلة مشاهير حكام الإسلام. بعد ذلك ألف شبلى «سيرة النعمان» وانتهى منه فى ديسمبر ١٨٩٠م وطبع فى نهايته عام ١٨٩١م.

*** أسفاره إلى رامپور وحيدر آباد وبهوبال:**

وفى عام ١٨٨٨م سافر شبلى إلى إمارة رامپور ليشرف على الامتحانات التى كانت تعقد تحت رعاية الجنرال عظيم الدين خان سنويًا فى المدرسة العليا ويشترك فيها كثير من علماء الهند لإبداء آرائهم فى سير العملية التعليمية، وكان شبلى على رأس هؤلاء العلماء. وكان لشبلى علاقة قديمة برامپور كما ذكرنا من قبل وكانت المكتبة الحكومية فى رامپور من أهم معالم مدينة رامپور التى جذبت انتباه شبلى هناك فكانت فرصة للإطلاع على الكتب النادرة بها وطلب منه الجنرال عظيم الدين خان كتابه تقرير مفصل عن ترتيب وإصلاح المكتبة فظل هناك ثلاثة أيام اطلع فيها على الكتب وقدم تقريره فى ١٤ أكتوبر ١٨٨٨م ووضح فيه كتابة الفهارس وأرقام الكتب وكيفية حفظ الكتب النادرة، وفى عام ١٨٩١م أقيم مبنى جديد للمكتبة وتم الافتتاح الرسمى له فى ٣١ مارس ١٨٩٢م[١].

وفى عام ١٨٩١م سافر شبلى إلى حيدر آباد لجمع التبرعات للكلية ضمن وفد السير سيد والتقى شبلى بالأخوين بلجرامى مولوى سيد على بلجرامى ونواب عماد الملك سيد حسين بلجرامى وكانا يقدران العلم والعلماء وتوثقت علاقة شبلى بهما وقد طلب الأخير خمسين نسخة من «المأمون» تقديرًا لمؤلفات شبلى. يقول عبد الحليم شرر «لقد شاع عن شبلى أنه من كبار رفاق السير سيد» وقد أكرموا وفادتهم فى حيدر آباد وأنزلوا السير سيد ورفاقه فى دار الضيافة الحكومية وانهالت عليهم الدعوات واستقبلهم مير محبوب على خان وأمر بمضاعفة المساعدات الملكية من ألف إلى ألفين شهريًا وانعقدت جلسة مهيبة فى حديقة بشير باغ برئاسة نواب إقبال الدولة وقار الأمراء وألقى حالى قصيدة أردية وشبلى قصيدة فارسية بدأها بمقدمة وضح فيها أسباب هذا السفر الطويل وصور الوضع المتردى للمسلمين وبين أهداف الحركة التعليمية فى على كَرْهـ.

وعند عودة الوفد مر على بهوبال وأفلح الوزير محمد امتياز على باقناع شاهجهان

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٧٣-١٧٦.

بيكَم بأهداف حركة على كَرْهْ ووافقت على لقائهم فى نهاية الأمر ومنحت الكلية عشرة آلاف روبية من مالها الخاص وعشرة آلاف أخرى من مواطنيها وتوثقت العلاقات بين شبلى ونواب على حسن(*) خان كما يبدو ذلك من الخطابات المتبادلة بينهما(١).

* بداية مرض شبلى ورغبته فى السفر إلى كشمير والقسطنطينية ١٨٩٢م:

لم يكن مناخ على كَرْهْ يروق لشبلى ولا يتلاءم مع طبيعته وبصفة خاصة منزل السير سيد الذى كان يقيم فيه، حيث كان يقع فى أرض منخفضة تتجمع حولها المياه؛ لذا كان موبوءًا بالملاريا التى أصابت شبلى وبدأت أولى أعراضها عام ١٨٩٢م حيث أصيب بحمى شديدة وإرهاق كامل وتوارد على خاطره هذا البيت الشعرى لـ عرفى فى مدح كشمير:

– هر سوخته جانى كه به كشمير درآيد كَرمرغ كباب است كه بابال وپرُآيد(٢)

وفكر شبلى فى الذهاب إلى كشمير للنقاهة بعد العلاج إلا أنه بعد أن استعاد صحته قرر أن يغير خطته ويسافر إلى تركيا والشام ومصر فى مايو ١٨٩٢م وعدل عن فكرة السفر إلى كشميرلفرصة أخرى.

وكان الهدف من هذه الرحلة الطويلة أن يطلع شبلى على الذخائر العلمية والأدبية التى تزخر بها مكتبات القسطنطينية، فقد كانت مكتبات أعظم كَرْهْ وعلى كَرْهْ لاتطفئ ظمأه إلى المعرفة فأراد العب من فيض مكتبات تركيا والشام ومصر ويروى ظمأه العلمى، وكان شبلى فى ذلك الوقت يُعد المادة العلمية لكتابة «الفاروق» ولم تكن الكتب فى مكتبات الهند تكفى لتأليفه لذا خرج للبحث عن ضالته فى تلك المكتبات كما أنه لم يعد هناك نماذج لعظمة ملوك المسلمين فى الماضى سوى النموذج التركى فدفعه ذلك إلى السير إلى ديار المحبوب التى كان قلبه يتوق إليها شوقًا ويتحرق إليها حنينًا(٣).

وقد رافقه فى هذه الرحلة توماس آرنولد الأستاذ بكلية على كَرْهْ وافترقا فى بور سعيد بمصر، فتوجه شبلى إلى الشام ومنها إلى تركيا، وسار آرنولد إلى إنجلترا وقد زار

---

(١) المرجع السابق: ١٨٢–١٨٧.

(*) نواب على حسن خان ابن نواب صديق حسن خان وإلى رامپور وخليفته.

(٢) إن كل مكلوم الروح يدخل إلى كشمير، لو كان طائرًا مشويًا لطار بجناح وريش.

(٣) المرجع السابق: ١٨٨–١١٠.

شبلى المدارس والمتاحف والمساجد والمكتبات وقصور الأمراء والمقاهى والنوادى فى القسطنطينية وبيروت وبيت المقدس والقاهرة، وقد دون شبلى مشاهداته هذه فى كتاب بعنوان «سفر نامه روم وشام ومصر» وسوف أتناول هذه الرحلة بالتفصيل فى نهاية هذا الفصل.

* عودة شبلى للتأليف:

كان شبلى فى أثناء رحلته يفكر فى كتابة كتاب «سفر نامه» يصف فيه رحلته التى استغرقت نحو ستة أشهر، حيث بدأ رحلته فى آخر إبريل ١٨٩٢م ونهاها فى أول نوفمبر، ولهذا قام شبلى بترتيب هذا الكتاب يقول: «أكتب هذه الأيام» سفر نامه «وهو قاصر على الجوانب العلمية والاجتماعية فقط، وبالرغم من ذلك من يستطيع أن يقول إن هذا الكتاب لم يغرس غرسًا جديداً بحب الأتراك فى قلوب المسلمين «ولهذا لم يغفر الإنجليز هذا الذنب لشبلى مطلقًا وسوف يتضح ذلك فيما بعد، وكانت جميع مؤلفات شبلى السابقة تُطبع فى كلية على كَرْهـ لكنهم لم يحبذوا طبع هذا الكتاب فطبعه الطبعة الأولى فى مطبعة مفيد عام باكَرة عام ١٨٩٤م وكانت من أحدث المطابع آنذاك وكان هذا الكتاب بداية للخلافات التى نشأت بين شبلى والكلية.

بعد ذلك فكر شبلى فى جمع أشعاره الفارسية وطبعها تحت عنوان «كليات فارسى» وذلك عام ١٨٩٣م وطبعها فى مطبعة منشى رحمت الله رعد «نامى بريس» وحاذت هذه الأشعار الشهرة والقبول بين أوساط المثقفين.

وفى الفترة ما بين عامى ١٨٩٢ و ١٨٩٨م كان شبلى قد حقق كثيراً من الموضوعات التاريخية وطبعت فى مجلات الهند المعروفة ويدور أغلبها حول موضوعات الحضارة الإسلامية فقام بجمع هذه الموضوعات ونشرها باسم «رسائل شبلى»[١].

وعندما عاد شبلى من رحلته قام بترتيب المادة العملية التى جمعها لكتاب «الفاروق» وقد عانى فى سبيل إنجاز هذا الكتاب كثيراً من المصاعب، حيث عارضه كثير من أصدقائه وخاصه الشيعة ومع ذلك واصل عمله بدأب ونشر هذا الكتاب فى يناير ١٨٩٩م.

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٢٥,٢٢٢,٢٢٩، رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٨-٤٦٩.

* لقب شمس العلماء يناير ١٨٩٤م:

كانت شهرة شبلى فى ذلك الوقت قد جابت أنحاء الهند وأرجاءها وصار واضحًا للعيان أن سلطان تركيا السلطان عبد الحميد قد كرّم وحيد عصره عندما منحه «تمغه مجيدى» أى الوسام المجيدى، بينما لم تقدره الحكومة الإنجليزية حق قدره، وبعد عودة شبلى من رحلته بدأ الإنجليز ينظرون إليه بعين الشك ويعتقدون أنه يدعو للوحدة الإسلامية وكأنه سفير لسلطان تركيا فى الهند وبدأ الانجليز يشعرون بأهميته وكان السير سيد نفسه أول من لفت أنظار الحكومة الإنجليزية إلى أنها غفلت عن منحه وساما فى حين عرفت الحكومة التركية قدره ومنحته الوسام المجيدى وبناء على هذه التوصية أعلنت الحكومة الإنجليزية منح شبلى لقب «شمس العلماء» فى يناير ١٨٩٤م وكانت المرة الأولى التى يتلقى فيها أستاذ فى كلية على كَرْهـ هذا اللقب الحكومى وأن شبلى كان أول(*) شخص فى رفاق السير سيد يلقب بهذا اللقب. وكان لهذا اللقب وقع خاص فى عيون الناس وذلك لأن شبلى تلقى هذا اللقب فى هذه السن المبكرة حيث كان عمره يتراوح بين ٣٧,٣٦ عامًا ولم يظفر به أحد من الزعماء والمعاصرين له فى هذه السن ولهذه الأسباب مجتمعة عُقدت الجلسات والاجتماعات الحاشدة لتهنئته وخطب فيها كبار القوم وأبرق إليه الأصدقاء لتهنئته من جميع أنحاء الهند، ونظم حالى قصيدة عربية بهذه المناسبة بعنوان «من الحبيب إلى الحبيب» يقول مطلعها:-

- يا وحيدًا من الكرام فريدا .. وعزيزًا كمثل علق نفيس
- أنت شمس الهدى ولست شمسا .. يعتريها الخنوس بعد الخنوس

وفى ١٧ فبراير ١٨٩٤م تم الاحتفال بهذا اللقب احتفالاً رسميًا حيث حضره مندوب الحكومة الانجليزية مستر «هونجتن» فسلم شبلى العمامة والعباءة الخضراء والوسام فى حفل مهيب حضره أساتذة كلية على كَرْهـ وطلبتها، وقام شبلى فشكر الحكومة الإنجليزية وحياها على أنها حافظت على التقاليد الإسلامية فى منح هذه الالقاب للعلماء(١).

وفى عام ١٨٩٥م سافر شبلى إلى لاهور للمشاركة فى الجلسة السنوية لجمعية حماية

(*) مُنح نذير أحمد الدهلوى هذا اللقب عام ١٨٩٧ م بينما لقب به الطاف حسين حالى فى عام ١٩١٣م.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٣٧-٢٣٨، ٢٥٣، ٢٥٧.

الإسلام « انجمن حمايت إسلام » وكان يشارك فى جلساتها السنوية معظم سادة القوة وكبار المثقفين. وفى هذه السنة اختير شبلى عضواً فى هيئة تدريس كلية الآداب بجامعة إله آباد وعضواً فى الجامعة وكلف بإعداد منهج خاص باللغة الفارسية من قبل الجامعة وظلت الجامعة تُدرس هذا المنهج حتى عام ١٩٠٣ وكان شبلى يتلقى مائة روبية سنوياً نظيراً لها(١).

* اقتراح شبلى بنشر الكتب القديمة والسفر إلى حيدر آباد مرة ثانية ١٨٩٦م:

كانت الكتب العربية القديمة والنادرة تطبع وتنشر سنوياً فى جميع الدول الأوروبية بجهود المستشرقين، وعندما رأى شبلى ذلك تمنى أن يضطلع مجموعة من العلماء(٢) بهذا العمل الجليل فيخرجوا أعمال أسلافهم من ظلام المكتبات وينشروها فى العالم فيرتفع اسم الإسلام والمسلمين عالياً ويتجلى للعالم مدى التقدم الذى وصل إليه المسلمون فى علومهم وفنونهم، وقد خامرته هذه الفكرة عندما كان فى رحلته إلى تركيا والشام ومصر ورأى ذخيرة هائلة من الكتب القديمة والنادرة يقول فى كتابه « سفر نامه »: « لقد أقيمت فى أوروبا جمعيات وهيئات عديدة هدفها الأصلى جمع الكتب القديمة النادرة وطبعها ونشرها وعن طريق هذه الجمعيات تم طبع الكتب العربية القديمة والنادرة فصارت فى متناول أيدينا بعد أن كانت صعبة المنال فطبعت على سبيل المثال كتاب « تاريخ الطبرى » فى أجزائه العديدة ونشرت نسخة كاملة منه لا تتوافر فى تركيا ومصر لذا اقترح على وجوه القوم أن يقيموا هذه الجمعيات ويوفروا لها المال اللازم ويُعين فيها العلماء والكتاب العظام فيختاروا الكتب القيمة ويطلبونها من مصر وتركيا ويطبعونها »(٣).

وقد اتخذ هذا الاقتراح شكلاً عملياً فاقيمت إدارة باسم « دائرة المعارف الدكنية » بحيدر آباد وبذلت جهوداً عظيمة فى جمع وطبع ونشر الكتب الدينية والفلسفية والأدبية القديمة والنادرة مثل التاريخ الصغير للإمام البخارى ورسائل الفارابى وتطورت بجهود نواب عماد الملك وملا عبد القيوم وأنوار الله خان وطلبت دائرة المعارف من شبلى أن يعد لها برنامجاً بالكتب النادرة والهامة وأولويات طباعتها فقام باعداد هذا البرنامج

---

(١) المرجع السابق: ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) شبلى النعمانى: سفر نامه: ٩٨.

(٣) شبلى النعمانى: مقالات شبلى: ٨/ ٤٥-٤٧.

فى نوفمبر ١٨٩٤م ركز فيه على الكتب الدينية ولا تزال هذه الإدارة تقوم بدورها الثقافى الهام فى الهند حتى الآن وطبعت أمهات الكتب فى مختلف فروع العلم والأدب، وأقامت حكومة حيدر آباد كذلك إدارة أخرى باسم «إحياء المعارف النعمانية» فقامت بجمع الكتب القديمة والنادرة من البلاد الإسلامية وقامت بتصحيحها وتحشيتها ونشرها وركزت فى البداية على طبع الفقه الحنفى(١).

وفى هذه الفترة كثرت النزاعات والصراع داخل كلية على كَرْسِه أراد شبلى أن يسلك مسلكًا آخر بعيداً عن الكلية ومن حسن حظه أن نواب وقار الأمراء قد تقلد الوزارة فى حيدر آباد وأن مولوى سيد على بلجرامى كان من خاصة المتقربين إليه وكان بدوره على صداقة وطيدة بشبلى فاستدعاه إلى حيدر آباد وظل بها أربعة أسابيع تقريبًا وبتوصية من النواب وقار الأمراء وافق مير محبوب على خان حاكم حيدر آباد على أن يمنحه راتبًا شهريًا قدرة مائة روبية على سبيل التكريم والاعتراف بعلمه ابتداء من ٣ ربيع الثانى ١٣١٤ هـ وشرط عليه أن تدخل جميع مؤلفاته القادمة ضمن سلسلة الكتب الآصفية التى كانت تؤلف فى ذلك الوقت وأقام له العلماء هناك حفلاً مهيبًا لتكريمه ونظم شبلى قصيدة فارسية بهذه المناسبة حفظها أهل حيدر آباد وظلوا يرددونها حتى اليوم يقول مطلعها:-

- اى دكن اى جهان راسر وسودا باتست اى كه مجموعة صد ياس وتمنا باتست(٢)

وتصور بعض أعضاء الكلية أن شبلى يريد أن يترك الكلية بعد هذا السفر إلا أن هذا التصور كان خاطئًا وعاد شبلى للكلية وكان يعتقد أنه سوف يترقى فى منصبه بعد تأليف الفاروق إلا أن هذا التصور لم يتحقق إلا فى أواخر عام ١٩١٣م حيث قام نظام سير عثمان على خان بتوصية من نواب عماد الملك بإضافة مائتى روبية إلى مرتبة فصار ثلاثمائة روبية استخدمها شبلى فى تأسيس دار المصنفين(٣).

*** الإنجليز يسيئون الظن بشبلى: (مرحلة الخلاف مع الانجليز)**

كانت فكرة الوحدة الإسلامية تخيم على أذهان الأوروبيين ويخشون تحقيقها فى

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٦٦-٢٦٩.

(٢) أيها الدكن يا من يتعلق العالم بك، يا من بحوزتك مئات الأمنيات واليأس.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٧٠-٢٧٨.

ذلك الوقت ويعتقدون أن السلطان عبد الحميد سلطان تركيا مركز هذه الدعوة وأن له نائبًا عنه فى كل دولة من دول العالم الإسلامى لتنفيذ هذه الفكرة وهدفها أن يتحد المسلمون فى جميع أنحاء العالم ويستعدون للثورة على أوربا، وبناء على هذا بدأت الدول الأوروبية تعبأ رعاياها فى تركيا ليستعدوا لهذه الثورة -وعندما عاد شبلى من تركيا بدأ الإنجليز ينظرون إليه بعين الشك على أنه عاد من تركيا سفيراً للسلطان عبد الحميد فى الهند ويدعو إلى حركة الوحدة الإسلامية -وكان الوسام الذى منحه السلطان عبد الحميد لشبلى قد دعم شكوك الإنجليز تجاه شبلى وحاولوا أن يستميلوه إليهم فمنحوه لقب «شمس العلماء» لكن شبلى لم ينخدع بهذا اللقب كما انخدع غيره من زعماء الهند وعلى رأسهم السير سيد أحمد خان - وكانت المعلومات قد انتشرت فى تلك الأيام بكثرة عن تركيا والوحدة الإسلامية وقد ساعد الكتاب المسيحيون والأوربيون غالبًا على نشر المعلومات أو الوشايات - إن شئنا الدقة فى التعبير - وكان جانب كبير منها تميز بالتعصب ضد تركيا والإسلام، ولأول مرة يجد مسلمو الهند ثروة من المعلومات المباشرة عن تركيا فى كتاب شبلى «سفر نامه» فاطلعوا على أخلاقهم وعاداتهم وحياتهم الاجتماعية والتطورات العلمية والفنية التى أحدثوها فكانت بداية لحلقة جديدة من الروابط بين مسلمى الهند وتركيا. وفى تلك الأثناء انعقدت إحدى جلسات الكلية وأنشد شبلى قصيدة أردية فيها هذا البيت :-

نوجوانو ايه حريفون كودكها دينا هـ اپنى قوت كوكيا قوم هـ يك جاكيسا[1]

فكانت كلة «حريفون» أى الأعداء فى هذا البيت تشير إلى الإنجليز الذين يجلسون فى الجلسة وكان العارفون ببواطن الأمور يدركون أن هذا البيت درس للطلبة فى الثورة على الإنجليز وقد ذاع هذا الأمر بين الإنجليز[2].

وقد أبدى شبلى رأيه السياسى فى جلسات واجتماعات اتحاد الكلية عدة مرات حيث كان يكره النظام الملكى ويدعو للنظام الجمهورى الذى تحتل فيه الشورى -مكان الصدارة، وفى تلك الأيام ظهر حزب «المؤتمر» فكان من الداعين إليه، ولم يكد يختفى هذا الصوت حتى ارتفع صوت «ندوة العلماء» فى أواخر ١٨٩٣م وصار من المعروف أن

---

(١) أيها الشباب علينا أن نظهر هذا الأمر للأعداء، فكيف جعلتم القوم يتحدون.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٩.

حكم المولويه (الشيوخ) سيقوم فى الهند وان شبلى فى مقدمة الملبين لهذا الصوت وكانت كل هذه الأسباب مجتمعة قد قوت شكوك الإنجليز فى شبلى وعلى الرغم من ان نواب محسن الملك - بعد أن صار عميداً للكلية بعد سيد محمود - سعى للقاء الحاكم الإنجليزى ليرفع شكوك الحكومة عن شبلى إلا ان الاخير قرر ان يترك الكلية. وظلت هذه الشكوك قائمة وفى يوليو ١٩١١م دعت الحكومة إلى المؤتمر الشرقى فى «شمله» وكان شبلى عضواً فى هذا المؤتمر الذى حضره السيد برن چيف الحاكم الإنجليزى لإقليم الولايات المتحدة فى الهند وكان يعرف الفارسية والأردية جيداً فسأل شبلى عن الراى الشرعى للمسلمين بالنسبة للحكومة الإنجليزية؟ فقال شبلى إن المسلمين يقرأون كل أسبوع فى صلاة الجمعة «السلطان ظل الله فى الأرض» ففهم برن ان المقصود بذلك هو سلطان تركيا(١).

وفى تلك الأيام أرسلوا جاسوسا يتجسس عليه فسرق «الوسام المجيدى» الذى منحته له تركيا منه، وأشار عليه السير سيد فى كتابة موضوع عن الخلافة يرفض فيه خلافة تركيا من الناحية الدينية فكتب شبلى هذا الموضوع ونشر فى مجلة على كَرْهٍ ولم يكتمل لانه كان متكلفًا وعلى غير رغبة شبلى. ويذكر سيد سليمان الندوى انه عندما كان فى إنجلترا عام ١٩٢٠م عضواً فى وفد الخلافة سأل البروفيسير آرنولد عن هذا الموضوع فذكر له «انه أملى عليه وانه لم يكتبه».

* مرحلة الخلاف والصراع مع السير سيد أحمد خان:

تعد العلاقة بين شبلى والسير سيد من النقاط الحساسة والمسائل الخلافية التى دار حولها النقاش والبحث قديمًا وحديثًا، ومن النقاد والباحثين من جعل شبلى من رفاق السير سيد ومنهم من اعتبره معارضًا له وكل فريق منهما أيد آراءه بأقوال ثابتة وأدلة دامغة صادرة عن قلميهما. إلا أن الباحث يرى أن المتتبع لحياة وأعمال شبلى والسير سيد يستطيع أن يجزم أن لكل منهما منهجه وطبيعته الخاصة به، وعلى الرغم من أن الظروف قد جمعتهما معًا فى كلية على كَرْهٍ إلا ان شبلى ظل على رأيه المخالف غالبًا لرأى السيرسيد فى المسائل التعليمية والدينية والسياسية وعندما اتسعت هوة الخلافات بينهما ترك شبلى كلية على كَرْهٍ وساهم فى تأسيس «ندوة العلماء» وكان طابعها الفكرى هو التوفيق بين الاتجاه السلفى القديم والاتجاه العلمانى الحديث الذى قاده السير

---

(١) المرجع السابق: ٢٨٠-٢٨١.

سيد ورفاقه فى حركة «على كَرْهـ».

نعم لقد تأثر شبلى بالسير سيد عند لقائهما لأول مرة وفى أثناء إقامته فى كلية على كَرْهـ تأثر بالمنهج العقلى والحركة العلمية والآراء الجديدة فى العلوم والفنون فظهر لديه الميل إلى التفكير العقلى إلا أنه وإن كان قد اتفق مع السير سيد فى بعض الأفكار إلا أنه اختلف معه فى المسائل الجوهرية التى لا تفيد فيها وسطية بل إنه حاول التبرأ من أفكار السير سيد الخاصة بالدين التى كانت تمثل فى ضمير شبلى كفراً صراحًا.

وفيما يلى سوف نعرض تطور هذه العلاقة بين شبلى والسير سيد ونتطرق للخلافات الدينية والسياسية بينهما:-

لا يمكن لأحد أن ينكر ما تركه السير سيد من أثر واضح وجلى على الأدب الأردى وهذا التأثير يشتمل على الموضوع وروح المعنى فقبل عصر السير سيد كانت دائرة الأدب الأردى - إذا استثنينا الشعر - محدودة بالتصوف والتاريخ والتذاكر والموضوعات الدينية ولم يكن هناك اهتمام بالعلوم الطبيعية فكان السير سيد أول أديب يؤسس مدرسة فكرية على أساس العقل والتطور المادى.

والتقى شبلى بالسير سيد وقبل العمل فى كلية على كَرْهـ أستاذًا للعلوم العربية واستفاد كثيراً من مكتبة السير سيد وما بها من كتب نادرة وخاصة الكتب الأوروبية. يقول محمد إكرام: «لقد ترك شبلى» المولوية(*) عندما جاء إلى على كَرْهـ وتغيرت أفكاره رأسًا على عقب واتسعت مداركه العقلية»(١) ويرى رام بابوسكينه «أن الجو العلمى لعلى كَرْهـ قد أثر تأثيراً مفيداً فى شبلى»(٢) وذلك لتعامله المباشر مع رفاق السير سيد وخاصة حالى والأساتذة الإنجليز وعلى رأسهم توماس آرنولد، لذا نرى أن «الجو العلمى» هو الذى أثر فى شبلى وليس السير سيد كما يعتقد الناس.

وكان من الواضح فى ظل الاختلاف والتناقض فى طبائعهما أن تتسع هوة الخلاف يومًا بعد يوم بين شبلى والسير سيد الذى اتضح من الأحداث السالفة الذكر أن كلا منهما على النقيض فى أفكاره السياسية والدينية والاجتماعية والتعليمية وكان شبلى يتحين الفرصة ليعلن تمرده علانية بعدم الارتباط بحركة السير سيد ولم يتطرق حالى إلى

(*) المولوية: الطبقة الدينية التى لها اتجاه دينى متزمت. (محمد إكرام: موج كوثر: ٢٢١).

(١) محمد إكرام: موج كوثر: ٢٢١.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو: ٤٦٨.

ذكر هذا الخلاف فى كتابه «حيات جاويد» كما لم يذكره شبلى نفسه إلا أن هذا الخلاف يبدو جليا من أوراق التاريخ. وبالرغم من فضائل السير سيد ومحاسنه إلا أنه كان به عيب فادح وهو أنه لا يستطيع أن يتحمل من رفاقه غير الموافقة ولا يتحمل منهم رأيًا مخالفًا لرأيه، وقد أشار حالى إلى هذه العادة بقوله: «إن هذه العادة توجد فى السير سيد فهو شخصية مستبدة لا شك فى ذلك»[١] ونتيجة لهذا نشب خلاف حاد بينه وبين مولوى سميع الله خان ساعده وصديقه الحميم كما ابتعد عنه خليفته سيد محمود ثم كان الخلاف بينه وبين شبلى. وكان أول نقد وجهه شبلى للسير سيد فى كتابه الأول «مسلمانون كى كَذشته تعليم» فعند الحديث عن التراجم يقول: «إن العرب تطوروا تطوراً لم يبلغوه الآن عندما ترجموا علوم العالم للغة العربية وقد انخدع مؤسسو المجتمع العلمى بعلى كَرْهـ بهذه الواقعة وفهموا منها أن قومنا سوف يتطور وتتقدم علومنا بعد أن نترجم علوم أوروبا وفنونها إلى لغتنا الأردية مثلما طور أسلافنا العلوم عن طريق التراجم وهذه فكرة خاطئة أولاً لأن هذا العمل كان يتطلب مئات الآلاف من الروبيات التى كانت متوفرة فى العصر العباسى وغير متوفرة الآن، ثانيًا أن العلوم كانت آنذاك محدودة وقد أحاط العرب بعلوم اليونان عندما ترجموا هذه الكتب ثالثاً: كانت اللغة العربية فى ذلك الوقت لغة الحاكم فى البلاد الإسلامية أما الأردية فليست لغة الحاكم وقد اعترف السير سيد مؤسس «سينتفك سوسايتى» «المجتمع العلمى» فى كتاباته مراراً بخطئه»[٢].

وهذا الاعتراض البسيط لم يرق للسير سيد على الرغم من اعتذار شبلى له وقد ذكر حالى هذه الواقعة بالتفصيل فى «حيات جاويد»[٣].

* **الخلافات الدينية:**

فى الوقت الذى كان فيه السير سيد مغرمًا بالتأويل والخوض فى القضايا الدينية الحساسة نجد أن شبلى لم يحبذ هذا النوع من التأويلات التى كثيراً ما تدفع الإنسان إلى الخطأ. يقول حالى فى مقالة له بعنوان «سر سيد اور مذهب» أى السير سيدوالدين: «هناك تفسيرات كثيرة وتأويلات متعددة للسيرسيد يتعجب لها المرء بمجرد أن يراها

---

(١) حالى: حيات جاويد: ١/ ٢٩٠ (نامى بريس كانپور).

(٢) شبلى النعمانى: (مقالات شبلى: جـ٣) مسلمانون كى كَذشته تعليم: ٣٥-٣٦.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٨٦-٢٨٧.

ويقول كيف يتحمل عقل شخص مثل هذه التأويلات الكثيرة وكيف تبدر عن قلمه مثل هذه الأخطاء الشائعة(١).

يقول شبلى «كان السير سيد يكتب ذات مرة رسالة عن «حقيقة الجان» وتوفر لنا فى ذلك الوقت كتاب «إعجاز القرآن» للإمام الباقلانى وقد ورد فيه أشعار للجن وأشعار للشعراء الجاهليين يذكرون فيها أن الجان أصدقاء لنا يأتون إلينا ويأكلون معنا فقال شبلى لقد زودتنا هذه الأشعار بمعلومات هامة إلا أن السير سيد فسر معنى الجان فى أشعار العرب بالدهقان أو إنسان الغابة لأنه ينكر وجود الجان، وخالفه شبلى الذى يؤمن بوجود مستقل للجن حسبما ذكر فى القرآن، يقول ابن تيمية: لا يمكن إنكار وجود الجان إلا أن صورتهم لا تتغير فيأتون ويترددون على الناس».

وكان السير سيد ينكر الأعمال الكبرى الخارقة للعادة وكتب فى تأويلها مقالات طويلة أما شبلى فقد كتب تعليقًا على هذا الكلام يقول فيه إن القرآن قد ورد فيه هذا النوع من الوقائع، بينما يرى أصحاب الفرقة الجديدة (يقصد السير سيد) أن هذا النوع من الأحداث الخارقة للعادة غير موجودة فى القرآن، ومن العدل أن نقول أن القرآن الكريم وجميع الكتب السماوية لا تنكر ذلك.

وكان هناك بينهما خلافات فى بعض القضايا الفقهية فمثلاً كان السير سيد يعتبر طريقة النصارى فى لى عنق الدجاجة حتى تموت حلال ويقول هذه طريقة أهل الكتاب الحالية فى الذبح وذبيحة أهل الكتاب حلال فى الإسلام وقد كتب السير سيد رسالة فى تأييد رأيه هذا ولا شك أن طعام أهل الكتاب وذبائحه حلال ولكن بشرط ألا تكون من المحرمات فى الإسلام لكن الخنق أو الذبح بالخنق فهو طبقًا لرأى القرآن الكريم الخاص بالمنخنقة حرام(٢).

كان موضوع أكل المسلمين مع أهل الكتاب (الإنجليز) وبصفة خاصة طريقة الذبح من القضايا المثارة فى ذلك الوقت وقد تناولها كثير من المفكرين والفقهاء فقام سيد أحمد خان بكتابة مقالة عن الأكل مع الإنجليز ونشرها فى مجلة «انستى تيوت كَزت على كَرطهـ» أى مجلة معهد على كَرطهـ عام ١٨٦٦ م ثم قام بنشرها فى رسالة صغيرة فى نفس العام بعنوان: «أحكام طعام أهل الكتاب» يقول فيها: «إن تناول الطعام مع

---

(١) حالى: حيات جاويد: ٢/٣٤٨.

(٢) على كَرطهـ ميكزين: ١٣٤ (مايو: ١٨٩٨م).

الإنجليز وهم من أهل الكتاب أمر لم يحرمه الإسلام كما لم ينه عنه القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقد جاء فى القرآن الكريم أن طعام أهل الكتاب حل للمسلمين، وإذا كانت طريقة أهل الكتاب فى الذبح هى لى عنق الدجاجة حتى تموت فإنه حلال لأن ذلك يندرج تحت طعام أهل الكتاب الذى أحله القرآن(١).

وعندما أراد السير سيد أحمد خان أن يترجم تفسيره إلى اللغة العربية طلب من شبلى أن يقوم بالمراجعة لكنه رفض وتعلل له بكثرة أعماله فوقع اختياره على ابن خال شبلى مولوى حميد الدين وكان يدرس العربية فى الكلية لكنه رفض كذلك وعندما أصر السير سيد أن يعرف السبب قال له بوضوح لا يجب أن أرتكب هذا الذنب وهو التعاون على الإثم فى نشر هذا الباطل ولم يعلق شبلى على هذا الرأى وكأنه بذلك يعلن عن موافقته على ذلك.

ولم يكن السير سيد يعتقد بقبول الدعاء وكان يرى أن التوجه بالدعاء لقبوله يعد من قبيل العبث وكان ينشر حواراته مع نواب محسن الملك فى هذه المسألة إلى أن جاء أحد كبار الهندوس المثقفين وكان ذا نزعة صوفية ويعمل مديراً لمكتب بريد أعظم كَرْهه فنشر رسالة قيمة رفض فيها موضوع «الدعاء والاستجابة» للسير سيد وقد ظن الناس أن مؤلفها شبلى لأسلوبها وقوة استدلالها ومما أكد هذا الشك أنها كتبت فى أعظم كَرْهه وكاتبها يعرف شبلى.

ونشب خلاف بين شبلى والسير سيد عندما لم يتحمل شبلى آراء السير سيد فى الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين وقام بتأليف «الفاروق» ولم يحفل باعتراض السير سيد لهذا العمل. لقد كان علاج أمراض المسلمين فى نظر السير سيدهو أن يقلد المسلمون الإنجليز فى كل شىء عدا الدين أما علاج أمراض المسلمين فى رأى شبلى فيكمن فى العقائد الإسلامية الصحيحة والمحافظة على الأخلاق إلى جانب قبول الآراء النافعة من التعليم الحديث فقد قال فى إحدى الجلسات: «إذا كان تقدم الأمم الأخرى يكون للأمام فإن تقدم المسلمين يكون للوراء للحاق بعصر الصحابة» وقد غضب السير سيد أحمد خان من هذه الخطبة وكان يعتقد أن هذه النصائح سوف تثنى المسلمين عن الطريق الذى يريد أن يمشوا فيه وكتب موضوعًا شديداً يعارضه فيه(٢).

---

(١) سيد أحمد خان: انستى تيوت كَزت على كَرْهه: يناير ١٨٦٦م

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٨٩-٢٩٠.

لقد كان السير سيد مؤمنا بأنه لكى ترتفع همم طلبة الكلية وتسمو أفكارهم فإن عليهم أن يختاروا طريقة الإنجليز وأسلوب حياتهم وتفكيرهم حتى تتولد فيهم روح القيادة، وكان شبلى من أشد المعارضين للسير سيد فى هذه الفكرة وكتب إلى مولوى مسعود على الندوى «للأسف إننى اختلفت مع السير سيد فى هذا الأمر الجوهرى فأنا أدقق فى أحوال المسلمين منذ ثلاثين عامًا ووجدت أن المانع الأصلى لتطور المسلمين هو ما يدعوهم إليه السير سيد «وعندما توفى السير سيد وقرر رفاقه أن يكتبوا موضوعات مختلفة فى حياته وأعماله اقترحوا على شبلى موضوعًا بعنوان «سر سيد اور مذهب» أى «السير سيد والدين» رفضه شبلى وقبل على مضض كتابة موضوع «سير سيد اوراردو لترٹيچر»(١) وكتب حالى الموضوع الأول وكان هذا الموضوع خلاصة ما توصل إليه حالى فقد كان يكتب «حيات جاويد» فى تلك الأيام وقد نشر الموضوعات فى مجلة «على كَرٹھ ميگزين» فى مايو ١٨٩٨م.

وأصبحت مسألة كتابة سيرة السير سيد نفسها مسألة خلافية ، فقد كانت لدى السير سيد فى أواخر حياته رغبة شديدة لأن تكتب سيرته وكان يريد أن يقوم شبلى بهذا العمل ووسط كثيراً من الأصدقاء بينه وبين شبلى فكان شبلى يماطل ويتهرب بحجج مقبولة وبعد أن أعيت الحيل السير سيد فكر فى أن يستدعى شبلى ويعطيه بعض المذكرات لسيرته، وعندما لم تفلح هذه الحيلة كذلك وقع اختياره على حالى فبدأ يكتب سيرته فى عام ١٨٩٣م.

* **الخلافات التعليمية:**

كانت مسألة تطوير التعليم العربى وإصلاحه جانبًا آخر من جوانب الاختلاف بين السير سيد وشبلى فقد كان السير سيد يريد أن يطبق التعليم الإنجليزى وفى نفس الوقت يقضى على التعليم العربى الذى يعده ضاراً على المسلمين ولهذا عارض بشدة نظام التعليم الشرقى فى البنجاب عام ١٨٨١م، وفى عام ١٨٨٩م عارض فكرة إجراء الامتحانات فى العلوم الشرقية فى جامعة إله آبادعارض حركة تعليم اللغات المحلية بشدة وكان يرى أن هذه الفكرة سوف تضر بالتعليم الإنجليزى، فقد كان على كل حال لا

---

(١) شبلى النعمانى: مقالات شبلى: ٢/٥٧-٦٦.

يحبذ التعليم العربى والعلوم الشرقية لأنها فى نظره سوف تعوق تقدم المسلمين(١). أما شبلى فكان على النقيض فيرى أن يبدأ باصلاح نظام التعليم العربى القديم ويطوره يقول فى «سفر نامه»: «إن مسألة فساد التعليم القديم من المسائل المثارة هذه الأيام فى الهند ونحن نتألم ونتأسف لذلك، أما ما يظهره أنصار التعليم الحديث من ألم وشفقة على التعليم القديم فلم يكن من قبيل الحزن بقدر ما كان سخرية وشماتة، فمع أننى أفضل التعليم الحديث إلا أننى رغم ذلك أدافع دفاعًا مستميتًا عن التعليم القديم»(٢).

ولهذا عندما تأسست ندوة العلماء كانت مطابقة تمامًا لرغبات شبلى وأفكاره فأصبحت هدف حياته وكرس حياته وجهوده لها وترك كلية على كَرْهه.

*** الخلافات السياسية:**

كانت الميول السياسية لكل من شبلى والسير سيد متباينة منذ البداية، فالسير سيد كان من أشد المؤيدين للحكومة الإنجليزية بينما شبلى كان من المعارضين لها ومن المؤيدين لحزب «المؤتمر»، وكان السير سيد يفضل النظام الملكى فى الحكم وكان يميل إلى الراديكالية بالرغم من أنه مسلم الديانة عربى الأصل، بينما كان شبلى يحبذ طريقة الخلفاء الراشدين فى اختيار الحاكم، وعندما تم عقد جلسة فى الكلية لبحث النظام الجمهورى والملكى فى الحكم أيد شبلى النظام الجمهورى واستدل على ذلك بأصول وقواعد اختيار الحاكم بأسلوب الخلفاء الراشدين وقد تأثر الطلاب بقوة بيان شبلى بينما عارضه السير سيد ولم يقتنع بذلك فكتب شبلى موضوعًا مختصرًا للرد عليه ونشر فى مجلة «انستى تيوت كَزت» فى ٢٨ يونيو ١٨٩٢م بعنوان «آسيا ونظام الحكم الإسلامى» ويبدو من هذه الوقائع اختلاف شبلى والسير سيد فى الميول والآراء السياسية ولهذا لم يكن شبلى يحبذ محاولات السير سيد لمعارضة «المؤتمر الوطنى» الذى كان شبلى يميل إلى مبادئه، وعلى الرغم من أن شبلى لم يقتحم مجال العمل السياسى علميًا إلا أنه ظل يحتفظ برأيه السياسى حتى آخر حياته. وأن الخلافات السياسية بين شبلى والسير سيد هى التى حدت به أن يترك الكلية(٣).

---

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٢٩٢. وشبلى النعمانى: مسلمانون كى كَذشتة تعليم: ٣-٥.

(٢) شبلى النعمانى: سفر نامه: ٧٧.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٩٤-٢٩٥.

* مشاركة شبلى فى حركة «ندوة العلماء»:

وفى ظل الظروف المتردية التى كان يمر بها المسلمون قامت كوكبة من علماء المسلمين بعقد العزم على الخروج بالمسلمين من محنتهم وقرروا تأسيس «ندوة العلماء» عام ١٣١١ هـ/ ١٨٩٤م وكان الهدف الرئيسى من تأسيسها مراعاة مقتضيات العصر فى الاعتبار خاصة فى مناهج التعليم فى المدارس العربية ورفع الخلافات بين المسلمين فى الهند على اختلاف مذاهبهم وتضييق الخلافات فيما بينهم، وقد قام شبلى ومولوى عبد الحق بتقعيد قواعدها[١] وتم الإعلان عن أهداف ندوة العلماء فى سائر الهند والإعلان عن جلساتها القادمة فطرأ على المسلمين حالة عارمة من الفرح والسعادة وتلاطمت أمواج الأمانى بعودة الحكم الإسلامى المفقود، وبدأ العلماء يتوافدون من جميع أنحاء الهند للمشاركة فى جلساتها، وكان شبلى أول الذين لبوا نداء الندوة وكان الألم يعتصره لتدهور أحوال هذه المدارس وجهلهم بضروريات العصر وكان هذا الإحساس يظهر فى كل مرة بطابع جديد فى مؤلفاته ومقالاته وخطبه.

وقد انعقدت الجلسة الأولى لندوة العلماء فى ١٥، ١٦، ١٧ شوال سنة ١٣١١ هـ/ ٢٢، ٢٣، ٢٤ أبريل ١٨٩٢م فى مدرسة فيض عام بكانپور ورأس الجلسة مولانا لطف الله وقدم شبلى عدة مقترحات أهمها: إصلاح طريقة التعليم الحالية وأن يشارك مدراء المدارس الإسلامية فى جلسات الندوة وتكوين شبكة من المدارس لتنفيذ المنهج الإسلامى فى التعليم بها وترتبط بمدرسة ديونبد ومدرسة فيض عام والمدرسة الأحمدية بآره وغيرها[٢] وتوالت الاجتماعات وجلسات ندوة العلماء فانعقدت الجلسة الثانية فى لكناو فى شوال ١٣١٢ هـ/ أبريل ١٨٩٥م، والثالثة فى بانس بريلى فى شوال ١٣١٥ هـ/ مارس ١٨٩٨م وشارك شبلى فيها جميعًا بآراء بناءة. وسوف نذكر جهود شبلى فى «ندوة العلماء» فيما بعد.

* إجازة لشبلى من الكلية وسفره إلى يهوبال ٩٧-١٨٩٨م:

ظل شبلى يعانى من آلام ألمت بمعدته واستمر على تلقى العلاج، إلا أن مرضه وحاجته للراحة كانت أحد الأسباب التى جعلت شبلى يفكر فى الإجازة، أما السبب الثانى فهو خلافه مع السيد محمود سكرتير كلية على كَرْه، والسبب الثالث هو عدم

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٠٥-٣٠٨.

رضاه عن سياسة مستر[1] بوك الذى يتعامل بصلف وغرور فلم يوافق شبلى على سياسته التى كانت تهدف إلى تدريس وتلقين الطاعة وحب العبودية للحكومة والوفاء للكلية.

أخذ شبلى إجازة من ديسمبر ١٨٩٦ حتى نوفمبر ١٨٩٧م وذهب إلى أعظم كَرْهـ وفى ٢٧ يونيو ١٨٩٧م توفى أخوه مهدى حسن القاضى بأعظم كَرْهـ وحزن شبلى كثيراً لوفاته وعاد إلى على كَرْهـ فى نوفمبر ١٨٩٧م على أن يأخذ إجازة طويلة ليسرى عن نفسه، وفى عام ١٨٩٨م تولى نواب سيد على حسن خان صديق شبلى وزارة التعليم فى بهوبال وكان مهتمًا بالتعليم العربى اهتمامًا بالغاً فأقام خمس مدارس عربية فى مدينة بهوبال ولم تكن هناك نتيجة لهذه المدارس لعدم وجود إدارة للتعليم ولا قواعد لدخول الامتحانات ولم تكن بها مكتبة ولا مقررات دراسية ولا التزام بين المدرسين فقرر النواب إنشاء مجلس شورى للتعليم باسم «نظارة المعارف» واستدعى عالمين من خارج بهوبال ليقوما بإصلاح وتنظيم المدارس العربية كان شبلى أحدهما والثانى مولانا إبراهيم آروى الذى أقام مدرسة عربية فى آره هى «المدرسة الأحمدية»، وكتب شبلى لائحة تنظيمية للشئون الإدارية والتعليمية فى ١٣ بنداً تحتوى على قواعد مرتبات والامتحانات واقتراح بالمناهج وجدول تقسيم الحصص وقد تحسنت حالة المدارس هناك بعد تلك التنظيمات وظهرت نتائجها الملوسة[2].

* وفاة السير سيد أحمد خان عام ١٨٩٨م واستقالة شبلى من الكلية ومرضه:

عاد شبلى إلى على كَرْهـ فى نهاية فبراير ١٨٩٨م وكان وقتًا حرجًا وحساسا بالنسبة لسياسة على كَرْهـ، وفجأة توفى السير سيد فى ٢٧ مارس ١٨٩٨م بعد مرض استمر عدة أيام فتوقفت جميع أعمال المعارضة وحزن شبلى لوفاة السير سيد على الرغم من الخلافات التى كانت بينهما ونستطيع أن نلمس ذلك من هذا الخطاب الذى كتبه باللغة العربية لنواب على حسن خان فى بهوبال، حيث يقول:- «تضعضعت أركان الملة أعنى انتقل السيد أحمد خان بهادر إلى جوار رحمة ربه وذلك يوم الأحد ٢٧ مارس وتفرق

---

١١) يوهان بوك (Yohan Bouke) ١٨٤٠-١٩٠٧م تولى رئاسة كلية على كَرْهـ من قبل الإنجليز عام ١٨٩٨ بعد وفاة السير سيد أحمد خان - وكان متعصبًا ورافضًا لتدريس العلوم العربية والدينية (محمد إكرام: موج كوثر: ١١٧).

(٢) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٣١٧-٣٣٠.

شملنا إنى لا أقدر على أن اشتغل بشيء إلا بعد برهة من الزمان»[1].

ومن الملاحظ أن شبلى الذى مدح السير سيد قبل ذلك عدة مرات لم يقل بيتا شعريا واحداً فى رثائه ويرجع ذلك إلى أن الشعر الكاذب لم يكن من طبيعته وأن الظروف قد تغيرت.

وبعد وفاة السير سيد آلت مسئولية الكلية إلى مستر بوك وسيد محمود ابن السير سيد أحمد خان وسكرتير الكلية وكان الأخير يزداد سوءاً يوماً بعد يوم فأخذ شبلى إجازه من بداية مايو ١٨٩٨م ثم أرسل لهم استقالته وهكذا ودع على كَرْهٍ بعد حياة حافلة بالعمل والجهد دامت ستة عشر عاماً وتوجه إلى أعظم كَرْهٍ فى يونيو ١٨٩٨م، حيث ابتنى قصراً صغيراً فى حديقة أسرته وسماه «شبلى منزل» وقد صار بعد وفاته قبراً له ومقراً لدار المصنفين، وفى تلك الفترة قام بترتيب مكتبته الضخمة وأراد أن يكمل الجزء الناقص من كتابه «الفاروق».

كان من العسير أن يقيم شبلى فى أعظم كَرْهٍ طوال العام فسافر إلى إله آباد فى سبتمبر ١٨٩٨م، ثم مرض فذهب إلى «لكناو» وأقام فى «گوله گنج» فى الندوة وتلقى العلاج هناك على يد الطبيب المشهور حكيم عبد العزيز وفكر أن يبعثه إلى مصحة للعلاج ففكر فى الذهاب إلى كشمير للاستجمام والعلاج وكان قد فكر فى ذلك منذ عدة سنوات كما مر بنا إلا أن هذه الفكرة وصلت إلى حيز التنفيذ هذا العام لتخلصه من أعباء العمل فى الكلية، ولهذا اتجه إلى كشمير فى فبراير ١٨٩٨م وهناك استرد صحته وانتهى فى ٥ يوليو من الجزء الثانى من «الفاروق» ثم عاد إلى موطنه فى ٣١ يوليو ١٨٩٨م ليباشر عمله فى «المدرسة القومية» كما كتب مقدمة «الفاروق» فى أعظم گرْهٍ فى ديسمبر ١٨٩٨ وأرسله للمطبعة فى ٨ فبراير ١٨٩٩م[2]. وفى هذه المرة اشتد عليه المرض حتى فكر فى كتابة وصيته وتصادف أن وصل إلى أعظم گرْهٍ طبيب ماهر هو الدكتور مصطفى خان وكانت تربطه صداقة مع أخى شبلى مولوى اسحاق فباشر علاجه حتى تحسنت صحته وبدأ يهتم بالتاليف وبأمور ندوة العلماء.

* مؤتمر الاستشراق بإيطاليا والرغبة فى السفر إلى إيران ١٨٩٩م:

بعد أن استرد شبلى صحته أراد أن يسافر إلى إيطاليا ليحضر جلسة مؤتمر الاستشراق

---

(١) شبلى: مكاتيب شبلى: ٢/ ٢٦١ (معارف أعظم كَرْهٍ ١٩٢٧٠م).

(٢) المرجع السابق: ٣٣١-٣٣٨.

فى أوروبا الذى كان مقرراً له أن ينعقد تلك السنة فى إيطاليا وكان هذا المؤتمر يهتم بالبحث فى العلوم والفنون الإسلامية والشرقية وكان من حسن حظه أن توماس آرنولد كان سيشارك فى هذا المؤتمر من قبل حكومة البنجاب فاقترح على شبلى السفر وكتب إلى صديقيه نواب سيد على حسن خان ومولانا حبيب الله شروانى بهذه الرغبة إلا أنه لم يستطع السفر بسبب مرضه. وفى تلك الأيام أراد والى كابل الأمير عبد الرحمن خان إنشاء إدارة للترجمة فى الهند لخدمة بلده وأراد أن يسند إدارتها لشبلى فرفض عرضه كما رفض اقتراح آخر من إحدى الإمارات بترجمة «مقدمة ابن خلدون»[١].

وبرغم مرضه إلا أنه ظل مهتماً بأمور الندوة فاقترح فى أغسطس ١٨٩٩م إدخال اللغة الإنجليزية ضمن المقررات الدراسية فى دار العلوم فعارضه العلماء الذين كانوا يعتبرون اللغة الإنجليزية جرما فادحا وذنبا عظيماً ورفضوا الاقتراح مما أحزن شبلى وسوف يأتى تفصيل ذلك فيما بعد.

ثم أراد شبلى السفر إلى أى دولة خارجية للنزهة والاستجمام فقرر السفر إلى إيران واشترى تذكرة السفر بالباخرة إلى بندر عباس لكنه لم يستطع السفر هذه المرة بسبب مرضه فقرر البقاء فى موطنه أعظم گڑھ حيث قضى عام ١٩٠٠م بها بسبب المشاكل العائلية وكانت زوجته قد توفيت منذ خمس سنوات فنصحه طبيبه الدكتور مصطفى خان بالزواج الثانى واستقر الأمر على الزواج من ابنة خال مولوى سميع الله خان على الرغم من رفض ابنه الوحيد حامد لهذا الزواج وعاش فترة فى اضطرابات عائلية ثم ما أن كاد يستريح من هذه الاضطرابات ويسترد صحته فإذا بوالده يمرض ويشتد به المرض وينشغل شبلى بتمريضه والبقاء بجواره حتى مات فى ١٢ فبراير ١٩٠٠م وتأثر شبلى وجميع الأسرة بفقده ورثاه شبلى بمرثية طويلة فقد كان عائل الأسرة الوحيد فآلت قيادة الأسرة لشبلى أكبر اخوته وكان عليه أن يؤدى دينا كبيراً على والده يقدر بنحو ثلاثين ألفا[٢]. وقد انفرد سيد سليمان الندوى برواية هذا الدين الكبير الذى تركه والد شبلى له، وقد ساهم هذا الدين برسم خط حياة ماساوية لشبلى يسير عليه لآداء هذا الدين

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٣٩-٣٤١.

(٢) المرجع السابق: ٣٤٨-٣٤٩، ٣٥٣-٣٥٥.

الكبير مع أننا نتعجب من ذلك لأن سيد سليمان ذكر هذا الدين فجأة ودون مقدمات حتى ليندهش القارئ لسيرة شبلى من هذا «العنصر المفاجيء» الذى سيغير الأحداث فيما بعد على الرغم من أن والد شبلى وأسرته كانوا من الاقطاعيين وأعيان أعظم كَرط هـ ولهم مزارع شاسعة للنيلة وقصب السكر ومصانع لتصنيعها.

*** شكوك الإنجليز فى أهداف الندوة وإقامة شبلى فى حيدر آباد من ١٩٠١ حتى ١٩٠٥م:**

فى الفترة التى كان شبلى غارقا فيها فى المشاكل العائلية جاء إلى الولايات المتحدة حاكم إنجليزى جديد هو «ماكدونال» فكان ينظر إلى المسلمين بعين الشك والريبة وكانت الندوة فى ذلك الوقت فى قمة ازدهارها وقوتها لكن لسوء الحظ نشبت نزاعات شخصية بين أكبر داعى للندوة فى لكناو محمد أطهر على كاكورى ونصرت على السند يلوى فاغتنم الأخير هذه الفرصة للقضاء عليه فوشى به عند الحاكم الإنجليزى فحامت حوله الشكوك السياسية ونتيجة لهذا غادر كبار أعضاء الندوة الإقليم بل والهند البريطانية فذهب أطهر على إلى حيدر آباد ورحل مولانا سيد محمد على مدير الندوة إلى الحجاز عام ١٩٠١م وخلفه فى إدارتها مولانا عبد الحق حقانى الدهلوى، ورحل شبلى إلى حيدر اباد فى نهاية فبراير ١٩٠١م فنزل ضيفا على مولوى عزيز ميرزا[١] وفى اليوم الثانى علم مولوى سيد على بلجرامى بوصوله فجاء إليه بنفسه وأخذه منزله وتوافد عليه الناس ليعلنوا عن سعادتهم لمجيئه حيدر آباد وفى مارس انعقدت جلسة مهيبة اجتمع فيها نحو ألف وخمسمائة عالم لسماع خطبة شبلى وكان وزير العدل رئيسا للجلسة وخطب شبلى خطبة عصماء تحدث فيها عن علم الكلام بأسلوب علمى مهذب.

وكانت الحكومة فى حيدر آباد قد أقامت هيئة كبيرة للشئون الدينية ينطوى تحت رئاستها جميع المساجد والكنائس والأماكن الدينية والأوقاف فأراد نواب مدار المهام أن يسند إليه إدارة هذه الهيئة لكن شبلى رفض لأن راتب هذه الوظيفة ضئيل من جانب ولأن الأوضاع السياسية فى حيدر آباد كانت تمر بمنعطف دقيق وحساس. وفى تلك الفترة أقام سيد على بلجرامى إدارة للعلوم والفنون فى عهد نواب سر وقار الأمراء بهادر وكان الهدف منها جمع ذخيرة من الكتب العلمية فى اللغة الأردية عن طريق التأليف

---

(١) حالى: مكتوبات حالى: ١/ ٤١.

والترجمة والنشر ووقع اختياره على شبلى لتولى إدارة هذه الإدارة بمرتب قدره اربعمائة روبية شهريا[١]. وكان اختياراً موفقًا وقد نشر لشبلى عدة كتب ضمن هذه السلسلة وهى: الغزالى والكلام وعلم الكلام وسوانح مولانا روم.

وفى بداية عام ١٩٠٥م غادر شبلى حيدر آباد متوجها إلى لكناو وبدأ فى عمل آخر وبدأ شبلى يعمل فى تاليف «شعر العجم» وفى نهاية سبتمبر ١٩٠٦م بدأ إعداد أجزاء من كتابه «موازنة أنيس ودبير» للطبع فى مطبعة مفيد عام باكَره ثم اتجه لتاليف «شعر العجم» وفى خلال رئاسة شبلى لإدارة الفنون والعلوم فى حيدر آباد تم تاليف وطباعة عدة كتب تحت رعايته مثل كتاب «الآلات» فى الميكانيكا وهو باللغة العربية وطبع كتاب «نظام اكبرى» فى حيدر آباد عام ١٩٠١م والجزء الثالث من كتاب «تاريخ الدكن» باكَره عام ١٩٠٣م. وفى تلك الأثناء حاول نواب محسن الملك جاهداً أن يُخرج شبلى من هذا الصراع الذى تملكه بإعادته مرة أخرى إلى كلية على كَرط هـ إلا أن شبلى لم يوافق على هذا العرض وكان ما يشغل بال شبلى فى هذه الفترة هو سداد الديون المستحقة عليه حتى إنه فكر فى بيع مكتبته الخاصة[٢].

*** شبلى يكرس جهوده للندوة :**

كان شبلى أسير للوظيفة الجديدة لذا لم يتمكن من حضور الجلسة السنوية للندوة فى كلكتا عام ١٩٠١م ولكنه أعرب فى رسالة له عن أنه سوف يتخلص من جميع ارتباطاته قريبا ويتفرغ لأعمال الندوة ويكرس جهوده لها وكان شبلى قد أظهر هذه الرغبة مرارا فى خطاباته الشخصية إلا أن هذه أول مرة يعلن فيها رغبته على الملأ وقد خطت الندوة خطوة كبرى نحو التقدم فى العملية التعليمية حيث أضيفت فرقة رابعة للتعليم الابتدائى وتم فتح الفصل الأول من التعليم المتوسط فى شوال ١٤١٩هـ - فبراير ١٩٠٢م. وبعد شهر انعقدت الجلسة السنوية للندوة فى أمر تسار فى رجب ١٣٢٠هـ - أكتوبر ١٩٠٢م وقدم شبلى أفكاره على هيئة بكائية موزونة فى «تركيب بند»[٣] فارسى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٥٨ - ٣٦٢.

(٢) المرجع السابق: ٣٨١ - ٣٨٥.

(٣) «تركيب بند» هو نوع من القصائد يتكون من عدة مقطوعات متساوية تسمى القطعة منها «بند» وهى متفقة فى الوزن ومختلفة فى القوافى ويوجد مصرع أو بيت شعر يردد فى نهاية كل بند
(الرازى: المعجم فى معايير أشعار العجم: ٣٧٢).
وللتركيب بند نوعان: الأول أن يكون لشطرى هذا البيت نفس القافية فإن جمعناهما يتكون مثنوى.
والثانى أن تكون جميع هذه الأبيات فى قافية واحدة فإذا جمعناها تتكون وحدة جديدة. =

وطبعها منشى رحمت الله رعد فى مطبعة نامى قبل الجلسة. يقول فى مطلعها:

اى كه پرسى چه كسانيم وچه سامان د اريم ∴ انچه باهيج نيرزد بجهان آن د اريم(١)

كما كتب شبلى تقريرا كاملا عن مسألة ختم النبوة « ليردبة على مزاعم مرزا غلام أحمد القادياني(٢)

وألقاها أمام الحاضرين فتأثروا بها كثيرا. وفى جلسة خاصة فى أمر تسار قام العلماء

= (مرزا قادر بخش صابر: كَلستان سخن. الجزء الأول. ٧٩).

وجرى العرف الا تزيد وحدات البند عن عشرة ولا ينقص عن خمسة وان تكون الابيات فى كل قسم ثمانية أو عشرة. والترجيع بند والتركيب بند قريبا الشبه بالموشحات العربية التى اخترعها شعراء الأندلس فى أواخر القرن الثالث الهجرى، ثم ظهرت بعد ذلك فى المشرق العربى فى شعر ابن المعتز. وفيها تنقسم المنظومة إلى عدة أبيات فى كل واحد منها أشطر متفقه فى القافية يعقبها بيت يوافق فى قافية نظائرها فى المنظومة كلها. أو فى كل قسم أبيات ذات قوافى متفقة يفصلها بيتان ذات قافية واحدة وكذلك ضرباهما فى المنظومة كلها.

(عبد الوهاب عزام: أوزان الشعر وقوافيه فى العربية والفارسية والتركية.

مجلة الآداب. المجلد الأول. الجزء الثانى. ديسمبر ١٩٣٧م ص:٥٣.)

(١) ألا أيها السائل من نحن وأى متاع لدينا، إننا نمتلك فى الدنيا ما لا يساوى شيئًا.

(٢) مرزا غلام أحمد القادياني: مؤسس الفرقة « القاديانية » ولد فى البنجاب فى عام ١٨٣٧م فى قرية « قاديان » بجوردا سبور وبعد أن تلقى تعليمه الأولى بدأ يهتم بالأمور الدينية ويتناظر كثيرا مع مبشرى الكنيسة الاسكتلندية وكان يعيش فى حالة من الغياب عن الذات وفى هذه الحالة بدأ يتدرب على الكتابة بالأردية والفارسية والعربية ونشر « براهين حمدية » عام ١٨٨٠م، وكان به مسائل خلافية عديدة وفى عام ١٨٩١م إدعى أنه المسيح المنتظر والمهدى وبذلك فتح باب الخلاف بينه وبين المسلمين وافتى مولوى محمد حسين بتالوى بتكفيره كما عارضة القساوسة وأسس مجلة « ريو يوآف ريلجينز » أى بحث فى الأديان عام ١٨٩٢م وعن طريقها بدأ فى نشر أفكاره ومعتقداته وتوفى فى ٢٦ مايو ١٩٠٨م فى لاهور ودفن فى قاديان.

(محمد إكرام: موج كوثر: ١٧٧ – ١٧٨).

وتنتسب الطائفة القاديانية إلى مدينة قاديان بالهند، وأحيانا يطلق عليهم اسم « الاحمدية » لانتسابهم فى مذهبهم إلى رجل اسمه « غلام أحمد » أى عبد النبى عليه السلام.

وادعى غلام أحمد أنه المسيح الموعود، بمعنى أنه جاء بقوة وروح عيسى عليه السلام وادعى أيضا أنه هو النبى الذى تنبأت بظهوره فى آخر الزمان أغلب الديانات العظيمة وأكد أن القرآن هو آخر كتاب تشريعى موحى به من الله تعالى وأن محمداً ﷺ آخر الأنبياء أيضا ليفسر القرآن وتعاليم الإسلام فى ضوء الوحى الإلهى بما يطابق العصر الحاضر، وليكون هو نفسه مثالا يبين الحياة الإسلامية. وللقاديانية رئيس دينى يلقبونه بلقب أمير المؤمنين وخليفة المسيح الموعود والمهدى المعضود. وقد صادفت الدعوة القاديانية نجاحا فى بعض جهات افريقية وأخذوا يبشرون بالإسلام فى أوروبا وأمريكا وآسيا وشيدوا بعض المساجد فى إنجلترا وقد قل نشاطهم الآن وضعفت حماستهم. (الشهرستانى: الملل والنحل: ٢/ ٦٢-٦٣).

ببحث المقررات الدراسية وفى النهاية وافقوا على إصلاح المقررات الدراسية وقرروا بعض القواعد والأسس الجوهرة فى هذا الموضوع وبذل شبلى جهوداً خارقة لتغيير مناهج الدراسة القديمة مثل: كتاب ملا جلال وشرح جامى وفصول اكبرى والكافية والميبذى والشافية وغيرها واقترح بدلا منها كتبا جديدة.

وكانت الندوة فى قمة تدهورها فى تلك الأيام حيث تنح مولانا سيد محمد على عن إدارتها وتولى الإدارة بعده مولانا مسيح الزمان خان شاهجها نبورى وانتقلت إدارة الندوة إلى شاهجان بور وفى نفس السنة أى فى ١٩٠٣ م سلم إدارة الندوة ورعايتها إلى منشى محمد أطهر على حاكم كاكورى وعقدت الندوة اجتماعها السنوى فى مدراس فى عام يناير ١٩٠٤م ورأس شبلى الجلسة الرابعة التى عقدت يوم ٦ يناير واقترح شبلى بناء إحدى قاعات دار العلوم من عائد تبرعات العلماء فقط ووافقه على هذا الاقتراح ملا عبد القيوم حيدر آبادى وبناء على هذا انهالت تبرعات العلماء وكانت فرصة طيبة لتنقية الأجواء بين العلماء وتم حسم موضوع المقررات الدراسية وورد اسم شبلى ضمن مسئولى الندوة وفى هذه السنة قرر شبلى أن يطبق المقررات الجديد فى دار العلوم ويقيم عدة أيام فى لكناو ليطلع عن كثب على عيوب الندوة ودار العلوم وكيفية إصلاح هذه العيوب(١).

*** شبلى سكرتيرا لجمعية تطوير الأردية «انجمن ترقى اردو» يناير ١٩٠٣م:**

فى عام ١٨٦٦م قاد السير سيد حركة لإقامة جامعة للغة المحلية عن طريق الجمعية الهندية الإنجليزية «برتش انديين ايسوسى ايشن» وكانت اللغة الأردية فى ذلك الوقت لغة حكومية فكان يبدو من هذا أن الجامعة المحلية تعنى جامعة اللغة الأردية وعندما فهم الهنود ذلك طالبوا بجامعة للغة الهندية أسوة بجامعة الأردية ونتيجة لهذا فشل هذا الاقتراح وبدأت محاولات من جانب الهنود فى إقليم بهار والأقاليم المتحدة لنشر اللغة الهندية فى المصالح الحكومية ونجحت فى بهار، مما حدا بالسير سيد أن ينشىء لجنة مركزية فى إلة آباد لحماية الأردية عام ١٨٧٢م وردا على ذلك قام الهنود بالدعوة إلى نشر اللغة الهندية والأبجدية الديونا جرية أى السنسكريتية فى الإدارات الحكومية وجاء السير انطونى مكدونال فأصدر أمرا حكوميا فى ١٩٠٠م يسمح باستعمال الحروف الناجرية فى الادارات الحكومية فاصاب هذا الأمر المدافعين عن الأردية فى مقتل وقرر العلماء فى

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٨٦ - ٣٩٩.

نهاية ديسمبر ١٩٠٢ وأوئل يناير ١٩٠٣م عقد مؤتمر «مسلم ايجوكيشنل كانفرانس» أى المؤتمر التعليمى الإسلامى» جلسته فى دهلى وانبثقت منه لجان عديدة كان من بينها لجنة اللغة الأردية واسمها «انجمن ترقى اردو» أى «جمعية تطوير الأردية» وتم تعيين شبلى النعمانى سكرتيراً لها فقام باختيار كتب عربية وفارسية وإنجليزية جديرة بالترجمة ودعا العلماء والمفكرين للاشتراك فى هذا العمل القومى وعين المترجمين وانتشر نوع من الحماس الهادر للغة الأردية فى سائر أنحاء، الهند وعندما اشتكى كَتكَابرشاد مدير تحرر جريدة «أخبار هندوستانى» بلكناو فى جريدته أن الجمعية تفصل أعمال الهنود فى الأردية على حدة قام شبلى سكرتير الجمعية وكذب هذا الزعم فى الصحف وأكد بالدلائل العلمية القاطعة تعارض هذه الفكرة مع قواعد الجمعية لأن أول جائزة تمنحها الجمعية لكتاب أردى كانت لمترجم هندى هونراين برشاد درما وهو خاص بالهندوس واسمه «بيغمبران هند» أى «رسل الهند» وفيه تذكرة لـ سروى كرشن جى وبوذا وهما أصل أصول الديانة الهندوسية.

وقد واصلت الجمعية نجاحها فى العام التالى ونشرت عددا من الكتب كما اهتمت بالمقررات الدراسية الأردية ومن هذه الكتب التى اعتنت بها الجمعية: ترجمة كتاب «التعليم» لهربرت سبنسر وترجمة «محاضرات موللر» وترجمة كتاب «الأبطال» لكارلايل وكتاب إلهيات ونامه دانشوران ومعارف ابن قتيبة والقمر و«تاريخ الحضارة» لبكلر وسوانح عمرى أمير خسرو الدهلوى وقديم فارسى وسوانح عمرى ميرانيس وطريقة حكم الإنجليز وغيرها كما أبدى شبلى اهتمامه بترجمة المصطلحات العلمية فى العلوم ثم تركها شبلى فى عام ١٩٠٥م وذهب للتفرغ لندوة العلماء(١).

*** شبلى مديرا لدار لعلوم من ١٩٠٥ حتى ١٩١٣:**

ذُكر اسم شبلى مديرا لدار العلوم لأول مرة فى ١٦ من ذى الحجة ١٣٢٠ هـ الموافق ١٦ مارس ١٩٠٣م فى شاهجهان پور عندما قدم مولانا غلام محمد فاضل هوشيارى هذا الاقتراح لمجلس الإدارة ووافق الأعضاء بالإجماع وطلبوا من شبلى أن يأتى إلى لكناو وجاء شبلى وتسلم منصبه فى ١٥ من صفر ١٣٢٣هـ الموافق أبريل ١٩٠٥م فكانت فرصة كبيرة لشبلى لإصلاح التعليم العربى وتطوير المناهج وتطبيق المقررات الدراسية الجديدة.

وقد قام شبلى بتنفيذ عدة اجراءات هى:

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٤٠١ – ٤٠٧.

* إدخال التعليم الإنجليزى:

كان شبلى يريد أن يلم العلماء بقدر من اللغة الإنجليزية ليحافظوا على وقارهم ومنزلتهم العلمية فى العصر الحديث لكى يستطيعوا أداء فريضة نشر الإسلام وتبليغه فى بلدهم والبلاد الأجنبية الأخرى إلا أن طلبه هذا رفض أولا فلم ييئس وقدمه مرة أخرى وتمت الموافقة عليه على الرغم من المعارضة الشديدة التى واجهها من كبار الأعضاء وعلى رأسهم العالم المستنير مولانا شروانى، فى حين هدد البعض الآخر بسحب الممتلكات التى أوقفوها للندوة إلا أن شبلى والأعضاء الآخرين الذين كانوا يؤمنون بأهمية التعليم الإنجليزى أصروا على رأيهم وتم تعيين أستاذ إنجليزى لتدريس اللغة الإنجليزية فى آخر ربيع الأول ١٣١٩هـ / ١٩٠١م؛ ونتيجة لذلك ظهرت جماعة من الطلاب الذين تعلموا اللغة الإنجليزية وأدوا خدمات جليلة منهم مولوى ضياء الحسن العلوى الذى تعلم فى دار العلوم ثم صار مفتشا على المدارس العربية ومولوى عبد البارى الندوى الذى ترجم العديد من كتب الفلسفة عن الإنجليزية، وكتب سيد سليمان الندوى «أرض القرآن» واستفاد من مؤلفات الأوربيين كثيرا وشارك فى مؤتمر الخلافة فى إنجلترا عام ١٩٢٠م وغيره من الأمثلة الكثير(١).

* التعليم الهندى والسنسكريتى:

قام شبلى بفتح فصل تعليمى لدراسة اللغة الهندية والسنسكرتيية لأن تعلم هذه اللغات يمكن الطلاب من عقد المقارنات اللغوية مع اللغات الأردية وكانت رائجة آنذاك واقبل كل من محمد حسين من أعظم كَرط هـ وسيد إمداد حسين من هو نشيارپور على تعليم هذه اللغات.

* اللغة العربية الحديثة:

كانت اللغة العربية التى تدرس فى الهند ويتحدث بها الناس ويكتبون بها الكتب والرسائل تعد لغة قديمة لا تفى بضروريات العصر الحديث حيث استحدثت آلاف الألفاظ الجديدة للأشياء الحديثة والتى بدونها لا يستطيع المرء أن يفهم الصحف والمجلات والكتب العربية الحديثة، وكان شبلى عندما عاد من رحلته فى مصر والشام قد أعد فهرسا للكلمات العربية الحديثة المستخدمة فى الحياة اليومية فى البلاد العربية وطبعه فى نهاية كتابه «سفر نامه» وكانت المجلات العربية كالمقطم واللواء والمنار والمؤيد وغيرها تأتى

(١) المرجع السابق: ٤١٢ و ٤١٥ - ٤٢٠.

إليه من مصر والشام فقرر أن يدخل اللغة العربية الحديثة وكان ذلك فى عام ١٩٠٨م وقد أدى هذا الإجراء إلى تكوين كوادر ناجحة على معرفة تامة بمصطلحات هذه اللغة الحديثة واقترح شبلى على سيد سليمان الندوى إعداد قاموس للكلمات الحديثة فأعده فى عامين فساعد كثيرا من الطلاب فى المدارس العربية ودار العلوم فى حل كثير من صعوبات الكلمات والمصطلحات الحديثة.

*** الاعتناء بالطلبة الموهوبين:**

بمجرد أن وطئت أقدام شبلى دار العلوم جمع حوله الطلبة الموهوبين وأولاهم رعايته وكان على رأسهم: مولانا ضياء الحسن العلوى وجواد على خان وعبد السلام الندوى وكان للأخير موهبة فطرية فى الكتابة. فكان يسلم لهم الصحف والمجلات العربية ويطلب منهم تلخيص وترجمة بعض موضوعاتها.

وكان شبلى يهتم كذلك بتدريب الطلاب على الخطابة فى الموضوعات العلمية حيث يحدد لهم الموضوعات ويدربهم عليها بالتناوب ومنهم مولوى عبد البارى بهارى وقد خطب بنجاح فى جلسة الندوة فى بنارس فى أبريل عام ١٩٠٦م وسعد شبلى به وألبسه عباءته.

*** اختيار المدرسين المؤهلين:**

كان شبلى يرى أن وجود المدرسين المؤهلين شرط هام لنجاح العملية التعليمية ولهذا يختارهم بنفسه لهذه المهمة الصعبة، فعين القاضى تلمذ حسين مدرسا للغة الإنجليزية وظل يعمل سنوات طويلة فى دار الترجمة بالجامعة العثمانية، واختار مولانا شير على مدرسا للفلسفة والعقليات وهو من أنبغ تلاميذ مولانا هدايت الله خان رامپورى ومفت عبد الله تونكى، والشيخ محمد طيب وكان بارعا فى الأدب والعقليات(١).

*** بدء الدراسة لمرحلة الدراسات العليا :**

قام شبلى بفتح فصول خاصة للدراسات العليا فى علم الكلام وعلم الأدب وأعد لجنة كبيرة لإعداد المقررات الدراسية وأشرف عليها بنفسه ووضع لها اللمسات الأخيرة.

*** حادثة قدم شبلى ١٧ مايو ١٩٠٧م:**

فى هذه الأيام قرر شبلى أن يقيم عدة شهور فى أعظم كَرطهِ لينتهى من كتابه

(١) المرجع السابق : ٤٢١ - ٤٢٢.

« شعر العجم » فذهب إلى أعظم كَرط هـ فى نهاية مارس وبدأ فى تأليف الجزء الأول من شعر العجم ، وفى ١٧ مايو ألَم به حادث مؤلم عندما انطلقت إحدى الرصاصات وأصابت قدمه مما أدى إلى بترها. وقد وصف شبلى هذه الحادثة بالتفصيل فقال : « كنت قد جئت إلى بلدتى لحضور إحد الجلسات والإقامة عدة شهور لتأليف « شعر العجم » وفى يوم ١٧ مايو كنت أعلق على ملحمة الشاهنامة وتوجهت إلى حجرة النساء وجلست على إحدى الأرائك وقدمى متدلية منها ثم امتدت يدى لبندقية تحت الأريكة وأعطيتها لأحداهن (زوجة ابنه) وكانت مليئة بالرصاص فضغطت خطأ على الزناد فانطلق منها رصاصة حطمت عظام قدمى تماما لأن البندقية كانت على بعد شبر واحد من قدمى ولهذا انقطعت تماما عدا بعض العروق ولم أشعر وقتها بما حدث فدخل بعض الناس عندما سمعوا الصوت واستدعوا الطبيب فقرر أن يبتر قدمى حتى منتصف الساق »(١).

وعندما وصل هذا الخبر الندوة عم الذعر وانتشر الاضطراب بين الطلبة فأرسلوا له البرقيات وسافر بعضهم لعيادته وعلى رأسهم سيد سليمان الندوى الذى كتب تفاصيل الحادث فى الصحف وفى مجلة الندوة، وبعد ذلك توجه شبلى إلى لكناو وأعد له الدكتور عبد الرحيم مرهما لكنه لم يفد، ثم سافر شبلى إلى بومباى ليحضر منها قدما صناعية من الخشب ليمشى عليها لكنها كانت ثقيلة، وعندما سافر إلى حيدر آباد للإشراف على إنشاء جامعتها كان نواب افسر الملك بهادر قائدا للجيش الآصفى فأمر بإعداد قدم أخرى بعناية فى المصنع الحكومى وقدمها لشبلى فكانت مريحة وخفيفة.

وقد انعكس هذا الحادث على الحياة الأدبية فى ذلك الوقت وقام الشعراء بنظم الرباعيات حوله وكان على رأسهم : حالى وسيد على حسن خان وخواجه عزيز الدين ومولوى اقبال أحمد سهيل وعبد السلام الندوى وسيد سليمان الندوى وقام الأخير بنظم قصيدة عربية يهنئه فيها بسلامته ونشرت فى « الندوة » فى سبتمبر ١٩٠٩م ويقول مطلعها :

---

(١) شبلى : باقيات شبلى : ١٩١ - ١٩٤ وشعر العجم : ٣/١ (طبعة معارف أعظم كَرط هـ . ط ١٣٣٩٠٣م).

عـاد الربيع لروضي بعـد مـا ذهبـا وعـمّـر الله ربعي بعـد مـا خـربا

وازينّت الأرض خضـرا بعـد مـا يبـست والبـرق عـاد سناه بعـد مـا احتـجبـا(١)

وقد قابل شبلى هذا الحادث والتعامل مع قدمه الصناعية بنوع من السخرية والفكاهة فى حديثه وأشعاره.

* بداية العلاقات بين الندوة والحكومة الإنجليزية :

كانت سنة ١٩٠٨ من أهم السنوات فى تاريخ الندوة وعمادة شبلى حيث تم إزالة الشكوك والظنون السياسية التى كانت تحوم حول الندوة وكان منشى محمد أطهر على ونواب محسن الملك بهادر ورئيس القضاة سيد شرف الدين قد بذلوا قصارى جهدهم لإزالة هذه الشكوك إلا أن هذه الجهود أتت ثمارها فى عهد عمادة شبلى للندوة فقد كان عبد المجيد خان وزير خارجية إمارة بتيالة فى ذلك الوقت له علاقات قوية وراسخة مع الإنجليز وكان من أنصار الندوة، فى نفس الوقت فتقابل مع شبلى ونجح فى التقريب بين الندوة والحكومة الإنجليزية وقام منشى حسين قدوائى المحامى وهو من أنصار الندوة بتوجيه نظر الحكومة لمساعدة ندوة العلماء ووجد لها نداء فى صحيف «اندين ديلى تيلكراف» بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٠٨م ووافقت الحكومة الإنجليزية على منح الندوة مساعدة شهرية قدرها خمسمائة روبية دون أى شروط وذلك فى ١٠ نوفمبر ١٩٠٨م كما وعدت الحكومة الندوة بأنها لن تتدخل فى مقررات المدرسة أو فى لوائحها وأن يتم إنفاق هذا المبلغ على الأدب العربى والإنجليزى والرياضيات وغيرها ما عدا التعليم الدينى، وبناء على هذا تم تعيين أساتذه لتعليم اللغة الإنجليزية والرياضيات(٢) وعُين سيد سليمان الندوى أستاذا للأدب العربى الحديث، وقام شبلى بتطوير تدريس العلوم الدينية فى المدرسة لكى تواكب التطور الذى حدث فى العلوم الحديثة الأخرى فقام بجولة فى البنجاب وإقليم بهار وحصل على مساعدات قيمة لهذا الغرض.

وبعد ذلك شارك شبلى فى جلسات الندوة السنوية فى دهلى ١٩١٠ وفى لكناو ١٩١٢م وقد قدم شبلى فيهما مقترحات قيمة وكانت جلسة لكناو من أنجح جلسات الندوة من الناحية المعنوية حيث رأسها سيد رشيد رضا مدير تحرير مجلة المنار المصرية وكان بينه وبين شبلى صداقة بدأت عندما نشر له رشيد رضا نقدا على كتاب جورجى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٤٠١ – ٤٠٧.

(٢) المرجع السابق: ٤٧٦ – ٤٧٨.

زيدان «التمدن الإسلامى».

*** معارضة شبلى واستقالته من رئاسة الندوة:**

عندما سُلمت مقاليد تنظيم «ندوة العلماء» لشبلى عام ١٩٠٥م قُسمت أعمال الندوة إلى ثلاثة اقسام وتم تعين رئيس لكل قسم وذلك لعدم وجود شخص يمكن الاعتماد عليه تماما فى تسيير أمورها المتشعبة. فكان شبلى النعمانى مديرا لدار العلوم وإداراتها التعليمية، ومولانا حكيم سيد عبد الحى مديرا لإدارة المراسلات، ومنشى محمد احتشام على مديرا ماليا، فكان هذا النظام يفتقر إلى التجانس والوحدة لأن هذه الفروع الثلاثة لم تكن تلتقى فى فرع واحد، ونتيجة لهذا التفكك فقدت الندوة روح التعاون البناء حتى جاء وقت أساء الناس فيه الظن بالمسئولين عن الندوة بل وبدأ كل واحد من المسئولين ينظر لأعمال الآخر بعين الشك والريبة، ومع أن هذا التقسيم نظم الأعمال الإدارية للندوة إلا أنه لم يحقق الهدف الأساسى للندوة فلم يتم تنفيذ أهم الإصلاحات ولم تتحقق المطالب القومية والدينية فى حين انصرف باقى أعضاء ومديرى الندوة إلى أعمالهم الخاصة بينما كرس شبلى جهوده لخدمة الندوة والعمل على أن يحقق أهدافها وجعل حياته وقفا لها، ولهذا كان من الطبيعى أن يتدخل شبلى فى أعمال الندوة إلا أن أعضاء الندوة الآخرين اعتبروا هذا تدخلا سافرا من شبلى تجاوز فيه حدود واجباته المنوط بها وبناء على ذلك بدأت بذور الفرقة والشقاق وبدأ أعضاء الندوة ينظرون إلى شبلى بعين الحسد حتى تطور ذلك إلى نوع من المعارضة ، وتركزت المعارضة على فكرة أن شبلى من أنصار حركة على كَرط هـ حيث قضى شطراً كبيرا من حياته حوالى ستة عشر عاما فى على كَرط هـ وأنه جاء إلى الندوة ليفسد هذه الحركة الدينية التى كانت تُعد على النقيض من حركة على كَرط هـ العلمانية، وطبقا لهذا الظن اهتزت صورة شبلى فى عيون العلماء والطلاب نتيجة هذه الفكرة الخاطئة مع أنه كان على خلاف شديد مع حركة على كَرط هـ وعارض كثيرا من آراء السير سيد السياسية والدينية(١).

وقد اعترض العلماء على الأفكار والآراء الدينية التى وردت فى كتابى شبلى «الكلام» و«علم الكلام» كما اعتبروا رئاسته لمؤسسة تعليمية دينية غير لائق، ورفض عدد كبير منهما الإصلاح والتطوير الذى كان شبلى يريد أن يقوم به فى نظام التعليم

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٣٨ – ٦٣٩.

بدار العلوم وبمرور الأيام تزايد أعضاء الندوة المعارضين لشبلى، ولم ينتبه شبلى لذلك ولم يحفل بما يحيكونه فى الخفاء واستعد هؤلاء المعارضون جيدا للخروج على شبلى وعقدوا جلسة عامة كانوا هم الأكثرية وأنصار شبلى أقلية فتولوا مقاليد الأمور فى مجلس إدارة الندوة، ووقع خلاف بينه وبين نائبه مولانا خليل الرحمن اتخذ شكلا خفيا فى البداية، ثم تحول إلى حرب علنية عندما قدم اقتراحا لمجلس الإدارة طالب فيه بإعفاء شبلى من منصبه كما رفض التصديق على موضوع «الوقف على الأولاد» ثم بدأت هوة الخلافات تتسع حتى طلبوا منه الشهادة كأنه مجرم فتأثر بهذا الإجراء وبدأ يستعد للانفصال عن الندوة إلا أن العقيد عبد الرحمن خان وزير خارجية إمارة بتياله عقد اجتماعا لمجلس الإدارة وتصالح الجميع وخيم السكون والهدوء على أركان الندوة بعض الوقت، وفى بداية عام ١٩١٣م ظهرت فتنة جديدة كان بطلها مولوى عبد الكريم الذى كتب موضوعا طويلا عن «الجهاد وفضله» ونشر فى مجلة الندوة فى ديسمبر ١٩١٢م وكانت هناك حالة من الاضطراب بين المسلمين بسبب حرب طرابلس والبلقان، كما أن كلمة «جهاد» كانت تثير حساسية شديدة عند الإنجليز والمسلمين على السواء وكان هذا المقال دليلا على التهم السياسية[١] من جانب الإنجليز تجاه «الندوة».

ونسب البعض إلى شبلى سوء النية فى هذه الفتنة وعلى رأسهم وحيد الدين سليم مدير تحرير «مسلم گزت» حيث ساهم بشكل خاص فى نشر هذه الفتنة مع أن شبلى لم يكن له أدنى دخل فيما حدث.

وسئم شبلى من هذه الفتن وقرر الاستقالة من إدارة دار العلوم ففى يوليو ١٩١٣م أرسل للندوة استقالته من بومباى وتبعه فى ذلك مديرون آخرون مثل: مولوى سيد عبد الحى ومنشى احتشام على وقدم عدد من أعضاء مجلس الإدارة استقالته وانعقدت جلسة مجلس الإدارة فى ١٨ و١٩ و٢٠ يوليو ونُصب مولوى خليل الرحمن مديراً لدار العلوم ومنذ ذلك الوقت سُلمت مقاليد الأمور فى الندوة للحكومة ونزل خبر استقالة شبلى كالصاعقة على الطلاب وأبرقوا له يطلبون منه العدول عن الإستقالة إلا أنه رفض أن يتولى المسئولية بشكل رسمى وقرر أن يكون عضوا عاديا فى الندوة.

ثم سافر شبلى إلى حيدر آباد فى منتصف أكتوبر ١٩١٣م بناء على رغبة نواب عماد الملك الذى كان يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية باقتراح من شبلى فكانت

---

(١) المرجع السابق: ٦٤٠ – ٦٤٦.

فرصة للتشاور حول الترجمة وتقدم نواب عماد الدين بطلب زيادة مرتب شبلى إلى نواب مير عثمان على خان فوافق على إضافة مائتى روبية إلى راتب شبلى لمساعدته فى اعماله القومية، ووجد شبلى التشجيع والعناية فى حيدر آباد فقام بها ثلاثة اشهر انصرف كلية إلى تكميل المجلد الأول من «سيرة النبى» وعاد إلى لكناو فى ٨ ديسمبر ١٩١٣م[١]. وفى تلك الفترة حدث إضراب كبير بسبب منع الطلبة من المشاركة فى الندوات السياسية.

* **تأسيس مجلس إصلاح الندوة :**

لم ييأس شبلى من إصلاح الندوة فدعا أصدقاءه وتلاميذه بتقديم الاقتراحات لإصلاح الندوة وأرسل خطابات بهذا الصدد إلى كل من نواب سيد على حسن خان ومولانا أبى الكلام آزاد ومسعود على ندوى وسيد سليمان الندوى وتهيأ الجميع لإصلاح الندوة، وعقد مجلس الإدارة ٢٦ و٢٧ و٢٨ مارس وانتشر الخبر فى الجرائد وذاع فى أنحاء الهند واحتج بعض الأعضاء على فكرة الإصلاح إلا أن عدد الأعضاء الذين وافقوا على الإصلاح اقترب من ثلثى الأعضاء واتفق الجميع على تأسيس مجلس إصلاح الندوة فى أبريل ١٩١٣م واختير نواب سيد على حسن خان رئيسا للمجلس ومولوى نظام الدين حسن نائبا له وقبل كثير من أعيان المسلمين ورجالاتهم عضوية هذا المجلس وأقيمت فروع له فى مراكز وقرى الهند وعقدت الجلسات لتأييد المطالبة بالإصلاح وكتب شبلى مقالة قوية بعنوان:[٢] «اسرايك كاسبب كون تها» أى من كان السبب فى الإضراب ونشرت هذه المقالة فى صحيفة «همدرد» دهلى فى ١٦ أبريل ١٩١٤م.

وقام أبو الكلام آزاد وصحيفته «الهلال»[*] بتبنى فكرة إصلاح الندوة بمقالاته النارية التى عمت فى جميع أنحاء الهند وتمت دعوة حكيم أجمل خان للمشاركة فى مجلس عرض الآراء فى ١٠ مايو ١٩١٤م وعقد المؤتمر الإصلاحى.

وقام المعارضون باستخدام آخر سلاح لهم لتعويق الحركة الإصلاحية فأفتوا بتكفير شبلى وكان منزل مولانا عبد الحق حقانى مركزا للعلماء وأعضاء الندوة المعارضين

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٥٠ - ٦٥٣.

(٢) شبلى: مقالات شبلى: ٨/١٢٨.

(*) صحيفة «الهلال» أسسها أبو الكلام آزاد عام ١٩١٣م، وقد استمرت فى الصدور عام ونصف من فبراير ١٩١٣م إلى اغسطس ١٩١٤م ثم أغلقها الإنجليز.

واتهموه ورموه بالكفر استنادا على بعض عبارات كتابيه «الكلام» و«علم الكلام» وأنه يقول «بقدم المادة وأن النيوة مكتسبة» وذاعت هذه الفتوى فى جمع أنحاء الهند، فقام سيد عبد السلام صاحب المطبعة الفاروقية بدهلى بتقديم استفسار لشبلى يقول: هل تقول إن مادة العالم قديمة وإن النبوة مكتسبة؟ فرد عليه شبلى ردا مفصلا قال فيه: «أنا لا أعتقد أن مادة العالم قديمة لكننى موقن بأن جميع الصفات الإلهية قديمة، ولا أعتبر النبوة عملا مكتسبا بل هبة إلهية» وقد قام سيد عبد السلام بنشر هذا الرأى وأخمد هذه الفتنة(١).

وقد انعقد المؤتمر على كل حال فى موعده المحدد برئاسة مولانا ثناء الله أمر تسرى وتمت الموافقة على عدة قرارات واقتراحات، وتم تكوين لجنة عامة للمؤتمر ضمت أبا الكلام آزاد ومحمد على وثناء الله أمر تسرى وخواجه غلام الثقلين وغيرهم.

*** وفاة مولوى محمد إسحق وعودة شبلى إلى اعظم كَرطهـ لإنجاز أعماله:**

بعد وفاة الشيخ حبيب الله والد شبلى تحمل أخوه مولوى محمد اسحق جميع أمور الأسرة والمعاملات المالية الخاصة بها وكان محاميا ناجحا فى المحكمة العليا بإله آباد وكان عالى الهمة صائب الرأى ومن وجهاء القرية والذين يمثلون الرأى العام فى إله آباد إلى جانب مشاركته فى الأمور السياسية الأخرى، وقد وصل شبلى خبر مرض أخيه فى شهر يوليو ١٩١٤م فى الوقت الذى كان فيه منهمكا فى تكميل الجزء الأول من السيرة النبوية فتوجه إليه فورا وكان المرض قد اشتد عليه ولم يتمكن الأطباء من تشخيص المرض وتوفى بعد خمسة عشر يوما من المرض فى أغسطس ١٩١٤م ودفن بإله آباد وتأثر شبلى تأثرا بالغا بوفاته ورثاه بهذه المرثية:

وه برادركه مرا يوسف كنعانى تها　　وه كه مجموعه هر خوبي انسانى تها

وه كه كَهر بهر كيلى، رحمت يزدانى　　قوت دست ودل شبلى نعمانى تها(٢)

واشتد الألم بشبلى وألم به الحزن فقرر أن يبقى فى أعظم كَرطهـ ليكمل أعماله الناقصة وعلى رأسها السيرة النبوية، وتأسيس دار المصنفين وتطوير مدرسة شبلى ومدرسة الإصلاح سراى مير.

---

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٦٥٨ - ٦٥٩.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٧٠ - ٦٧٢.

- ذلك الأخ الذى كان لى بمثابة يوسف الكنعانى، وكان مجموعة من الصفات الإنسانية الطيبة.
- ذلك الأخ الذى كان رحمة الله للمنزل كله، وكان مساعدا قويا لقلب شبلى ويده.

* مرض شبلى ووفاته ١٨ نوفمبر ١٩١٤م:

مع أن شبلى كان قوى البنيان موفور الصحة فى شبابه إلا أن صحته تأثرت تأثرا بالغا بالمناخ فى أثناء إقامته فى على كَرط هـ فتدهورت صحته واعتل بدنه وبدأ يعانى من جميع أمراض المعدة كالإمساك والإسهال فلازماه حتى آخر حياته واشتد به المرض بعد رحلة كشمير وبدأ يشكو الوهن، وكان المشى هو العلاج الناجع لمعدته لكنه حرُم منه بعد حادثه بتر قدمه ومنذ ذلك الوقت كثرت شكواه من الآم المعدة، وضاعف مناخ لكناو من مرضه وكان يعالج من هذه الأمراض على يد حكيم عبد الولى اللكنوى وحكيم أجمل خان ويفضل البقاء فى بومباى لطيب مناخها عدة أشهر فى السنة فى فصل الصيف للاستجمام، وفى عام ١٩١٢م لم يقو على كتابه خطاباته بنفسه وكتب فى إحدى خطاباته يقول: «الآن بدأ الإسهال يقل ولا أتوقع أن أعيش أكثر من سنة أو سنتين» ثم كتب فى ١٠ يونيو ١٩١٣م يقول: «حتى مناخ بومباى الآن لم يعد مجديا فالجو بادر نسبيا ولا استطيع أن أتحمله». وبالرغم من ضعفه هذا لم تصب قواه العقلية بأى خلل وكان عنده حماس دائم للأعمال العملية والدينية والقومية ولم ييأس من إنجاز أعماله إلا أن قواه العقلية أصابها خلل بسيط بعد وفاة أخيه إسحاق وبدأ ييأس من الحياة ويبحث عن خليفة له ثم سافر شبلى إلى بلدته «بندول» للاحتفال بعيد الأضحى وهناك عاوده مرض الإسهال والإمساك وفى ٧ نوفمبر استمر يعانى من البواسير وآلام المعدة لمدة ثلاثة أيام واستدعوا طبيب المركز لعلاجه لكنه لم يبرأ ونزف دماء كثيرة وتدهورت صحته بعد ذلك، وعندما وصل إلى حالة حرجة أبرقوا حكيم أجمل خان فى دهلى وحكيم عبد المولى فى لكناو فلم يستطع أن يأتى الأول بينما كان الثانى مريضا مرض الموت، عندئذ أرسل معالجه القديم فى لكناو بوصفات ودواء له مع أخيه حكيم عبد القوى لكنه وصل فى الوقت الذى كان شبلى يحتضر فيه.

وكان شبلى قبل أن ييأس من مرضه قد جمع كل مسودات السيرة النبوية وأغلق عليها دولابا وأوصى أقرباءه وأصدقاءه بأن يسلموا هذه المسودات إلى سيد سليمان الندوى ومولوى حميد الدين فقط وكان حزينًا لأنه لم يكمل السيرة. وفى مساء ١٥ نوفمبر أمسك شبلى بيد سيد سليمان الندوى وقال: «إن السيرة هدف حياتى فاترك كل الأعمال وأنجزها» واشتد مرضه واضطربت أمعاؤه ورفض تناول الدواء وفى صباح ١٧

نوفمبر أخذ يذكّر سيد سليمان الندوى[1] ويقول: «السيرة السيرة، السيرة» ووصل الدكتور نعيم الأنصارى من بجنور. وقال إنها حالة ميئوسة وإن أعضاء جسمه توقفت عن العمل وفى الخامسة والنصف من صباح الأربعاء الموافق ٢٨ من ذى الحجة ١٣٣٢هـ ١٨ من نوفمبر ١٩١٤م فاضت روحه ودفن فى ركن من أركان منزله «شبلى منزل» فى نفس المكان الذى دفنت فيه قدمه منذ ثمان سنوات. وشارك جميع المسلمين فى أعظم كَرط هـ وما حولها فى الصلاة عليه وأغلقت المصالح الحكومية والمدرسة الإسلامية وتأثر بفقده جميع مسلمى الهند ورثاه الشعراء فى جميع أنحاء الهند كما ظلت الصحف والمجلات تنشر مقالات عنه لعدة شهور. وفيما يلى نماذج من رثاء شبلى، حيث قام سيد سليمان الندوى برثاء أستاذه بمرثية أسماها «نوحه استاذ» قال فيها:

– أيتها القافلة الأخيرة لمتاع كرامة الأسلاف، وآسفاه فإن الأثر الذى قد بقى عنك قد اندثر أيضا.

– يا مساء الإقبال الماضى ويا نهاية عهد الأسلاف، ويا آخر شمعة فى محفل الصحبة ويا علامة الذاهبين.

– يا برعم فصل المطر، ويا موج نسيم الصباح الباكر، ونغمة آخر السحر ويا طائر روضة الخريف.

– والذى كان عشق العلم والفن من أصل طبعه، والذى كان صفحة للقرطاس وعلامة للفخر القومى.

– والذى كان كل صوت يصدر من شفتيه كان نواح الأسلاف، وكل صيحة من صيحاته صوت سلسلة جرس القافلة.

---

(١) المرجع السابق: ٧٢١ – ٧٢٥.

(١) ان متاع عزت بيشين بجهلى كاروان — آه وه بهي مب كياباقى جوتها تيرانشان
– شام اقبال كدشته ! مقطعه عهد سلف ! — شمع يزم صحبت آخر إنشان رفنكان
– غنجه فصل بسين ! موج نسيم صبحدم — نغمة آخر سحر ! مرغ كلستان خزان
– علم وفن كاعشق تها جس كى طبيعت كاخمير — صفحة قرطاس جس كافخر قومي كانشان
– جس لب كي جو صداتهي نوحه اسلاف تهى — جس كي هر فرياد صورت درات كاروان

– والذى كل رأى من آرائه رزينا وفيه علاجا للأمة الحرة، وكل قراراته حارسة للحياة القومية.

– والذى يكمن فى كل قول من أقواله روح آذان بلال، والذى فى كل عرق من عروقه لهيب حرقة الألم.

– والذى فى كل مصرع من شعره تكمن حرقة نار الجراح، والذى فى كل فقره (من نثره) مرهما للألم العميق.

– والذى يكمن فى سلاسة قلمه نهر الفرات، والذى كان كل ذيل صفحة من صفحاته مثيرا لحسد بحر عمان.

– يا مزين جسد الشعر وذا العقل الراجح، ويا من كانت أصابعه الخمسة مركبا بمثابة طائرة للمعانى.

– لقد افترق عنا للأبد، فيا للخسارة لقد نهبت القافلة الآن(١).

ويرثى خان بهادر مولوى رضا على شبلى بمرثية عنوانها (وداع شبلى) يقول فيها:

– إن الدماء تتقطر من ناحية قصتنا، آه لوفاة شبلى ذا البيان السلس.

– نحن ضحايا خنجر الزمان، إنك لن تظفر من دكاننا إلا بمتاع الألم.

– والمسلمون جالسون فى مأتم شبلى، وصارت دنيانا مسودة كوجه الكفر

– جس كى هو رات رزين آزاد ملت كا علاج — جس كى هر تجويز قومي زندكي كي باسبان
– جس كي اكـ اكـ بات تهي روح بلالى كي آذان — جس كي ركـ ركـ مين تهين سوزدرد كي جنكارين
– جس هو مصرع مين سوز آتش زخم دروي — جس هر فقرة مين مخفى مراهم درد نها
– جس خامه كي روانى مين نهان رود فرات — جس هر صفحة كادامن رشك دريان عمان
– بيكر آرات سخن جس كادماغ نكته ور — مركب برواز معني جس كي بانجون انكيان
– خون من جكد زناصية داستان ما — آه از وفات شبلى شيوبيان ما
– ماخستكان خنجر جور زمانه ايم — غير از متاع درد مخواه ازد كان ما
– اسلاميات به ما تم شبلى نشته اند — جوروي كفر سيه شد جهان ما
– زين بزم آن مؤرخ بالغ نظر كنشت — كررفتنش برفت اثرد استان ما

آب همیشه] [وه آه ! هم س جهر، كيا
وان ناكامى همارا قافله اب لـ كيا
(سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ٨٤٣ – ٨٤٤).

– لقد رحل عن هذا المحفل ذلك المؤرخ الأريب، والذى برحيله ذهب عنا أثر قصتنا

– ولم يبق ربيع حديقة الصدق والصفا، وصار موطئا تحت ظلم خريف روضتنا

– أين ذهب ذلك الخضر مبارك الخطى، فكيف تتعرف قافلتنا على المنزل الآن

– أين رحل العالم بمحفل الغزل، وهكذا صار مجلس أنسنا بلا مصباح.

– إن إيران تغبط هندنا، على الفارسية السلسة التى تتعطر من شفتيه.

– مائة حيف فقد رحل عنا ذلك الأديب الأريب، ولم يبق ذلك الأديب الذى كانت أعماله لذه لغمنا وحلوقنا(١).

* زوجاته وأولاده :

تزوج شبلى مرتين، الزواج الأول من أسرته وقريته بندول وأنجبت له عدة أولاد مات بعضهم فى حياة شبلى وبقى له بنتان : الأولى : فاطمة والثانية : رابعة وقد تعلمتا تعليما جيدا وتوفيت السيدة رابعة فى عام ١٩٠٤م، وهناك عدة رسائل فاطمة التى كان شبلى يحبها كثيرا وقد توفيت عام ١٩٠٩م.

ولم يكن لشبلى أولاد ذكور سوى حامد النعمانى وقد ولد عام ١٨٨٠م ونال الليسانس من على كَرط هـ ووصل إلى منصب حاكم المحافظة فى الحكومة حتى تقاعد على المعاش وتوفى فى ٢٠ مارس ١٩٤٢م ودفن بجوار والده فى «شبلى منزل» وتوفيت زوجة شبلى الأولى عام ١٨٩٥م وظل دون زواج خمسة أعوام ثم تزوج زوجته الثانية عام ١٩٠١م فأنجبت له ابنتين وابنا ماتوا ثلاثتهم فى طفولتهم ثم ماتت زوجته عام ١٩٠٥م وعاش بعدها عشر سنوات ولم يتزوج(٢).

---

(١) آن نوبهار كلشن صدق وصفا نماند — شد بائيمال جور خزان كلستان ما

– آن خضر پ خجسته كجارفت ظاهراست — بامنزل آشنانه شود كاروان ما

– آن نكته دان بزم تغزل كجاشتافت — شد بـ چراغ مجلس عشرت نشان ما

– از قند بارسى كه زلبها ش مي جكيد — ايران به ركشبور زهند ستان ما

صدحيف آن اديب اريب ازميان به رفت
وحشت نه ماند لذت كام ودهان ما

(سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ٨٤٣ – ٨٤٤).

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٢٦ – ٧٢٧.

ثانيا : مؤلفاته

مؤلفات شبلى النثرية:

ترك لنا شبلى النعمانى فى الفترة ما بين ١٨٧٨ و١٩١٣م ثروة فكرية وأدبية ضخمة تنوعت موضوعاتها واللغات التى كتبت بها مثل: السير والتراجم والفلسفة والكلام والأدب والرحلات والتاريخ والتعليم والرسائل والمقالات والشعر إلى جانب مقالاته فى المجلات والصحف وتضم موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية وأدبية شتى.

وكتب شبلى هذه المؤلفات بثلاث لغات هى: الأردية والفارسية والعربية. وتم ترجمة كتابيه «الجزية» و«كتب خانه إسكندرية» أى «مكتبة الإسكندرية» إلى اللغة الإنجليزية.

ويمكن لنا تقسيم مؤلفات شبلى من حيث الموضوعات إلى ما يلى:-

١ - السيرة والتراجم: المأمون والفاروق وسيرة النعمان وسيرة النبى (جزآن) وسوانح مولانا روم.

٢ - فلسفة وكلام: الكلام وعلم الكلام والغزالى.

٣ - أدب: شعر العجم.

٤ - رحلات: سفر نامه.

٥ - تاريخ: مضامين عالمگير.

٦ - تعليم: مسلمانون كى كَذشته تعليم.

٧ - رسائل: مكاتيب شبلى.

٨ - مقالات: رسائل شبلى (مقالات شبلى).

٩ - شعر أردى: مجموعة كلام أردو - مثنوى صبح أميد.

١٠ - شعر فارسى: ديوان شبلى (كليات فارسى).

١١ - نقد: الانتقاد على كتاب «تاريخ التمدن الإسلامى» لجورجى زيدان وموازنة أنيس ودبير.

١٢ - فقه: الجزية.

وسوف نستثنى من هذا التقسيم رسالتيه «ظل الغمام فى مسألة القراءة خلف الإمام» و«إسكات المعتدى على إنصات المقتدى» وهما ذواتا طابع دينى كتبهما شبلى فى بداية شبابه يدافع فيهما عن الفقه الحنفى ويغلب عليهما الشكل المذهبى أسلوبا ولغة، والرسالة الأولى كتبها باللغة الأردية وتقع فى أربعين صفحة وطبعت عام ١٢٩٢هـ فى مطبعة نظامى فى كانپور. والرسالة الثانية كتبها باللغة العربية وتقع فى أربع وعشرين صفحة وطبعت عام ١٢٩٨هـ فى مطبعة نظامى أيضا على نفقة عمه الشيخ مجيب الله.

وفيما يلى أتناول هذه المؤلفات مع مراعاة الترتيب الزمنى فى التأليف لكى نتعرف على التطور الفكرى والعقلى عند شبلى النعمانى :

(١) مسلمانون كى كَذشته تعليم :- أى (تعليم المسلمين فى الماضى)

وهو أول كتاب منهجى يقوم شبلى بتأليفه عام ١٨٨٧م وبدأت فكرة هذا الكتاب عندما دعاه منشى امتياز على أبو منشى احتشام على رئيس كاكورى لحضور وقائع المؤتمر التعليمى الذى عقد فى لكناو، فطلب منه السير سيد كتابة موضوع عن التعليم الإسلامى فاختار له شبلى عنوان : «مسلمانون كى كَذشته تعليم» وكتب شبلى هذا الموضوع القيم وألقاه فى جلسة المؤتمر التعليمى الإسلامى التى أقيمت فى قيصر باغ بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٨٨٧م وقد ذاع صيت شبلى منذ ذلك اليوم فى أنحاء الهند على أنه كاتب موهوب يمتلك ناصية قلمه جيدا، وقد بين شبلى فى هذا الموضوع طريقة التعليم عند المسلمين وأسماء المدارس الإسلامية وخصائصها وأحوالها وكان أول موضوع من نوعه يتطرق إليه كاتب أردى لهذا طبع فى رسالة منفصلة وجعلها شبلى أولى مؤلفاته(١).

يقول عبدالحليم شرر: «اتجه شبلى الآن إلى العمل بالتحقيق والنقد الأدبى بتوجيه من السير سيد وكانت «مسلمانون كى كَذشته تعليم» أولى نماذجه وقد نالت أعجاب المسلمين. ويمكن لنا تلخيص أهم الأفكار التى وردت فى كتاب «مسلمانون كى كَذشته تعليم» والتى منحته قيمة علمية وتأريخية فيما يلى:

١ - فضل القرآن الكريم على أسلوب اللغة العربية والفقه والفرائض وعلم الكلام وعلم الحديث والنحو وعلم الدراية.

---

(١) شبلى : مقالات شبلى : ٣/١ - ٣٦ .

٢ – الاستفسار عن بداية التاليف والتدوين والاهتمام بعلوم القرآن والبيان وماذا استفاد المسلمون من غيرهم من الأمم والشعوب وحركة الترجمة ولماذا كان معظم المترجمين للفلسفة اليونانية مسيحيين.

٣ – دراسة عهد المنصور العباسى وعهد هارون الرشيد وعهد المأمون الرشيد المتوكل بالله ولماذا لم تنقل كتب العلوم الأخرى غير الفلسفة والطب وأخطاء الترجمة ولماذا استعمل المسلمون غيرهم لعملية الترجمة.

٤ – بداية المدارس والمدرسة النظامية ببغداد وعهد صلاح الدين ونور الدين وازدهار المدارس فى عهد الجراكسة ومدرسة ابن الناصر والمدارس فى الهند والمدرسة الحربية والمدارس الإسلامية فى أوربا والتعليم القديم ومنهج التعليم ومجالس المناظرة وغياب طريقة الإملاء والتاثير الدينى للمدارس.

٥ – أسباب الانحطاط وتاثير تطورات الحكم والسياسة على التعليم قديما وحديثا.

(٢) المأمون :

وهذا الكتاب هو سيرة المأمون الخليفة العباسى وأول سير شبلى وثانى سيرة(*) كتبت فى الأردية طبقا للأسلوب الحديث فى كتابة السير ونشر عام ١٨٨٧م وهو أول حلقة فى سلسلة مشاهير حكام الإسلام التى عزم شبلى على أن يكتبها، وأرخ فيه للدولة العباسية وقد لاقى هذا الكتاب شهرة عريضة يقول شبلى: «لقد نفدت طبعته الأولى فى ثلاثة أشهر وطبع مرة ثانية(١)، يقول عبدالحليم شرر «المأمون ثانى كتب شبلى وقد لاقى استحسانا وقبولا وكان هذا الكتاب حجر الزاوية فى حياة شبلى العلمية حيث تاكدت بعده أهميته ككاتب عظيم صاحب أسلوب». وقد خامرت شبلى فكرة تاليف هذا الكتاب للرد على سموم المستشرق «بامر» وافتراءاته فى الكتاب الذى كتبه عن «هارون الرشيد» وسوف أعرض هذا الكتاب بالتفصيل فى الفصل الثانى من الباب الثانى.

(*) يعد الطاف حسين حالى (١٨٣٧– ١٩١٤) صاحب أول سيرة كتبت فى اللغة الأردية وهى سيرة «حيات سعدى» ونشرت عام ١٨٨٦م.

(١) شبلى : المأمون : المقدمة ١ – ٢ .

(٣) سيرة النعمان :

هذا الكتاب هو سيرة الإمام أبى حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفى وكتبه شبلى لما يحمله من اهتمام وتأييد للفقه الحنفى والإمام أبى حنيفة. وقد أنجز الجزء الأول منه فى ديسمبر عام ١٨٨٩م وانتهى من الجزء الثانى فى ديسمبر ١٨٩٠م وطبع فى نهاية ١٨٩١م من قبل كلية على كَرط هـ وتداولته الأيدى فى أول ١٨٩٢م ونفذت طبعته الأولى سريعا وطبع طبعه ثانية وكان شبلى يريد أن ينتشر هذا الكتاب فى كل مكان يقول: «يجب أن يصل هذا الكتاب إلى قرى ونجوع اعظم كَرطهـ ويكون دافعا للعمال والتجار على المزيد من القراءة والاطلاع على الفقه الحنفى». وسأتناول هذا الكتاب بالتفصيل فيما بعد.

(٤) سفر نامه :-

ويدخل كتاب «سفر نامه» ضمن كتب أدب الرحلات حيث دون فيه شبلى مشاهداته وملاحظاته فى أثناء رحلته إلى تركيا ومصر والشام، وكان شبلى قد قرر أن يكتب هذا الكتاب يذكر فيه مشاهداته فى الرحلة ليطلع عليها المسلمون فى الهند لكنه عدل عن هذه الفكرة لأسباب سياسية ذكرها فى مقدمة الكتاب يقول فى خطاب لأخيه مولوى اسحق فى ٢٤ أكتوبر ١٨٩٢م» هناك إصرار عام على كتابه «سفر نامه» وبدأت الطلبات تنهال علىّ من جميع أنحاء الهند لكن ليس عندى الرغبة الآن لكتابته لعدة أسباب» ولم يوضح شبلى لنا هذه الأسباب لكنه ذكر سببا واحدا فى مقدمة «سفر نامه» وهو «أن هذا النوع من الكتب يجب أن تذكر فيه معلومات كافية عن حالة الدولة وطريقة الحكم وقواعد العدالة وحالة التجارة والطرز المعمارية وغيرها من الأمور وهى غير متوفرة فى «سفر نامة» إلا أن به معلومات قيمة عن الحالة الاجتماعية والعلمية وإن كانت مختصرة»(١).

وكان شبلى يعتقد أن الناس لن يفتنوا بـ«سفر نامه» كثيرا وكان يخشى من عدم شهرته خاصة أن كلية على كَرط هـ لم توافق على طبعه فى مطبعتها كما حدث بالنسبة لمؤلفاته السابقة فطبعة الطبعة الأولى فى مطبعة مفيد عام باكَرا عام ١٨٩٤م وكان هذا الكتاب بداية الخلاف بين شبلى والكلية كما سنذكر فيما بعد.

---

(١) شبلى : سفر نامه : ٢ .

(٥) كليات فارسى :-

«كليات فارسى» هو عبارة عن مجموعة أشعار شبلى الفارسية، وكان شبلى قد قرر أن يجمع أشعاره التى نظمها باللغة الفارسية وكان يعرضها على أستاذه محمد فاروق ليقوم بإصلاحها ومراجعتها قبل أن يطبعها، وكان يجمع أشعاره هذه فى مذكرة ثم يعطيها لمجلد ليجلدها وقد فقدت هذه المجموعة، وقيل: إن شاعرا مغمورا فى حيدر آباد قد سطا عليها وانخرط بها مع الشعراء وكان شاعرا شابا من غازى پور اسمه أبو القاسم عرشى ومات فى شبابه. وفى عام ١٨٨٧م أرسل له شخص ما نصف هذه التذكرة تقريبا وكان شبلى قد جاء إلى على كَر ط هـ وفاضت قريحته بأشعار جميلة وبصفة خاصة تلك القصائد التى نظمها فى رحلة تركيا، وإذا كان حالى هو الذى وضع أساس الشعر الأردى الحديث إلا أنه لا شك أن شبلى قد اهتم بنظم الشعر الفارسى فى الهند ومنحه الأفكار الجديدة والشعور القومى والعواطف الدينية بقوة ورصانة إلى جانب جمال اللغة وصحة التعبيرات الأدبية فأصبح كماء الحياة للقومية الإسلامية فى الهند(١).

ثم قرر شبلى أن يجمع كل قصائده الفارسية ويطبعها وعرض هذه الفكرة على صديقة نواب سيد على حسن خان فاستحسن هذه الفكرة وأرسل له القصائد التى عنده وطبعها عام ١٨٩٣م فى مطبعة منشى رحمت الله رعد «نامى بريس» وكانت أشهر المطابع آنذاك وحازت هذه الأشعار على شهرة فائقة بين المثقفين.

(٦) رسائل شبلى (كتب خانه اسكندرية) أى مكتبة الإسكندرية

فى الفترة مابين ١٨٩٢ و ١٨٩٨م حقق شبلى كثيرا من الموضوعات التاريخية والنقدية ونشرها فى مجلات الهند المشهورة وكان أغلبها يدور حول موضوعات الحضارة الإسلامية، وفيها أزال الغبار الذى ران على مرآة الإسلام بفعل التعصب الأوروبى الأعمى ويحاول أن يحيى صورة قديمة من صور العهد الذهبى للمسلمين وكانت قد غابت عن الأنظار حينا من الدهر فمثلا: حاول الأوروبيون فى كتاباتهم أن يتهموا المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية عندما فتحوا مصر فى عهد سيدنا عمر وأن المسلمين قوم جهلة متوحشون لأنهم أحرقوا المكتبة اليونانية الشهرية التى أقيمت هناك فى عهد البطالمة وحرمت الإنسانية من الكنوز القديمة.

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٢٣-٢٢٤.

لهذا قام شبلى فى عام ١٨٩٢ م بكتابة موضوع «كتب خانه اسكندريه»[١] أى مكتبة الأسكندرية لينفى هذه التهمة عن المسلمين وأثبت أنها أحرقت قبل مجىء المسلمين بقرون وأنها لم يكن لها وجود عندما تم فتح مصر ونشر هذا الموضوع كملحق مع بعض موضوعات المستشرقين الأوروبيين وكان هذا الموضوع جامعا ومدللا عليه بالبراهين والأدلة فلم يجد المعارضون بدا من قبوله وترجم إلى لغات أخرى ونتيجة لذلك كتب كتاب أوربا المسيحيون أنفسهم موضوعات قيمة فى نفى هذه التهمة وترجم أكثرها ونشر فى مَجّلة «الندوة» بلكناو و «معارف أعظم كَر ط هـ» بحيدر آباد.

ولقد استفاد شبلى النعمانى فى منهجه العلمى بالمنهج الغربى وبحوثه العلمية ولكن لم ينس لحظة أن المستشرقين أو المؤرخين المسيحيين من أوربا والبلدان العربية يضمرون فى نفوسهم الحقد والعداء والعصبية ضد الإسلام والمسلمين فعنى برد اتهاماتهم الكاذبة وافتراءاتهم المختلفة فى أسلوب علمى رصين كشف النقاب عن القلوب السوداء للكتاب المسيحيين من الغرب بأن المسلمين أحرقوا مكتبة الاسكندرية. ومقالته هذه تعتبر من أروع ماكتبه.

لقد درس شبلى فى هذه المقالة كتب المؤلفين الغربيين من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا حول الموضوع وقام فى كتابه- لأول مرة- بمحاولة تطبيق مبادئ «الرواية والدراية» بدقة كبيرة وزاد المقال من بهاء أسلوبه العلمى الرصين وتنسيق الدلائل والبراهين ونثره الشعرى الممتع. وقد كتب هذا الموضوع فى عام ١٨٩٢م باللغة الأردية وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية وقد رد فيه افتراء الغرب بأن العرب أحرقوا مكتبة الإسكندرية فى عهد عمر بن الخطاب عندما فتحوا الإسكندرية وأثبت بدلائل وبراهين واضحة أن المسيحيين هم الذين أحرقوا هذه المكتبة وفى مقدمتهم أحبارهم ورهبانهم، ولما دخلها المسلمون لم يكن فيها أثر للمكتبة وكان هذا الموضوع علميا دقيقا شاملا لدرجة أن أوربا اضطرت إلى تبرئه ساحة المسلمين من هذه التهمة.

يبدأ شبلى مقالته «كتب خانه اسكندرية» بالحديث عن انتشار روايات خاطئة فى أوربا عن الإسلام والمسلمين «فمنذ عصر الحروب الصليبية وحتى الآن ظهرت فى أوربا

---

(١) شبلى: مقالات شبلى: ٦/١١٣ -١٥١.

روايات عجيبة وخاطئة فيما يتعلق بالمسلمين وكانت هذه الروايات هامة وضرورية للأحداث الحالية، فإن الروايات الخاطئة والمتعصبة التى لا أساس لها من الصحة انتشرت فى أوربا آنذاك عن المسلمين ودينهم وقوميتهم وحضارتهم ذاع صيتها فى كل مكان حتى صارت مضربا للأمثال وأخذت تتردد على ألسنة القاصى والدانى، وعندما بدأ عصر التأليف والتأريخ بدأت هذه الروايات تستعمل بكثرة فى كتب التاريخ والقصص بل فى الفلسفة أيضاً لدرجة أن كبار مؤرخى أوربا سلموا بها فصارت عارا عليهم لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث، ثم جاء من بعدهم مؤرخون لم يسلموا بهذه الروايات الخاطئة مثل: جبن وكارلائل وهكنز وريتان وسيديو حيث أنكروها بوضوح إلا أن هذه الأخطاء لم تقل قوتها حتى الآن فى المؤلفات العامة»(١)

وبعد هذه المقدمة التى مهد بها شبلى موضوعه تناول حادثة بعينها وهى رواية إحراق مكتبة الاسكندرية وهى واقعة مشهورة جدا فى أوربا ولاتخلو منها قصة أو رواية أو حكاية أو كتاب فى التاريخ أو الأدب ناهيك عن الفلسفة والمنطق.

يقول شبلى «لكن الأمر الجدير بالذكر هنا هو لماذا كل هذه المواساة الخاصة والاحتفاء بمكتبة الإسكندرية من جانب أوربا؟! خاصة وأنه من المسلم به أنها لاتتعلق بالمسيحيين من قريب أو من بعيد لأن الذى أقامها ملوك مصر الوثنيون قبل المسيح بزمن طويل، وربما يقول قائل إن هذا الأمر من قبيل الاهتمام الأوروبى بشكل عام ولكن فى هذه الحالة ما سبب تخصيص الإسكندرية هنا؟ وهناك دول أخرى عديدة احترقت ودمرت فيها مكتبات كبيرة وضخمة فأين كان حماس أوروبا وحميتها ولماذا لم يذكر أحد حادثة تخريب الإسكندر لمكتبات إيران وقيام المسيحيين أنفسهم فى إسبانيا بالقضاء على جميع المآثر العلمية للمسلمين ودمروا مئات الآلاف من الكتب فمن ذا الذى أقام مأتما لفقدها ومن ثم لماذا هذا الاهتمام الخاص بمكتبة الاسكندرية؟!

والحقيقة أن المسيحيين هم أنفسهم الذين أحرقوا هذه المكتبة وكان فى مقدمتهم أحبارهم ورهبانهم وكان هذا العمل باعثا على فخرهم آنذاك لكن عندما خطت الحضارة خطوات وثابة نحو المدينة والرقى أرادت أوربا أن تتخلص من هذه التهمة التى لصقت بها فتفتق ذهنها عن إلصاق هذه التهمة بقوم آخرين وعندما فتح المسلمون مصر والإسكندرية لم يكن لهذه المكتبة المذكورة أى أثر ولهذا فقد نسب المسيحيون

(١) شبلى: مقالات شبلى (كتب خانه اسكندرية): ٦/١١٣-١١٤.

المتعصبون إحراق مكتبة الإسكندرية إلى الفاتحين المسلمين ولأن أوربا كانت فى ذلك الوقت تموج بالتعصب ولم يكن لديها أى نوع من التطور العلمى، لهذا لم يحفلوا بالبحث والتدقيق وانتشرت هذه الرواية فى كل أوربا بسرعة واهتم الأوروبيون بهذه المكتبة اهتماما مريبا وكأنها مكتبتهم الخاصة وسرعان ما صدق العامة هذه الرواية واستفادوا من هذه الشهرة العامة للرواية فى أن أحدا لن يستطيع أن ينسب هذه التهمة للمسيحيين لأنه وكما يبدو ظاهرا: من البديهى أن أى قوم لايمكن أن يحرقوا تراثهم بأنفسهم»(١)

ولأن شبلى يصدر فى آرائه عن روح علمية موضوعية فإنه لم ينس أن يشير إلى المؤرخين الأوربيين الذين أنكروا هذه الحادثة وعلى رأسهم جبن Gibbon المؤرخ الإنجليزى الشهير الذى ذكر رفضه لهذه الواقعة فى كتابه: -«تاريخ اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية».

"The history of decline fall of the Roman Empire"

عند ذكر فتح المسلمين للإسكندرية ثم جاء من بعده سيديو ورينان وغيرهم من مؤرخى أوروبا المنصفين فرفضوا هذه الواقعة.

ثم يقوم شبلى بتحديد أصل هذه الرواية الخاطئة قبل الخوض فى نقدها وردها فيقول:

«قبل أن نخوض فى رواية إحراق مكتبة الإسكندرية يجب أن نعرف كيف اشتهرت هذه القصة فى أوربا؟ وعن طريق من ذاع صيتها لقد ذاع صيت هذه الواقعة فى أوروبا عن طريق أبى الفرج(٢) وكتابه «تاريخ مختصر الدول» ولهذا الكتاب نسخ مختلفة وجميعها غير كاملة وبعض أحداث هذا الكتاب يزيد عن الأصل السريانى وهذا الأمر

---

(١) شبلى: مقالات شبلى: ٦/١١٥-١١٧٤.

(٢) ولد أبو الفرج فى مدينة ميلتن سنة ١٢٢٦ م لأب يهودى كان طبيبا اسمه اهرون الملطى واعتنق أبوه المسيحية ولهذا بدأ أبى الفرج فى تعليم الدين المسيحى حتى وصل إلى مرتبة عالية فيه علاوة على إتقانه للغتين العربية والسريانية وبسبب نبوغه وعلمه تم تعيينه قسيسا وهو فى الواحده والعشرين من عمره وقد كتب أبو الفرج كتاباً مبسطاً فى التاريخ باللغة السريانية اعتمد فيه على مصادر عربية وفارسية وسريانية ويونانية ثم كتب ملخصا لهذا الكتاب باللغة العربية وسماه «مختصر الدول وقام «بوكاك poccke الأستاذ بجامعة اكسفورد بطبع هذا الكتاب عام ١٩٢٢ م مع ترجمته إلى اللغة اللاتينية.
(انظر: مقدمة «مختصر الدول» نشر الأب انطون صالحانى اليسوعى ص: ٣-٥).

يدعو إلى الشك فى أن هذه الأحداث قد أضافها أبو الفرج من عنده أو أضافها شخص آخر.

وخلاصة القول أن واقعة إحراق مكتبة الإسكندرية ذكرت فى هذا الكتاب لأول مرة ثم انتشرت هذه الرواية فى جميع أوروبا عن طريق الترجمة اللاتينية «لمختصر الدول» وقد وصلت هذه الرواية عن أبى الفرج إلى أوربا فى زمان كانت أوربا فيه غارقة فى الجهل والتعصب ولهذا فإنهم كانوا يقبلون جميع هذا النوع من الروايات الخاصة بالمسلمين سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة»(١)

وقبل أن ينقد شبلى هذه الرواية آثر أن ينقل الرواية بتمامها دون حذف فى جملها حتى لا يخل هذا الحذف بالسياق العام للرواية فيقول: «هذه ترجمة حرفية لهذه الرواية كما جاءت بعبارة «أبو الفرج»:- روى أن يحيى النحوى (John philoponus) كان إسكندرانيا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبيين، ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث واجتمع إليه الأساقفه بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه فلم يرجع فاسقطوه عن منزلته وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية ودخل على عمرو فاكرمه وفتن به فلازمه وكان لايفارقه ثم قال له يحيى يوما إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فأما مالك به انتفاع فلا أعترضك فيه وما لانفع لكم به فنحن أولى به فقال له عمرو:

ما الذى يحتاج إليه قال: كتب الحكمة فى الخزانة الملكية فقال له عمرو لايمكننى أن آمر فيها بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب إلى عمرو عرفه قول يحى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه «وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها مايوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى وإن كان فيها مايخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها وقد استنفذت فى مدة ستة أشهر»(٢) ويعلق شبلى على هذه الرواية فيقول: «إننا لانستطيع أن نقبل هذه الرواية دون بحث أو تحقيق وقد كان جبن Gibbon أول من تناول هذه الرواية بعين البحث والتحقيق فيقول: «إننى أميل إلى رفض أصل هذه الرواية

---

(١) شبلى: مقالات شبلى: ٦/١١٨ - ١٢٠.

(٢) أبى الفرج (ابن العبرى): تاريخ مختصر الدول: ١٧٥- ١٧٦.

ونتائجها»[1]. وقد بنى جبن رفضه على عدة أسباب أحدها أن أبا الفرج ولد بعد هذه الواقعة بخمسمائة عام ولم يذكر مؤرخ غيره هذه الرواية حتى أن المؤرخين المسيحيين أنفسهم لم يذكروا هذه الرواية فكيف إذن يمكن أن نعتبر شهادة أبى الفرج شهادة موثوقا بها.

وبعد أن استقر بنا الأمر على أن أصل هذه الواقعة مأخوذ عن كتب التاريخ العربية فقط يسهل علينا الفصل فى هذا البحث لأننا (أى مسلمى الهند) أحق بمعرفة المؤلفات العربية من الأوربيين و«صاحب البيت أدرى بما فيه». فالأوربيون الذين يثبتون هذه الواقعة يذكرون فى سندهم عبد اللطيف البغدادى والمقريزى وحاجى خليفة ويقولون إن هؤلاء المؤرخين ثقات ولايمكن رفض آرائهم «وبقدر ما رأيت وقرأت فإن الأوروبيين دائماً يذكرون هؤلاء المؤرخين ولنوجه اهتمامنا الآن إلى أصول التاريخ لتحقيق هذه الرواية وسوف نرى فى النهاية مدى استخدام المؤرخين الأوربين للتدليس والخداع فى اعتمادهم على هؤلاء المؤرخين العرب.

وينتهز شبلى الفرصة هنا ليعرض منهجه الذى سار عليه فى هذا البحث وفى غيره من البحوث والمؤلفات الأخرى فيقول: «هناك طريقتان لإثبات الوقائع التاريخية هما: الرواية والدراية وسوف استعملهما هنا فى هذا البحث لمعرفة هل كانت شهادتهم فى هذه الواقعة كافية لثبوتها أولا؟ فالمؤرخون الأوربيون يذكرون أسماء عبد اللطيف البغدادى والمقريزى وحاجى خليفة مرارا بشكل خادع لتأييد آرائهم فى إلصاق تهمة الحريق بالمسلمين، أما الذين يرفضون هذه الواقعة لايعتبرون شهادة هؤلاء المؤرخين ذات قيمة وإن هدفنا فى هذا البحث كشف اللثام عن خداع المؤرخين الأوربيين لأن البحث ليس محدودا بكون عبد اللطيف وغيره من الثقات أولا؟ والأولى بالتحقيق فى هذا البحث هو هل أدلى عبد اللطيف وغيره من المؤرخين برأيه فى هذا البحث أولا؟[2]

وبعد ذلك يبدأ شبلى فى عرض آراء هؤلاء المؤرخين الذين اعتمد عليهم مؤرخو أوربا فى هذه الواقعة فيقول: «لنبدأ بما قاله المقريزى وتاريخه المطبوع فى مصر أمامى فهو

---

(1)Gibbon (Edward) :The history of Decline and fall of the Roman Empire: first Edition. London. 1897.

(٢) شبلى: مقالات شبلى: ٦/ ١٢١- ١٢٥

عند بيان عمود السوارى فى الإسكندرية وتحت عنوان «عمود السوارى[١] ينقل عبارة عبد اللطيف البغدادى حرفا بحرف وقد ورد ذكر مكتبة الإسكندرية فى وصف عبد اللطيف عرضا وبشكل ضمنى ولأن المقريزى نقل عبارة عبد اللطيف حرفا بحرف فإنه نقل أيضاً مايتعلق بالمكتبة وبناء على هذا فإن هذه العبارة منقولة عن عبد اللطيف البغدادى وليست شهادة خاصة بالمقريزى لأن المقريزى تحدث عن فتح الإسكندرية فى كتابه بالتفصيل ولم يذكر أى كلمة عن المكتبة ويتضح من هذا أنه لايعد ضمن فهرس الأحداث التاريخية للواقعة المذكورة.

أما حاجى خليفة الذى يعتمد عليه كثير من المؤرخين الأوربيين فإنه لم يشر إلى هذا الموضوع وأن هذا الأمر يضعف من مزاعمهم ولهذا فإننا نذكر هنا عبارة حاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون» يقول «فكانت العرب فى صدر الإسلام لاتعتنى بشىء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها وبصناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة الناس طرا إليها وذلك منهم صونا لقواعد الإسلام وعقائد أهله عن تطرق الخلل من علوم الأوائل قبل الرسوخ والاحكام حتى يروى أنهم أحرقوا ماوجدوا من الكتب فى فتوحات البلاد»[٢]

يقول شبلى تعليقا على هذا الرأى: «فى هذه العبارة لايذكر حتى كلمة الإسكندرية بل ذكر إحراق الكتب بشكل عام كما أنه يظهر من كلمة «يروى» أنها إحدى الروايات العامة كما لايبدو من أسلوب العبارة أن هذه الواقعة سلم بها. فحاجى خليفة يذكر أيضاً غيرها من الروايات العامة المعروفة لدى الناس مثل أن نابليون عندما جاء إلى مصر نطق بكلمة التوحيد فى الجامع الأزهر وصلى مع الجماعة وهذا النوع من الروايات العامة يتم روايته بطريقة ضعيفة، وخلاصة القول أن واقعة إحراق مكتبة الإسكندرية المنسوبة لحاجى خليفة تثير التعجب وعلامة الاستفهام على جراة المؤرخين الأوروبين فى هذا الأمر».[٣]

وكان الاعتماد الأخير لدى الأوربيين فى الحقيقة على عبد اللطيف البغدادى الذى ألف كتابا فى تاريخ مصر اسمه «كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث

---

(١) المقريزى: خطط المقريزى: ١/ ١٥١.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون: ١/ ٢١.

(٣) شبلى: مقالات شبلى: ٦/ ١٢٥ – ١٢٧

المعاينة بأرض مصر» وقد ألفه فى عام ٦٠٣ هـ وموضوعه قاصر على الوقائع التى شاهدها عبد اللطيف فى مصر بنفسه فيكتب عن عمود السوارى «ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حولها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السارى عليه قبه هو حاملها ورأى أنه الرواق الذى كان يدَّرس فيه أرسطو طاليس وأنه دار العلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته وفيها خزانة الكتب التى حرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه»(١)

ويستطيع أى شخص أن يعلم من هذه العبارة أن رأى عبد اللطيف كله تحت قول «رأيت» و«رأى» ولايبدو منه بأى حال أنه ذو حيثية تاريخية أو من المسلمات. يقول المؤرخ الألمانى كَريل Carel بعد أن نقل قول عبد اللطيف: «يبدو من هذا الوصف أنه على سبيل التذكرة فقط ولايهدف إلى أى أمر خاص فهو يذكر أى واقعة بل يردد قولا مشهورا كان يقوله الرحالة فى هذا العصر وهو من قبيل هذا النوع من الأقوال المخالفة للعقل وغير الموثوق به». بالإضافة إلى هذا فقد وقع عبد اللطيف فى عدة أخطاء بالصدفة وهو يذكر الأحداث فلم يكن هذا المقام رواق أرسطو ولم يدرس أرسطو به مطلقا. وبهذا نكون قد قمنا ببحث دقيق عن هؤلاء المؤرخين العرب الذى يزعم مؤرخو الغرب أنهم ذكروا رواية إحراق مكتبة الإسكندرية وفندناها جيدا واتضح فى النهاية زيف أقاويلهم وفساد منطقهم.(٢)

وفى نهاية البحث يذكر شبلى أكثر من ثلاثين كتابا خاصا بتاريخ مصر والإسكندرية لكنها لم تذكر هذه الواقعة على الإطلاق ومنها هذه الكتب التى تناولت فتح الإسكندرية بشكل خاص مثل: تاريخ الطبرى وفتوح البلدان للبلاذرى وحسن المحاضره للسيوطى وخطط المقريزى وجميعها لم يذكر حتى المكتبة.

ويتعرض شبلى لهذه القضية الهامة مرة أخرى فى كتاب «الانتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان الذى كتبه باللغة العربية ردا على اتهامات جورجى زيدان وافتراءاته على المسلمين وخلفاء الدولتين الاموية والعباسية فيتناول مسألة «حريق مكتبة الاسكندرية» ويفند أخطاء جورجى زيدان فى نسب الإحراق إلى المسلمين فيقول: «جاء فى تاريخ مختصر الدول لابى الفرج (ثم نقل رواية الإحراق برمتها) ثم يقول:

---

(١) عبد اللطيف البغدادى: الإفادة والاعتبار: ٢٨.

(٢) شبلى: مقالات شبلى: ٦/١٢٨-١٢٩.

« لاننازع المؤلف فى أن أبا الفرج مسبوق فى ذكر هذه الرواية بالقفطى والبغدادى ولكن ماذا ينفعه ذلك فإن البغدادى وهو أقدمهما من القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير إسناد ومن غير إحاطة على كتاب تعود المؤلف من صباه بقبول مختلفات أهل الكتاب وأوهامهم فسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامى بميزان غير ميزاننا ولذلك يصغى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل ولايعرف أن هذا الفن له أصول ومبادئ وقواعد ومالم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية لايلتفت إليها أصلا، منها أن الناقل للرواية لابد أن يكون شهد الواقعة فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تتصل الرواية إلى من شهدها بنفسه ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ومنها ألا تكون الرواية تخالف الدراية ومجارى الأحوال ولذلك اهتم مؤرخو الإسلام قبل كل شيء بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدونوا كتب أسماء الرجال وكابدوا فى ذلك محنه يضيق عنها النطاق البشرى فعملوا كتبا غير محصورة منها « الكامل » لابن عدى و« الثقات » لابن حبان (١) وتهذيب الكمال للمزى وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد وابن عبد البر ولابن الأثير وتهذيب الأسماء للنووى وميزان الاعتدال للذهبى ولسان الميزان لابن حجر. فأول شيء يهمنا فى هذا البحث أن نرى هل ذكر القفطى والبغدادى هذه الرواية فى سنده وذكر مصدر الرواية وأسماء رواتها أم لا وانت تعلم أن البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول يذكر أنها من غير سند ولارواية ولا إحالة على كتاب. أما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولاعين.(٢)

وهكذا رأينا كيف استطاع شبلى بالدلائل العقلية وبالرجوع إلى النصوص الأصلية التى اعتمد عليها مؤرخو أوربا كشف زيف ادعاءاتهم وإزالة التهمة عن كاهل المسلمين، وعندما ترجمت هذه المقالة إلى اللغة الإنجليزية واطلع عليها الباحثون بدأوا ينتبهون إلى أخطائهم وظهر من بينهم من دافع عن المسلمين فى هذه القضية وعلى رأسهم المؤرخ الفرد بتلر BUTLER فى كتابه " ARAB Conquest to Egypt "(٣) فيقول بعد أن

---

(١) شبلى: الانتقاد على التمدن الإسلامي: ٥٤ و٦٥.

(٢) شبلى: الانتقاد على التمدن: ٦٦- ٦٧.

(3) BUTLER: ARAB Conquest to Egypt -Oxford. 1902. p.401-406.

أورد رواية أبى الفرج : «هذه القصة كما جاءت فى اللغة العربية وقد كتب أبو الفرج ما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ولم يذكر المورد الذى نقل عنه قصته، ثم نقل عنه أبو الفدا فى أوائل القرن الرابع عشر ثم المقريزى بعد ذلك. حقا قد ذكر عبد اللطيف إحراق مكتبة الاسكندرية بأمر عمرو لكنه لم يفصل فى ذكر ذلك ويلوح أنه روى ذلك الخبر مصدقا، وهكذا يدل على أن تلك القصة كانت متداولة فى أيامه ولكن لم يردها ذكر مكتوب قبل مضى خمسة قرون ونصف قرن على فتح الإسكندرية ويمنع من تصديقها إغفال كل الكتاب لذكرها من حنا النيقوسى إلى أبى صالح. ولعل قائلا يقول أنها ظلت تلك القرون تتناقلها الألسن إن هذه القصة وإن كانت متداولة لايمكن أن يكون دليلا على شىء كما أنه لايمكن أن ينقضى شيئاً، ولكن الشك الذى يحيط بتلك القصة يجعلها غير وثيقة فى الدلالة ولاكافية بذاتها فى البرهان»(١)

وبعد أن قام بتلر بنقد رواية «أبو الفرج» جمع أدلة نقده فقال: «لعلنا لانكون مخطئين إذا نحن أجمعنا فيما يلى أدلة حجتنا فإن قصدنا أن نبين حقيقة أمر مكتبة الإسكندرية ومقدار نصيب قصة إحراق العرب لها من الصحة أو الكذب وهى كما يلى :-

(١) إن قصة احراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة التى نذكرها.

(٢) إننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء فيها فالفيناه سخافات مستبعده ينكرها العقل.

(٣) إن الرجل الذى تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزوة العرب بزمن طويل.

(٤) إن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين: الأول مكتبة المتحف وهذه ضاعت فى الحريق الكبير الذى أحدثه قيصر، وإن لم تتلف عن ذلك كان ضياعها فيما بعد فى وقت لايقل عن أربعمائة عام قبل فتح العرب، وأما الثانية وهى مكتبة السرابيوم فإما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام ٣٩١م وإما ان تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت، فتكون على أى حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن.

---

(١) الفرد بتلر: فتح العرب لمصر: عربه محمد فريد أبو حديد- مكتبة مدبولى- ١٩٩٠م ص ٤١٩ -٤٢٠.

(٥) إن كتاب القرنين الخامس والسادس لايذكرون شيئاً عن وجودها وكذلك كتاب أوائل القرن السابع.

(٦) إن هذه المكتبة لو كانت لاتزال باقية عندما عقد (قيرس) صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية لكان من المؤكد أن تنقل كتبها وقد ابيح ذلك فى شرط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة التى بين عقد الصلح ودخول العرب فى المدينة وقدر ذلك أحد عشر شهرا.

(٧) لو صح أن هذه المكتبة قد نقلت أو لو كان العرب قد أتلفوها حقيقة لما اغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب العهد من الفتح مثل يوحنا النيقوسى ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفا عنه.

ثم يقول بتلر« ولايمكن أن يبقى شك فى الأمر بعد ذلك فإن الأدلة قاطعة وهى تبرر ماذهب إليه « جبن» من عدم تصديقها ولابد لنا أن نقول أن رواية أبى الفرج لاتعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس فى التاريخ»[١].

وبعد كتاب بتلر ظهرت دراسات عديدة تناولت موضوع مكتبة الإسكندرية أهمها الدراسة التى كتبها محمد أحمد حسين بعنوان « مكتبة الاسكندرية»[٢] وكتاب "Alexandrian Library" PARsoms [٣] وقد نشر الأول عام ١٩٤٣م فى مصر والثانى فى لندن عام ١٩٥٢م. ويصدران فى رأيهما عن المؤرخين السابقين عليهم وجميعهم لم يبعد كثيرا عن رأى شبلى النعمانى.

وفى سنة ١٨٩٢م أيضاً نشر شبلى فى المجلة العلمية الشهيرة « حُسن» بحيدر آباد الدكن موضوعا بعنوان « إسلامى كتب خانى [٤] أى « تاريخ المكتبات الإسلامية» وقد بين للعالم مقدار ماحوته من كنوز علمية وفنية، وفى سنة ١٨٩٤م ألقى على عاتقة مسئولية رئاسة تحرير « مجلة كلية على گر ط هـ» فكتب شبلى فيها موضوعات عديدة

---

(١) المرجع السابق ص: ٤٤٠- ٤٤١.

(٢) محمد أحمد حسين: مكتبة الاسكندرية: مطبعة الاعتماد. الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٤٣ ص:٦٩- ٧٤.

(3) PARsons (Edward): the Alexandrian Library. London first Published 1952. p.122-127.

(٤) شبلى: المرجع السابق: ٦/ ١٥٢ -١٧٥.

منها «اسلامی حکومتین اورشفاخانی»[1] «أي الحكومات الإسلامية ودور الشفاء» وطبع فى المجلة عدد يوليو ١٨٩٥م.

ثم كتب شبلى موضوع «الجزية»[2] للرد على اتهام المسلمين بفرض الضرائب الظالمة على الرعايا غير المسلمين وقد خيم الذهول والدهشة من هذا التحقيق على الأوساط العلمية. وترجم السير سيد هذا الموضوع إلى الإنجليزية وقام شبلى بترجمته إلى اللغة العربية ونشرت اقتباسات وتلخيصات له فى الكتب والمجلات المشهورة فى مصر وبصفة خاصة مجلة الهلال.[3]

وفى عام ١٨٩٦م كتب شبلى موضوعا سياسيا هو «مسألة آرمينيا»[4] نشر فى صحية «آزاد» بكناو فى ٢١ فبراير. وبعد ذلك كتب «حقوق الذميين»[5] ونشر فى مجلة على كَرط هـ ميكزين عددى مارس وأبريل ١٨٩٦م. ثم قام شبلى بجمع أهم الموضوعات ونشرها عام ١٨٩٧ م باسم «رسائل شبلى».

وبعد وفاة شبلى قامت دار المصنفين بأعظم كَرط هـ -التى أسسها شبلى- بجمع شتات مقالاته من الصحف والمجلات وهى: معارف أعظم كَرهـ »و «دكن ريويو »و «انستيتيوت كَزت» و «تهذيب الأخلاق» و«الندوة» و«مسلم كَزت» وقاموا بطبعها فى ثمانية مجلدات مستقلة مبوبة حسب الموضوعات تحت عنوان «مقالات شبلى» وهى على النحو التالى:-

١- المجلد الأول ويحتوى على الموضوعات الدينية ونشر عام ١٩٣٠ م ويضم ستة عشر مقالا.

٢- المجلد الثانى ويحتوى على الموضوعات التاريخية ونشر عام ١٩٣١م ويضم عشرة مقالات.

٣- المجلد الثالث ويحتوى على الموضوعات العلمية ونشر عام ١٩٣٢ ويضم أحد عشر مقالا.

---

(١) شبلى: المرجع السابق: ٦/١٧٦ -١٩٣.

(٢) المرجع السابق: ٦/٢٢٧- ٢٣٨.

(٣) مجلة الهلال. العدد الثانى. السنة الثالثة ١٥٠ سبتمبر ١٨٩٤ م ص: ٧٩ -٨٠

(٤) المرجع السابق: ٨/١٨٥ -١٨٩.

(٥) المرجع السابق: ١/١٨٨ -٢٢٦.

٤- المجلد الرابع يحتوى على الموضوعات الأدبية ونشر عام ١٩٣٤ ويضم سبعة عشر مقالا.

٥- المجلد الخامس ويحتوى على الموضوعات النقدية ونشر عام ١٩٣٦م ويضم تسعة مقالات.

٦- المجلد السادس ويحتوى على الموضوعات التعليمية ونشر عام ١٩٣٧ ويضم ثمانية مقالات.

٧- المجلد السابع ويحتوى على الموضوعات القومية ونشر عام ١٩٣٨م ويضم اثنى عشر مقالا.

٨- المجلد الثامن ويحتوى على الموضوعات السياسية ونشر عام ١٩٣٨ ويضم ستة وأربعين مقالا.

(٧) الجزية:-

كما مر بنا فقد كتب شبلى موضوع الجزية فى أول الأمر على هيئة رسالة طبعها ضمن «رسائل شبلى» ثم قام بترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها على هيئة كتاب فى مطبعة مفيد عام باكرا عام ١٣١٢هـ وقد قسم شبلى هذا الكتاب إلى محاور ثلاثة هى:- المحور الأول: فى تحقيق لفظ الجزية والفحص عن مادته وصيغته واثبت ان «اللفظ فارسى محض وان أصلة «كَزيت» وان الجزية إنما هى تعريب له واستشهد فى ذلك بورود هذا اللفظ كثيرا فى كلام شعرائهم على زنته الأصلية». (١)

والمحور الثانى «فى تحقيق أن الجزية متى كان حدوثها ومن اسسها اولاً» وتوصل إلى ان «أول من سن الجزية فيما علمنا كسرى انو شروان وهو الذى رتب أصولها وجعلها طبقات» ثم أورد شبلى نصوصا من تاريخ الطبرى و«الأخبار الطوال» وابياتا شعرية من شاهنامة الفردوسى ليؤكد بها هذه الفكرة وان «الشريعة الإسلامية ليست بأول واضع لها»(٢)

---

(١) شبلى: الجزية :٤.

(٢) المرجع السابق: ٦ -٧.

أما المحور الثالث فكان فى تحقيق الغرض الذى كان سببا لاختيارها فى الإسلام «فأكد أن المسلمين فرضوا الجزية على أهل الذمة فى مقابل الدفاع عنهم والمنعة وهذا ما أكده خالد بن الوليد فى رسالة له إلى صلوبابن نسطونا حينما دخل العراق وأوغل فيها هذا نصه «إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة ما منعناكم ولنا الجزية وإلا فلا»(١)

وقد قام السير سيد بترجمته إلى اللغة الإنجليزية عام ١٨٩٤م ونشره فى كلية على كَرط هـ واهتمت الأوساط العلمية به آنذاك وطبعت الصحف المصرية والشامية مقتطفات منه كما نقل عنه جورجى زيدان فى كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى» يقول: «ويرى صديقنا العلامة الهندى الشهير الشيخ شبلى النعمانى أن لفظ الجزية فارسى الأصل وأنه فى الفارسية «كَزيت»(٢)

(٨) الفاروق:-

«الفاروق» سيرة حياة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وهو من أعظم الشخصيات فى تاريخ الإسلام ويعد هذا الكتاب أروع ماكتب شبلى على الإطلاق حيث واجه بسببه صعوبات ومنازعات عديدة. أولا: تجشم شبلى مشاق السفر وصعابه وسافر إلى تركيا والشام ومصر وقضى بها شهورا للبحث فى مكتباتها عن المادة العلمية الكافية لتأليف هذا الكتاب الذى يعد الأول من نوعه باللغة الأردية فى شبه القارة الهندية حيث لم تكن مكتبات الهند تضم معلومات كافية عنه.(٣) ثانيا: اختلف أهل الرأى فى على كَرط هـ حوله لأن «الفاروق» سوف يحدث شقاقا وخلافا بين السنة والشيعة فقد كان نواب عماد الملك سيد حسين بلجرامى من أكبر أنصار الكلية فى ذلك الوقت وكان شيعيا فاعتقد السير سيد أن هذا الكتاب سيكون سببا فى نفوره من الكلية وفى قطع عونه المادى والمعنوى لها وقرروا فى على كَر ط هـ أن يترك شبلى هذا العمل لصالح الكلية إلا أن شبلى أبى ذلك وصمم على تأليفه فى النهاية ولم يحفل باعتراض السير سيد له. يقول فى مقدمة الفاروق: «وقررت أن أبدأ فى هذا العمل بحسم وبطريقة

---

(١) المرجع السابق: ١٠

(٢) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى: ١/١٦٩.

(٣) مهدى افادى: افادات مهدى: معارف أعظم كَر ط هـ. ط٣. ١٩٣٩م ص:١٦

منظمة فى ١٨ أغسطس ١٨٩٤ وقد ظلت مهام الوظيفة والعوائق الطارئة من آن لآخر عقبة فتوقف العمل عدة مرات لشهور قليلة لكن سلسلة العمل لم تتوقف قط حتى اجتزت هذه المرحلة اليوم بعد أربع سنوات كاملة واستراح القلم والمسافر لايام قليلة». (١)

وانتهى شبلى من تاليف الجزء الأول من سيرة الفاروق بعد ثلاث سنوات وسلمه لمطبعة «نامى بريس» فى كانپور فى يونيو ١٨٩٧م واكمل الجزء الثانى فى كشمير فى ٥ يوليو ١٨٩٨م. وسوف أتناول هذا الكتاب بالتفصيل فيما بعد فهو موضوع بحثنا.

(٩) الغزالى:

هذا الكتاب هو سيرة الإمام أبو حامد الغزالى وأول كتاب لشبلى عندما كان يعمل مديرا لإدارة الفنون والعلوم بحيدر آباد وقد ظلت فكرة هذا الكتاب تختمر فى راس شبلى منذ فترة طويلة وكانت البداية عندما اقترح السير سيد أن يكتب «الغزالى» بدلا من «الفاروق» إلا أنه لم يفكر فى هذا الأمر إلا بعد أن انتهى من الفاروق حيث توجه ناحية سيرة الإمام الغزالى والفلسفة وعلم الكلام يقول شبلى فى خطاب لمولانا شروانى بتاريخ ١٠ يوليو ١٨٩٩ م: «إن حياة الإمام الغزالى فيها بحث كامل عن علم الكلام لانه هو الذى أوجد علم الكلام الحديث- إن الجزء الأول من حياة الغزالى فى حاجة إلى مراجعة وضبط لكننى سوف انتهى منه على أكمل وجه والمصدر الرئيسى لى فى فلسفته هو كتابه «تهافت الفلاسفة» الذى رد به على ابن رشد. ويبدو من رسائل شبلى أن هذا الموضوع هو أكبر الموضوعات التى كانت تشغل بال شبلى فى ذلك الوقت وحانت له الفرصة عندما وصل إلى حيدر آباد حيث أطلع فى مكتباتها على كتب حديثة فى هذا الموضوع أحدهما لمؤلف فرنسى والآخر لمؤلف المانى وقد اشار إليهما فى مقدمة الغزالى. وطبع هذا الكتاب فى ٢٢ فبراير ١٩٠٢ فى مطبعة نامى كانبور لصاحبها منشى محمد رحمت رعد ونشر فى أغسطس ١٩٠٢ فى طبعة فاخرة، وتخاطفته الأيدى وسوف أعرض هذا الكتاب بالتفصيل فى الباب الثانى.

---

(١) شبلى : الفاروق: المقدمة ١-٢.

(١٠) علم الكلام :

كتب شبلى « علم الكلام » بعد الغزالى وقد تواردت فكرته الأولى عند شبلى فى أثناء إقامته فى على كَرْ ط هـ عندما كتب موضوعا باسم « المعتزلة والاعتزال » فى مجلة « تهذيب الأخلاق » عام ١٨٩٥م، ثم فكر فى أن يكتب كتابا بعنوان « علم الكلام » وانتهى من تأليفه فى ١٨ مارس ١٩٠٢م وكان شبلى مريضا فى ذلك الوقت فأملاه على أحد تلاميذه وهو مستلق على سريره ولهذا كان مختصرا جدا وقد اعترف شبلى بذلك حيث يقول: « كتبت كتابا مختصرا جدا فى علم الكلام وهو فى الحقيقة أول كتاب غير مكتمل فى مؤلفاتى ». وتحدث شبلى فى هذا الكتاب عن نشأة علم الكلام عند المسلمين والتطورات التى واكبت عهوده المختلفة وقدم تفصيلا دقيقا للتغيرات التى حدثت له، كما قدم نقدا كاملا لجميع أنواع علم الكلام وقد مهد شبلى لهذا العلم فقال: « لقد حاول المسلمون محاولات مستميتة فى كل عصر لإنقاذ الدين من المخاطر التى تحيط به من كل جانب، وفى أيام الدولة العباسية عندما تمت ترجمة علوم اليونان وفارس إلى اللغة العربية انتشرت المناظرات والمباحثات الفكرية بين جميع الأقوام وواجه الإسلام خطرا فادحا عندما وقف المجوس والمسيحيون واليهود والزنادقة ينادون به من كل مكان فأرادوا الانتقام بأقلامهم لما حل بهم من سيف الإسلام فانبروا ينتقدون العقائد وأركان الإسلام بحرية وجرأة حتى تزعزت عقائد المسلمين من ضعيفى العقيدة والإيمان عندئذ هب علماء المسلمين وتعلموا أصول الفلسفة واستعملوا نفس سلاح المعارضين للإسلام فكانت مآثر تلك المعارك الكلامية هى التى عرفت فيما بعد باسم علم الكلام فى الوقت الحاضر »(١).

ثم يتطرق شبلى بعد ذلك إلى المؤلفات التى كتبت فى هذا العلم فيقول: « ألفتُ كتب عديدة فى العربية فى سيرة المتكلمين وعن علم الكلام وأولها كتاب العلامة المرزبانى « أخبار المتكلمين » وهو من أعظم مؤرخى القرن الرابع الهجرى وقد أثنى عليه ابن النديم، ثم كتبت بعده كتب عديدة منها « مقالات الإسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى و« الملل والنحل » لأبى المظفر طاهر بن محمد الأسفراينى، « والفصل فى الملل والنحل » لابن حزم. ثم أشار شبلى إلى الكتب التى رجع إليها مثل « تأويلات القرآن » للإمام أبى منصور الماتريدى ومؤلفات الإمام الغزالى جميعا مثل: « تهافت الفلاسفة »

---

(١) شبلى : علم الكلام: ٢ – ٣ .

و«التفرقة بين الإسلام والزندقة» و«مشكاة الأنوار» و«المنقذ من الضلال» وغيرها[1] وأرسله شلبى للمطبعة فى ٢١ أبريل ١٩٠٢م ونشر فى مارس ١٩٠٣م.

(١١) الكلام :-

يُعد هذا الكتاب فى حقيقة الأمر تتمة لموضوع علم الكلام الذى بداه شبلى فى القسم الأول وسماه «علم الكلام» وكان بحثا فى نشأة هذا العلم وتطوره عند المسلمين وركز فيه شبلى على علم الكلام القديم. أما فى هذا القسم الذى سماه شبلى «الكلام» فيتحدث عن علم الكلام الحديث ويقارن فيه بين عقائد الإسلام والحقائق الفلسفية.

وكان شبلى فى ذلك الوقت فى حاجة إلى معلومات عن الفلسفة الحديثة وآراء فلاسفة أوربا فى موضوع الروح وواجب الوجود، وفى تلك الأثناء كان المؤلف المصرى فريد وجدى قد انتهى من كتابة رسائله المعروفة باسم «الإسلام فى عصر العلم» فاطلع عليها شبلى وأفاد منها كثيرا. وقد بدأ شبلى حديثه عن «علم الكلام الحديث وطريقة تدوينه ورأى الإمام الغزالى فى الكتب المتداولة وأنها لا توضح الحقيقة ثم تحدث عن العلوم الحديثة والدين وبيّن أسباب ترجيح الإسلام على الأديان الأخرى، ثم تناول موضوع «العقل والدين» وتطرق إلى قضية «وجود الله» وطرق الاستدلال على «وجود الله» وقارن بين استدلال أرسطو وأبى على سينا واستدلال المتكلمين على وجود الله ومنهج القرآن فى الاستدلال، ثم تناول بالبحث أمر الملاحدة والمعارضين لوجود الله ودلائلهم ثم الرد عليهم والاستدلال بالتوحيد فى الصفات والعبادات، وبحث موضوع النبوة بالتفصيل فذكر رأى الجاحظ فى النبوة وحقيقتها عند الأشاعرة والاعتراض على النبوة فى موضوع خرق العادة والمعجزات وآراء الفقهاء فى حقيقتها مثل رأى أبى على سينا والإمام الرازى والغزالى وشاه ولى الله الدهلوى»[2] وانتهى شبلى من تأليفه عام ١٩٠٣م وطبع ونشر فى مطبعة نامى كانبور عام ١٩٠٤م.

(١٢) سوانح مولانا روم :-

هذا الكتاب هو سيرة مولانا جلال الدين الرومى القطب الصوفى الكبير حيث تناول فيه شبلى حياته ومؤلفاته وآراءه فى التصوف والمسائل الكلامية. ويعد هذا الكتاب اتجاها فكريا جديدا فى حياة شبلى فقد كان شبلى فى مؤلفاته السابقة يميل إلى التحقيق

---

(١) المرجع السابق : ٥ – ٦ .

(٢) شبلى : الكلام : ١٣٠ – ١٣٧ .

التاريخى والسيّر ثم الفلسفة وعلم الكلام ويغلب عليها جميعا الجانب الظاهرى فلم يكن شبلى يميل إلى التصوف والتفكير الباطنى حيث كان موضوع التصوف غريبا عليه لكنه بدأ يهتم بهذا الجانب عندما شرع فى تاليف كتابه «الغزالى» وتطرق إلى التصوف فى حياة الغزالى وعندما قرأ شبلى مثنوى جلال الدين الرومى أعلن أن المثنوى المعنوى أفضل مجموعات علم الكلام ونشر هذا الرأى فى مجلة الندوة فى أكتوبر ١٩٠٦م. «ويرى مولانا شروانى أن الإمام الغزالى هو الذى أوصل شبلى إلى عتبة مولانا الرومى. بينما يرى سيد سليمان الندوى أن اختيار شبلى لموضوع سوانح مولانا روم يتعلق بإقامته فى حيدر آباد التى كانت منبعاً للتصوف ووحدة الوجود وكانت هذه الموضوعات متداولة فى تلك الفترة»[١] والباحث يتفق مع سيد سليمان الندوى فى رأيه هذا.

وقد انتهى شبلى من «سوانح مولانا روم» عام ١٩٠٤م وأرسله إلى مطبعة منشى رحمت الله رعد وطبع فى أغسطس ١٩٠٦م وسوف أتناول هذا الكتاب بالتفصيل فى الباب الثانى.

(١٣) موازنة أنيس ودبير :-

على غرار «الموازنة بين البحترى وأبى تمام» للآمدى المتوفى سنة ٣٠٠ هـ وازن شبلى بين ببر على أنيس (١٨٠٢ - ١٨٧٤م) وسلامت على دبير (١٨٠٣ - ١٨٧٥م) وهما أعظم شاعرين من شعراء المراثى فى الشعر الأردى وخاصة فى رثاء الحسين وأهل البيت، وقد اشتهر هذا الفن الشعرى بداية فى الشعر الفارسى ثم انتقل إلى الشعر الأردى فوصل إلى قمة ازدهاره على يد هذين الشاعرين. وحاول شبلى فى هذا الكتاب إثبات تفوق أنيس فى فن المرثية على دبير فقد ورث الأول موهبة الشعر حيث نشأ فى أسرة شاعرية فأجداده ضاحك ومير حسن وأبوه خالق وأخوه مؤنس وولده نفيس جميعاً كانوا شعراء، وقد اشتهر أنيس بنقاء التعبيرات الأردية الشائعة والقدرة على الوصف وخاصة وصف الشعور الإنسانى ومظاهر الطبيعة فكان ينظم الشعر وكأنه يشاهد بعينيه ما يصف وترك لنا مائة ألف بيت فى المراثى أعظمها وصف واقعة كربلاء التى نظمها فى قالب قصصى فى حوالى خمسة آلاف بيت، أما دبير فيبدو من أسلوبه التكلف واختيار الألفاظ الرنانة وترك لنا مجلدين كبيرين فى المراثى.

وقد عاب شبلى على دبير استخدام الكلمات الرنانة والمبالغة والتعقيد والاهتمام

---

(١) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٣٧٧.

بالخيال ووصف الأحداث خلافا للفطرة، كما أنه لا يصور العواطف الإنسانية تصويراً صحيحاً وأكثر من استخدام المحسنات البديعية واللفظية، بينما تميزت مراثى أنيس بالنضج الفنى والاهتمام بالجانب الدرامى فيها إلى جانب الفصاحة والبلاغة(١).

ويرى سيد عابد أن «تحيز شبلى لأنيس جعله يختار أفضل النماذج من مراثيه ليستشهد بها فى حين أنه كان يستشهد بمراث عادية لدبير، مع أن مراثى دبير فيها نفس المحاسن التى توجد فى مراثى أنيس والعيوب التى فى مراثى دبير لا تخلو منها مراثى أنيس وأن النقاد القدماء والمحدثين أكدوا بالدلائل القاطعة والدامغة أنه ليس هناك من سبب لترجيح أنيس على دبير فلكل منهما ميدانه ولكل منهما أسلوبه المنفصل ولا يمكن أن تقام عليهما دراسة مقارنة مفيدة لكونهما ينظمان المراثى!! خاصة وأن كل منهما تربى فى بيئة مختلفة واتبع مذهبا منفصلا ويرتبط كل واحد بمدرسة أدبية»(٢) ونشر الكتاب فى مطبعة مفيد عام أكرا ١٩٠٦.

(١٤) مضامين عالمكير :-

ظهرت فكرة هذا الكتاب الهام أثناء وجود شبلى فى بومباى عندما التقى بمحمد على أحد تلاميذ شبلى فى على كَرط هـ وكان يعمل فى ذلك الوقت فى بلدة «برودة» فأصر على أن يصطحب شبلى معه إلى «برودة» ويقيم فى منزله وفى تلك الأثناء اقترح على شبلى كتابة موضوع مفصل للرد على ما اتهم به الملك المغولى أورنكزيب عالمكير فوافق شبلى وكتب العدد الأول من سلسلة المقالات الخاصة بعالمكير بعد عودته فى ٥ ديسمبر ١٩٠٦م ونشر فى مجلة الندوة فى نفس الشهر وانتهت هذه السلسلة بعد ستة مقالات فى مارس ١٩٠٨م. وأراد محمد على أن يترجم هذه المقالات إلى الإنجليزية وبدأ العمل بالفعل فى يونيو ١٩٠٨م ولكنه لم يستطع أن يكمله، «وقام الدكتور سيد محمود بترجمتها إلى الإنجليزية فى لندن عام ١٩١٠م عندما كان يعد رسالة الدكتوراه هناك ونشر على هيئة كتاب»(٣).

(١٥) شعر العجم :-

شعر العجم تاريخ للشعر الفارسى ويقع فى خمسة مجلدات وبدأ شبلى فى تأليفه

---

(١) شبلى: موازنة أنيس ودبير : ٣ و١٢ .

(٢) المرجع السابق : ٦١ .

(٣) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٤٥٤ .

عام ١٩٠٦م بعد أن انتهى من تأليف «موازنة أنيس ودبير» ونشر المجلد الأول عام ١٩٠٨م والثانى عام ١٩٠٩م والثالث فى عام ١٩١٠م والرابع فى عام ١٩١٢ ولم يكتمل المجلد الخامس فظهر بعد وفاته فى عام ١٩١٨م.

وشعر العجم فى مجمله مقسمٌ إلى ثلاثة أدوار هى : القدماء والمتوسطون والمتأخرون، فيبدأ الدور الأول من حنظلة الباذغيسى وينتهى بنظامى، ويبدأ العهد الثانى من كمال إسماعيل حتى جامى، بينما يبدأ الدور الثالث والأخير بفغانى وينتهى بأبى طالب كليم والذى صار الشعر بعده عباره عن ألغاز وأحاج، والجزء الرابع خصصه شبلى لبحث عام فى الشعر ويعد هذا الجزء روح الكتاب[١].

وقد حرص شبلى فى مقدمة الجزء الأول على ذكر المراجع والمصادر التى رجع إليها فى تأليف هذا الكتاب مثل: لباب الألباب لمحمد عوفى «وچهار مقالة» لنظامى عروضى السمرقندى، وتذكرة دولتشاه السمرقندى وتاريخ آل غزنين للبيهقى، ومى خانه لعبد النبى فخر الزمانى، وتذكرة الشعراء لميرزا طاهر نصير آبادى، ومرآة الخيال لشيرخان لودهى، ورياض الشعراء لواله الداغستانى، ومجمع النفائس لخان آرزو، ومجمع الفصحا لهدايت قلى خان[٢] وغيرها من المصادر. وقد تعرض شبلى فى الجزء الأول إلى ماهية الشعر واهتمام أوربا باللغة الفارسية. وقام فخر داعى بترجمة «شعر العجم» إلى اللغة الفارسية، ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة فى دراسة الأدب الفارسى وقد استفاد منه جميع دارسى الأدب الفارسى وخاصة المستشرقين.

(١٦) الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامى لجورجى زيدان(*):-

هذا الكتاب نقد لكتاب تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان صاحب مجلة «الهلال» المصرية وهو أديب ومؤرخ مسيحى سورى عاش فى مصر واشتهر بكتابة

---

(١) شبلى : شعر العجم : ١/٣ – ٤ .

(٢) المرجع السابق : ١/٤ – ٦ .

(*) جورجى زيدان (١٢٧٨ – ١٣٣٢ هـ – ١٨٦١ – ١٩١٤ م).

جورجى بن حبيب زيدان منشىء مجلة (الهلال) بمصر وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد وتعلم ببيروت، ورحل إلى مصر، فاصدر مجلة الهلال (اثنين وعشرين عاما) وتوفى بالقاهرة. له من الكتب: تاريخ مصر الحديث جزآن، وتاريخ التمدن الإسلامى خمسة أجزاء، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ الماسونية العام، وتراجم مشاهير الشرق جزآن، وتاريخ آداب العربية، وآداب اللغة العربية، والتاريخ العام وغيرها. (الأعلام : ٢/١١٧).

الموضوعات فى التاريخ الإسلامى والعلوم العربية وله عدة روايات تاريخية، وكان « تاريخ التمدن الإسلامى » أشهر كتبه وكتبه باللغة العربية فى خمسة أجزاء وقد لاقى هذا الكتاب انتشاراً واسعا لدى المستشرقين فترجمه مرجليوث إلى الإنجليزية وترجمة أحد أدباء الهند إلى الأردية، « وقد صدر الجزء الأول من الترجمة الأردية مطبوعا على الحجر فى « أمر تسار » بقلم الشيخ محمد غلام صاحب جريدة وكيل الهندية الشهيرة »(١) وكانت تربط شبلى بجورجى زيدان روابط قديمة عن طريق المراسلة ونشر له جورجى زيدان مقالات فى مجلة « الهلال » وكان شبلى يتحين الفرصة لكشف اللثام عن حقيقة هذا الكتاب وذكر خداع جورجى زيدان ودهائه إلا أنه لم يجد الفرصة لذلك. وفى عام ١٩١١م حدثت عدة أحداث دفعت شبلى لكتابة موضوع مفصل نقد فيه كتاب التمدن الإسلامى بعنف شديد، وكان أول هذه الأحداث هو اقتراح الدكتور « يوسف هارويز » بكلية على كَرط هـ أن يقرر جزء من هذا الكتاب العربى ضمن امتحان درجة المولوية وثانيها ترجمة مرجليوث هذا الكتاب باللغة الإنجليزية، وفى نهاية عام ١٩١١م كتب شبلى نقدا قاسيا لهذا الكتاب وكشف زيف ادعاءاته خاصة عن سيدنا عمر وعن حريق مكتبة الإسكندرية والجزية وغيرها.

وكتب شبلى هذا الكتاب باللغة العربية وتتضح خصائص أسلوبه فى العربية بجلاء فى هذا الكتاب يقول فى بداية كتابه: « إن الدهر دار العجايب ومن إحدى عجائبه أن رجلاً من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الإسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتموية الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية وينشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الإسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع ذلك لا يتفطن أحد لدسائسه..... فإنه أصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب ودسيسة يتطلع بها على إحساس الأمة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك أحد ولم ينبض لأحد عرق ووجد الجو صافيا أرخى العنان وتمادى فى الغى وأسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى أمية خصوصا وكان يمنعنى عن النهوض إلى كشف دسائسه اشتغالى بأمر ندوة العلماء، لكن لما عم البلاء وتوسع الخرق وتفاقم الشر لم أطق الصبر فاختلست من أوقانى أياما وتصديت للكشف

---

(١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ٤/٣ .

عن عوار هذا التأليف الإبانة عما فيه من أنواع الإفك والزور وأصناف التجريف والتدليس»[1]. وقد طبع شبلى هذا الكتاب أول مرة بنفسه فى إحدى مطابع لكناو فى يناير ١٩١٢م، ثم أرسله لرشيد رضا صاحب المنار فنشره فى مصر وكان له دور كبير فى إماطة الأخطاء التى نسبها جورجى للتاريخ الإسلامى.

(١٧) السيرة النبوية :

السيرة النبوية هى آخر مؤلفات شبلى وأعظمها على الإطلاق، كتبها فى آخر أيامه بعد أن نضج تفكيره وسما أسلوبه، لكن القدر لم يمهله حتى ينتهى من كتابتها فمات ولم يخرج منها إلا جزأين وكان قد أوصى تلميذه سيد سليمان الندوى بتكميلها فوصل بها إلى ثمانية أجزاء وحقق ما كان يصبو إليه شبلى فصارت حقا «دائرة للمعارف النبوية».

فى بداية حياته فى على كَڑھ كتب شبلى رسالة مختصرة باللغة العربية فى السيرة النبوية باسم «بدء الإسلام» وأدرجت ضمن المقررات الدراسية فى كلية على كَڑھ فكانت هذه الرسالة مجرد تصورات أولية لعمله العظيم الذى أنجزه فيما بعد وهو السيرة النبوية، وظلت فكرة «السيرة النبوية» حلما يراوده وظلت هذه الفكرة راسخة فى عقله وضميره حتى بدأ فى تحقيق هذا الحلم وشرع فى تأليفها أثناء إقامته فى حيدر آباد فى ٢٨ ربيع الأول ١٣٢١ هـ/ ٥ يونيو ١٩٠٣م وسجل أحداث السيرة حتى وقائع عام ٣ هـ وكانت الحاجة ماسة لتأليف كتاب فى السيرة النبوية لأن زيادة إقبال المسلمين على التعليم الجديد وانتشاره بسرعة يزيد من جهل المسلمين بالأمور الدينية وكان لابد من هذا العمل لتبصير المسلمين بالإسلام القدوة وأحس شبلى بهذه الضرورة عام ١٩٠٦م عندما ألف مرجليوث أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد كتابا باللغة الإنجليزية فى السيرة اسمه (محمد) عام ١٩٠٥م ورجع فيه إلى العديد من الأحاديث النبوية وكان مليئا بالافتراءات الكاذبة وشوه أحداث السيرة التى يمكن أن يتأثر بها المسلمون الذين يتعلمون بالتعليم الإنجليزى الحديث خاصة فى غياب كتاب عن السيرة باللغة الأردية

---

(١) شبلى : الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامى : ١ – ٢. (طبعة الهند)

وفى تلك الأثناء ظهرت مشكلة ارتداد المسلمين إلى الهندوسية والمسيحية وبدأ شبلى يتخذ التدابير للحيولة دون ارتدادهم فكانت هذه الأحداث مجتمعة قد قوت من عزيمة شبلى على تأليف السيرة النبوية وأعلن عن نيته هذه فى يناير ١٩١٢م فى مجلة الندوة حيث قال : «إن تأليف السيرة النبوية أمر ملح وضرورى فى قوم يزداد فيهم التعليم الجديد يوما بعد يوم وسوف يتقلد هؤلاء المتعلمون الجدد مقاليد أمور المسلمين يوما من الأيام، وعندما يرغبون الرجوع إلى حياة الرسول فإنهم لن يجدوا كتابا موثوقا به باللغة الأردية فيضطرون حينئذ إلى الرجوع للكتب الإنجليزية المليئة بالأخطاء والتعصب الأعمى، وقد شعرت بأهمية هذا منذ فترة لكنى لم أجرؤ على الكتابة فيه لأنه أمر صعب وأى خطأ بسيط يُعد جرما عظيما إلا أننى أترك كل الأعمال الآن وأبدأ فى تأليف السيرة النبوية لإحساسى بأهمية هذا العمل»(١).

وتقدم شبلى باقتراح تكوين مجلس باسم «مجلس تأليف السيرة النبوية» ويتكون من كبار الكتاب ووجهاء القوم للتبرع بالأموال والأعمال الخاصة بهذا العمل الموسوعى الضخم الذى لا يضطلع به إلا المؤسسات والهيئات الكبرى، فيقوم أعضاء هذا المجلس بالحصول على الكتب النادرة والكتب الإنجليزية التى تم تأليفها فى السيرة فيقوم جماعة منهم بترجمة خلاصة هذه الكتب إلى الأردية وتقوم أخرى بمهمة البحث فى الروايات المتعددة ونقدها بينما تقوم جماعة ثالثة بكتابة المسودات.

وقام هذا الفريق الكامل بمساعدة شبلى وعلى رأسهم سيد سليمان الندوى وانتهى شبلى من كتابة الجزء الأول فى أكتوبر ١٩١٣م وبدأ شبلى عمله فى الجزء الثانى ولم يكد يمر أسبوع على هذا العزم حتى وصله خبر اشتداد المرض بأخيه فى إله آباد فترك بومباى وتوجه فورا إليه لكنه توفى فى ٥ أغسطس ١٩١٤م وعاد شبلى حزينا إلى منزله بأعظم كَرط هـ وكتب فى ١٦ أكتوبر ١٩١٤م يقول : «واأسفاه!! لم أستطع أن أكمل السيرة ولا يبدو أننى سوف أستطيع إنجاز هذا العمل»(٢) وكان صادقا فى ظنه ورحل عنا وأكمل تلميذه سيد سليمان الندوى هذا العمل العظيم.

---

(١) شبلى : مقالات شبلى : ٨/٣٢ .

(٢) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٧٠٧ و٧١٥ و٧٢٠ .

شبلى النعمانى شاعرا

كان شبلى شاعرا مرهف الحس، واسع التجربة، غزير الثقافة على دراية كافية بمفهوم الشعر ومهمة الشاعر فى المجتمع لذا نجده يبتعد عن المدح وبصفة خاصة مدح الأمراء الذى كان آفة خطيرة فى الشعر الآسيوى وإن مدح رجلا مدحه لصفات فيه، وقد برع شبلى فى نظم الشعر بالأردية والفارسية والعربية. ومع بداية القرن العشرين حدث تنوع فى الأفكار والموضوعات الشعرية وبدأ الشعر يتجة اتجاها جديدا ليعايش مشاكل الناس ويضرب على أوتار مشاعرهم وأحاسيسهم ويشاركهم فى هموم حياتهم اليومية، لذا نظم الشعراء موضوعات جديدة وتناولوا فى شعرهم موضوعات سياسية واجتماعية وقومية إلى جانب الغزل. وظهرت حركات أدبية حديثة تدعو إلى التمرد على أشكال الشعر وموضوعاته القديمة. وكان حالى رائدا للشعر الحديث فى تلك الفترة فتأثر منه شبلى وخاصة فى نظم الموضوعات السياسية والقومية.

وقد مر الشعر الأردى آنذاك بأهم منعطف له فى العصر الحديث وذلك عندما أقامت جمعية البنجاب «انجمن پنجاب» ندوات شعرية جديدة فى عام ١٨٧٤م، ويصف الطاف حسين حالى هذه الندوات الشعرية بقوله :-

«فى لاهور حقق محمد حسين آزاد رغبته القديمة حينما أقام فى عام ١٨٧٤م ندوات شعرية جديدة من نوعها للهند بإيعاز من كرنل هالراید مدير عام التعليم فى البنجاب وفيها يختار الشعراء موضوعا ما لينظموا الشعر حوله ويظهرون آراءهم بالطريقة التى يريدونها شعرا بدلا من تحديد مصرع معين من بيت شعر يلتزم الشاعر قافيته ووزنه فى شعره»(١).

وعلى الرغم من أن شبلى لم يشارك فى هذه الندوات الشعرية إلا أنه تأثر بها فى شعره شكلا وموضوعا وقامت بينه وبين حالى رائد الشعر الأردى الحديث آنذاك روابط قوية لم يلبث بعدها أن اعترف حالى بشاعرية شبلى وقوة بأسه.

---

(١) محمد إسماعيل پانى پتى : كليات نثر حالى : ١/ ٣٤٠.

وقد جادت قريحة شبلى النعمانى بالشعر الجيد وتنوعت موضوعاته وأشكاله، فمن ناحية المضمون نجد شبلى يتناول موضوعات اجتماعية وسياسية وتعليمية ودينية وقومية. ومن ناحية الشكل نظم شبلى فى قوالب شعرية متعددة كالغزل والقصيدة والمثنوى والقطعة والتركيب بند والترجيع بند.

ونظم شبلى شعره بلغات ثلاثة هى : الأردية والفارسية والعربية وأجاد فيها جميعا وإن كان قد تفوق فى نظم الشعر الفارسى حتى عده كثير من نقاد الأدب الفارسى فى عداد فحول شعراء الفارسية وهذا ما يشعر به قارئ شعره لأول وهلة وقد نسج شبلى شعره على منوال شعر حافظ الشيرازى وسعدى الشيرازى وجلال الدين الرومى. والحقيقة أن شبلى يعد قارئا جيدا للشعر الفارسى فى مختلف عصوره منذ نشأته وحتى شعراء عصره وقد نجح فى استيعاب معانيه الجميلة وأخيلته المحلقة فكان كالنحلة التى تجمع الرحيق من جميع الأزهار والورود على اختلاف ألوانها وتباين رائحتها ثم يعيد تقديمه عملا صافيا لذة للشاربين.

وقد أرخ شبلى النعمانى لتاريخ الشعر الفارسى فى كتابه « شعر العجم » الذى يقع فى خمسة مجلدات ولايزال هذا الكتاب حتى الآن عمدة المصادر فى تاريخ الشعر الفارسى.

وفيما يلى سنتحدث عن شلبى الشاعر وأهم موضوعاته :-

* أولا : الشعر الفارسى :

استحوذ الشعر الفارسى على جانب كبير من اهتمام شبلى فى نظم الشعر،وعلى الرغم من أن اللغة الأردية كانت لغته الأصلية إلا أن شلبى أولى اللغة الفارسية- لغته الثقافية- أهمية كبرى فى نظم أروع قصائده وبيان أهم موضوعاته الشعرية وأجاد فى هذا الاتجاه بدرجة قد تفوق أشعاره الأدبية. وقد تخلص شبلى فى بداية نظم أشعاره الفارسية بـ« تسنيم » ورتب أشعاره الفارسية بنفسه ونشرها فى مجموعتين هما : « دستة كَل » « أى باقة ورد » و « بوى كَل » أى شذا وردة.

وكانت موضوعات العشق والغزل هى الوجه الثانى لشعر شبلى، وجاءت أغلب أشعار شبلى فى الغزل باللغة الفارسية- وهذا الشعر يحتاج إلى دراسة منفصلة لنقده وتحليله، ومع ذلك يمكن أن نقول إن شبلى كان واقفا على واردات الجمال ونزعات العشق بشكل كامل.

يقول حالى بعد أن قرأ مجموعة شعره الفارسية «دسته كَل»: «هاهو ذا الغزل، كالشراب المعتق الذى ينتشى من سكره عين الساقى أيضاً، إننا من الممكن أن نجد فى غزليات حافظ التى تحتوى على موضوعات الرندية والزندقة والمجون كلمات أكثر جاذبية، أما من ناحية الأخيلة فإن هذه الغزليات (غزليات شبلى) أكثر منها قوة وقد كنت أريد أن أطبع أعمالى الفارسية شعرا ونثرا وأنشرها لكن بعد رؤيتى لـ «دسته كَل» سقطت غزلياتى من نظر».

ونستطيع أن نستخلص من رأى حالى- وهو شاعر وناقد كبير- أن أشعار شبلى الفارسية فى الغزل تتسم بالرقة والعذوبة، وأن إخلاص شبلى وعقليته الفكرية قد ساهم فى تفوقه كشاعر غزل، وكان لقاء شبلى بعطية بيگم محركا له على نظم الشعر العذب والغزليات المؤثرة وزيادة عامل الحرفة فى أشعاره، وكانت بيئة بومباى الخلابة فرصة جيدة لشبلى لكى ينظم الشعر ويصف شبلى هذه البيئة الساحرة بقصيدة على غرار قصائد حافظ الشيرازى فى الغزل[1] يقول:-

* لقد عرفت من ذوق طبع شبلى فى أول يوم، أنه خسر إيمانه فى معاقل فتن مدينة بومباى.

* أنّى لى أن أصف القوافل الكثيرة لحسان آذر، وجميلات الشام وإيران.

* فتصدق على بومباى بكل متاع قديم وجديد، ولو من جمال تاج خسرو وكرسى جمشيد المنمق.

* وقد أصبح من الصعب للسالك المضى فى الطريق، بسبب كثرة الحسان فى كل مكان.

ويقول فى غزليه فارسية أخرى تمتزج فيها معانى العشق بالفلسفة:

---

(١) زذوق طبع شبلى من در أول روز دانستم — كه در آشوب كَاه بمبيء درباز ايمان را
-بيان اين جاكه هو سوكاروان دركاروان بينى — بيان آذرى را دلبران شام وايران را
-نثار بمبيء كن هر متاع كهنه ونورا — طراز مسند جمشيد وفرتاج خسرورا
-به هر سواز هجوم دلبران شوخ بى پروا — كَزشتن از سرره مشكل افتاد است رهرورا

(محمد واصل عثمانى: شبلى ادبيون كى نظر مين. صفيه اكيد ط مى. كراچى. ١٩٦٨ م ص: ٥٧)

* أنا من ألزمت نفسى بالصمت طويلا، فمن ذا الذى يدرى ماذا جنيت من المساومة خلف هذه الستارة؟

* إن هذا الهيكل البديع الذى أود أن أظهره لأحبائى، قد تمتعت أيضاً بتذوقى قدراً منه.

* إن المجلس لم يسترح بعد من أثر شرابه ليلة البارحة، وملأت الإبريق على كتفى بخمر أشد إسكارا.

* وأريد أن تسرى الروح فى جسد الفكر بأنفاسى مرة أخرى، فأنا ذلك الذى قد استجديت الفيض من أنفاس عيسى.

* لقد كان الجليس يبحث عن دقائق الحكمة فى الشريعة، فأمليت عليه قدرا من نسخة روح القدس.

* ذلك الحبيب عارف الأسرار الذى لم يستطع أحد أن يجعله يسفر عن وجهه، قد فككت عقدة من قيد عباءته بفنونى.

* ما أكثر ماعبرت ذلك الطريق محملا بالجواهر، فملأت صحارى المعانى جميعها بلآلىء الياقوت(١)

- ونظم شبلى قصيدة فى مدح الدكن وعلماء حيدر آباد وذلك فى أول زيارة له إلى حيدر آباد ضمن الوفد الرسمى لكلية على كَرْ ط هـ الذى رأسه السير سيد أحمد خان عام ١٩٨٧ م بهدف التعريف بأهداف حركة على كَرْ ط هـ الثقافية وجمع التبرعات للكلية وحث الأمراء والمثقفين على تأييدها المادى والمعنوى.

وقد أنشد شبلى هذه القصيدة فى افتتاح الجلسة الرسمية وتأثر بها جميع الحاضرين

(١) من كه يكـ چند زدم مهر خموشى برلب
كس چه د اند كه درين پرده چه سودا كردم

-پيكرى تازه كه خواهم به عزيزان بنمود
لختى از ذوق خودش نيز تماشا كردم

- محفل ازباده د وشينه نيا سوده هنوز
باده تندتر ازدوش به مينا كردم

-بازخواهم كه دم درتن انديشه روان
من كه دريوزه فيض ازدم عيسى كردم

-همنشين نكته حكمت ز شريعت مى جست
لختى از نسخة روح القدس املا كردم

-شاهد رازكه كس پرده زرويش نگرفت
كَره از بند قبايش به فنون واكردم

- بسكة هربار كَهربار كَذشتم زين راه
دشت معنى همه برلولوى لاله كردم

(شبلى: الفاروق: ١/ ٢١)

ثم طبعت بعد ذلك فى كتيب وحفظها الناس ولايزالون يرددونها حتى اليوم وتمتاز هذه القصيدة بالصدق وعدم المبالغة وقوة العاطفة والاهتمام بجماليات القصيدة وتناغم عناصر الجمال والعشق والموسيقى فيها، وقد نظم كثير من الشعراء قصائد على غرارها فى قالب « تركيب بند » وتتكون من بندين البند الأول رديفه « باتست »والبند الثانى رديفه « دكن» وهى(١):-

* يادكن يامن يتعلق العالم بك، يامن بحوزتك مئات الأمنيات واليأس.
* أنت التى تشيرين مائة صورة من كل حجاب، ومئات من السرور المتجلى بسببك.
* أنت مغرمة (زاهدة) بالصدق والصفاء، وأنت الحبيب صاحب الدلال الأخاذ.
* أنت القيثارة الساحرة ولك مئات الألحان والأنغام الجميلة، أنت كلوحة ارژنگ ومئات الاشكال الجميلة بسببك.
* أنت ذكرى لجاه الديلم والسلاجقة، وأساس ثروة بغداد وبخارى منوط بك.
* تحملين قصص جميع المحبين، وعندك أخبار قوافل يثرب والبطحاء.
* وفيك كثير من أبناء العرب والعجم، وسجل الإسلام مملوء بك
* إن سجل الأمة فى حالة تمزق وتشرذم، ومع هذا فإن الأوراق المبعثرة منه قد جمعت فى مكان واحد بسببك.
* ومع أنه لم يتبق الآن أى أثر من تلك الخمارة، إلا أن الجرعات القليلة المتبقية من تلك الزجاجة والمينا بسببك.
* وبالرغم من أن تلك الروضة اليانعة ذهبت بسبب هجوم الخريف، فان العبق النفاذ من تلك الوردة الجميلة بسببك.

---

(١) ای دکن ای که جهان را سرو سودا باتست — که مجموعة صد یاس وتمنا باتست
-ای که صد نقش زهر پرده برا نکیخته — ای که صد جلوه کَری هائی تماشا باتست
-زاهد استی که سر صدق وصفا هست ترا — شاهد استی که دلآویز اداها باتست
-ساز ذیرنگی وصد نغمه رنگین داری — لوح ارژنگی وصد بیکر زیبا باتست
-یادگار حشم دیلم وسلجوق استی — مایه دولت بغداد وبخار باتست
-داستان های عزیزان همه ازبرد اری — خیر ازقافله یثرب وبطحا باتست
-آن براکَنده ترو عرب ونسل عجم — یعنی آن دفتر إسلام جزا باتست
-کَرچه شیرازه، امت همه ابترشده است — آن ورق های پراکَنده بیک جا باتست
-کَرچه زان میکده اکنون اثری نیست بجائی — جرعهء چند ازان شیشه ومینا باتست
-کَرچه آن تازه چمن رفت بتاراج خزان — بازهم بوئی خوش زآن کَل رعنا باتست

* وإن حرارة المجلس فى تلك الخمارة كلها بسبب حماسك، وفى كنفك مصر وغرناطة وبغداد.

* أيا أركان الدكن ياعظماء ذوى الرتب العالية، يامن أنتم كالشمع المضىء لإيوان الدكن.

* فاليوم لكل شعره لى لسان، لكى أمدح به كرم أعيان الدكن.

* وأنا مقيد فى كرمكم من الرأس حتى القدم، ويمكن اعتبارى من جملة أسرى الدكن.

* كل هذه الكرم واللطف مع غريب مثلى، ما الذى أستطيع أن أفعله لو لم أكن عبداً لإحسان الدكن.

* كنا من سعة أخلاقهم الحميدة، الرومى والشامى من ضيوف الدكن.

* جعلت قلبى مرتبط برائحة الخلق، وإلا لايمكن أن تخدعنى زهرة ريحان الدكن.

* فليحفظ الله عاصمة الدولة والدين، ولتكن خضراء يانعة من فيض سليمان الدكن.

* مير محبوب على خان نظام آصف جاه، ملك وقيصر وخاقان الدكن

* ونواب وقار الأمراء فله مائة درجة ، الذى يرفع شأن الدكن من شرفه وجاهه مائة مرة.

* إنهم زعماء المجالس وسادة الوطن. وفضلهم هو زينة إيوان الدكن.

* لقد صرنا جميعا محفل طرب بالمتاع والحشم، وشبلى من بين الناس الذين يقبلون أذيالهم.

= بوئى خلق است كه دل من پردم ورنه مرا — نتواند كه فريبد كَل ريحان دكن
-يارب آن بادكه اين تخت كَه دولت ودين — سيزو خُرم بود ازفيض سليمان دكن
-مير محبوب على خان نظام آصف جاه — تاجدار دكن وقيصر وخاقان دكن
-صدجم مرتبه نواب وقار الامراء — آن كه صد پايه فزود ازشرفش شان دكن
-دان دكَر صدر نشينان وعزيزان وطن — كه بود ازدم شان زينت ايوان دكن
-همه راپزم طرب باسر وسامان باشد — شبلى خستة هم ازحاشيه بوسان باشد
-كرمى صحبت آن ميكده سرجوش توهست — مصر وغرناطة وبغداد درآغوش توهست
-اى بزركَان كَران پايه واركان دكن — اى همه شمع فروزند هُ ايوان دكن
-برسر موئى من امروز زبانى شده است — به سپاس آورى منت أعيان دكن
-پائى تاسر همه دربند كرم هاى شما است — مى توان خواندنم ازجملة اسيران دكن
-ياغريبى چو منى اين همه الطاف وكرم — چه كنم كَرنشوم بنده احسان دكن
-هم زكَيرائى اخلاق دلآ ويز بود — كه بود رومى وشامى همه مهمان دكن

(محمد واصل عثمان :شبلى اديبون) نظرمين: ١١٧-١٨٠ وسيد سليمان ندوى:حيات شبلى:٢٧٥)

* ثانيا الشعر الأردى:-

ترك لنا شبلى ديوانا فى الشعر الأردى طبع بعد وفاته باسم «كليات شبلى» ويحتوى هذا الديوان على مراث وقصائد وغزليات. وتتسم موضوعات شبلى الشعرية بالسعة والرحابة وتمتاز دائرة خياله بالتحليق والسموق وتمتزج أحزان الحب وأحزان العصر فى شعره بنجاح تام وصور نزعات العشق ودخائله ببراءة، كما أن له قصائد قومية لامثيل لها فى الشعر الأردى، وعرفُ شبلى فى الشعر الأردى بصوته العالى ولهجته الجديدة وفى أشعاره جاذبية وسخرية وفكاهة واعترف ببأسه الشعراء فى عصره ومدحه نذير أحمد وجعله قرينا لحالى فى شعره.

وقد ظل أسلوب شبلى وشعوره القوى فى حالة توازن وانسجام مستمر، فقد نظم القصيدة لكنه ابتعد عن المبالغة والكذب واللغو وكان عنده حمية وشعور متدفق حيث تأبى عليه غيره الراجپوت التورط فى هذه الخصال ولهذا السبب يبدو فى شعره التأثير والقوة، وفى شعره كثير من العواطف القومية والدينية وخفقت له قلوب قومه فقد كان يبكى على تدهور حال المسلمين حتى شعرت جميع الكائنات ببكائه.

وتحت موضوع العاطفة الدينية والقومية تناول قلمه مئات المسائل والموضوعات من «عدل جهانگير» حتى «مسجد كانپور» وصاغا فى قالب شعرى جذاب وكان لديه مقدرة فائقة على تصوير الحقائق والوقائع، ولو قمنا بدراسة تفصيلية لشخصية شبلى لساد عندنا الاعتقاد بأن قلب شبلى يمتلىء بحماس هادر وايمان قوى بخدمة الإسلام والمسلمين وهذا ما دفعه إلى نظم مثل هذه القصائد الخالدة التى لاتزال تتردد على الألسنة حتى الآن وقد منح شبلى الطابع العالمى للموضوعات الطارئة فى الشعر الأردى، فعندما تناول قلمه موضوع حرب البلقان عام ١٩١١ م نظم أشعار مؤثرة خفقت لها قلوب المسلمين، يقول فى قصيدة مشهورة له فى الشعر السياسى فى قالب الغزل رديفها «كبتک» أى «إلى متى»(١):

* زالت الدولة فإلى متى يبقى الاسم، وإلى متى يرتفع الدخان من مصباح الحفلة المنطفئ؟

* ولو أن الفلك مزق عباءة الدولة إربا إربا، فإلى متى ستطير هذه القطع الممزقة فى فضاء السماء؟

---

(١)-حكومت پرزوال آياتويهر نام ونشان كبتک — چراغ كشته محفل من انهم كَادهوان كبتک

-قباى سلطنت] كَرفلك فى كرديثى پُرر ب — فضائى آسمانى مين آرين كَى دهجيان كبتک

* إن مراكش قد انتهت وضاعت فارس، فإلى متى يعيش المريض التركي عنيد الروح؟

* وسيل البلاء الذي يأتي متدفقا من البلقان، إلى متى يمنعه دخان آهات المظلومين؟

* والجميع شاهدون لرقصة المذبوح، فإلى متى نريهم الشهيد المحتضر.

* إن اولئك الناس يستمتعون بأنات المظلومين وبكائهم، فإلى متى سيسمعهم اليتيم العاجز هذا اللحن؟

* فليسأل سائل يا أساتذة الحضارة الإنسانية، إلى متى تستمر هذه المظالم وإلى متى تستمر هذه الفتن؟

* وإلى متى يستمر طوفان الظلم والبلاء الهادر، وإلى متى التمتع بالضجيج والآهات المثيرة للشفقة؟

* إننا نعترف إنكم تجربون سيوفكم الحادة ، لكن إلى متى سيجرى تجربتها على رقابنا؟

* وإذا ما تنزهتم في حديقة الدم، فإلى متى نريكم جروحنا الدامية؟

* نحن نعترف أنكم تريدون أسبابا لإشعال المحفل، نريها لكم ولكن إلى متى نريكم فتنة العويل والآهات؟

* ونعترف بأنكم تسلون قلوبكم بقصة الحزن هذه، فإلى متى نظل نسمعكم قصة آلامنا؟

---

(١) -مراكش جاچآ فارس كَيا اب ديكهنايه ب
يه سيلاب بلا بلقان سى جويره هتا آتاه
-يه سب هين رقص بسمل كاتماشا ديكهنى والى
-يه وه هين ناله مظلوم كملى جن كوبهائى به
-كوئى پوجهى كه اب تهذيب انسانى كـ استاذو
-يه جوش انكيزى طوفان بيد اد وبلاتاكـ
-يه ماناتم كوتلوارون كى تيزى آزمانى هـ
-نكارستان خون كى سير كَرتم نى نهين ديكهى
-يه ماناكَرمى محفل كـ سامان جاهين تم كو
-يه ماناقصهء غم سى تمهاراجى بهلتا هـ

كه جيتابه تركى كامريض سخت جان كبتك
اسى روكـ كَامظلومون كى آمون كادهوان كبتكي
يه سيرأن كودكهائيكَا شهيد نيم جان كبتك
يه راكَـ ان كوسنائى كَايتيم ناتوان كبتك
يه ظلم آراثيان تا كـ ، به حشر انكيزيهان كبتك
يه لطف انكيزى بنكَامهء آه وفغان كبتك
همارى كَردونون پر موكَا اس كا امتحان كبتك
توهم دكهلائين تم كوزخمهائى خونچكان كبتك
دكهائين هم تمهين هنكَامه آه وفان كبتك
سنائين تم كواپنى دردون كى داستان كبتك

* نحن نعترف أنكم تشكون للفلك من الجدب، فإلى متى نروى حقولكم بدمائنا؟

* إنكم فى حاجة إلى مسحوق الذهب للنثر على عروس الحظ، فإلى متى تقوم ذرات ترابنا بعمل مسحوق الذهب؟

* وإلى متى ستنتقمون منا نقمة للفتح الأيوبى؟، وإلى متى ستعرضون علينا مشهدا للحرب الصليبية؟

* وبعد ما اعتبرتمونا كآثار الأسلاف الباهتة، فإلى متى ستمحون أسماءنا وآثارنا هكذا؟

* إن زوال الدولة العثمانية هو زوال للشرع والدين، فيأيها الأعزاء إلى متى التفكير فى الأهل والعيال والأسرة.

* بالله هل عرفتم أنتم ما هذه الاستعدادات؟ وإن لم تفهموا الآن كم يستغرق فهمكم لهذا اللغز.

* ولو رحل عن الدنيا عباد تراب الكعبة، فإلى متى يظل احترام سجدة المقدسين؟

* ولما يدوى العالم من ضجيج صوت ناقوس الكنيسة، فإلى متى تبقى نغمة التوحيد والآذان الجميل؟

* لقد تبعثرت أوراق الدفتر الإسلامى ، فإلى متى ستهب عواصف رياح الكفر العاتية؟

* أخاف أن تصل الرياح العاتية إلى كنف الحرم، وإلى متى هذه السخرية بلا حدود لغبار الكفر؟

---

(١)-يه مانا تم كوشكوه به فلك سى خشك سالى كا
-عروس بخت كى خاطر تمهين دركار هـ افشان
-كهان تك لوگ هم سى انتقام فتح ايوبى
-سمجه كريه كه دهند لى به نشان رفتكان هم هين
-زوال دولت عثمان زوال شرع وملت هـ
-خدار اتم سمجى بهى كه يه تياريان كياهين
-پرستاران خاك كعبه دنيا سى اكرائهى
-جوكونج انهى كا عالم شور ناقوس كليساسى
-بكهرتى جاتى هين شيرازه اوراق اسلامى
-كهين ار ط كرنه دامان حرم كوبهى به چهوآئى

هم اپنى خون سى سينچين تمهارى كهتيان كبتك
همارى ذره هاى خاك هون كى ررفشان كبتك
دكهاؤكى همين جنگ صليبى كاسمان كبتك
متاؤكى همارا اس طرح نام ونشان كبتك
عزيز وفكر فرزند وعيال وخاتمان كبتك
هم سمجهى اب تويهريه سمجره كم به چستيان كيتك
تويهر يه احترام سجده كاه قدسيان كبتك
تويهر به نغمه توحيد وكلبا نگ اذ ان كبتك
جلين كى تند، باد كفركى يه آندهيان كبتك
غبار كفر كى به محابا شوخيان كبتك

* إن الصيادين ينظرون إلى صوب الحرم أيضاً، فإلى متى يبقى عش طيور الحرام؟

* ولو نخرج مهاجرين فأين نهاجر ياشبلى؟، وإلى متى يبقى الأمن والأمان فى الشام ونجد والقيروان؟(١)

ولم تكد جروح قلوب المسلمين من حرب البلقان تندمل حتى تفجرت أحداث مسجد كانپور الدامية فأضافت جروحا غائرة أخرى إلى جروح المسلمين وثار المسلمين فى أنحاء الهند وتحركت قرائح الشعراء ونظم شبلى على الفور قصيدة «هم كشتكان معركة كانپور» أى نحن قتلى معركة كانپور «فجاءت ترجمانا صادقا لمشاعر المسلمين وتتكون من بندين، الأول رديفه «هين» والثانى رديفه «هـ». يقول:

* بالأمس عندما وقع نظرى على بضعة جثث بلا روح، ورأيتهم على كثب وجدتهم مثخنين بالجراح.

* وبينهم بعض الأطفال الصغار الصامتين، ولكن طفولتهم تقول بأنهم أبرياء.

* لقد جئنا لنبنى بيت الله، فغالبنا النور ونحن فى انتظار نفخ الصور.

* وهناك بعض الشباب المنتشى بنشوة الصبا، على الرغم من أنهم فى الظاهرذوو عقل وشعور.

* وإن شبابهم المبكر يقول بلاريب، ليس هناك أى مجرم لكننا مجرمون.

* لقد صددنا ضربات الرماح بصدورنا، مع أننا فى نشوة خمر الدلال والغرور.

* نستطيع أن نقطع رءوسنا بأيدينا، لأننا غارقون بلذة تذوق القلب غير الصابر.

حرم کی سمت بهی صید افگنون کی جب نگاهین هین
- جو هجرت کرکے بهی جائین توشبلی اب کهان جائین

(سيد سليمان ندوى: حيت شبلى: ٥٩٣ :٥٩٤).

توپهر سمجهو که مرغان حرم کا آشیان کبتک
که آب امن وامان شام ونجد وقیروان کبتک

(١)-کل مجهه کوچند لاشه بی جان نظر بر طی
-کچهه طفل خوردسال هین جوچپ هین خودمکر
-آنی تهی اسئلی که بنائین خدا کاکهر
-کچهه نوجوان هین بی خبر نشهء شباب
-انهتا بوا شباب به کهات بی دریغ
-سینیه به هم نی روک لی برجهیون که وار
-هم آپ اپنا کاث که کهدیة هین جوسر

(سيد سليمان ندوى: حيت شبلى: ٦٠٥ :٦٠٦).

دیکهها قریب جاکه توزخمون چور هین
پچپن به کهه دهاه که هم بی قصور هین
نیند آکئی هے منتظر نفخ صور هین
ظاهر مین کرچهء صاحب عقل وشعور هین
مجرم کوئی نهین به مکرهم غرور هین
ازبسکه مست بادة نازو غرور هین
لذت شناس ذوق دل ناصبور هین

* وعندما سألت من أنتم؟ ارتفع هذا الصوت، نحن قتلى معركة كانپور.

* إن المساجد فى حاجة إلى البوليس للحراسة، وهذا من كرمكم فجعلتم الله يشكركم.

* فما العجب أن ينبعث هذا الصوت من كل طريق عام الآن، أنا أيضاً فى حاجة إلى دورة مياة على الأقل.

* وعلماء الدين يلبسون السلاسل، وهذه الزينة من ميراث السيد سجاد عالى الشأن (زين العابدين).

* ولو أن هناك عشرة أو عشرين قتلى بالخنجر، فإنى فى هذه الحالة أشكو من ضعف سواعد القاتل.

* وسوف يستخدم قطرات دماء شهداء الوفاء، لأن عروس المسجد الجميلة فى حاجة إلى مسحوق الذهب لينثر عليها.

* ولا عجب فى أن الشباب الصغار قد قدموا أرواحهم فداء قبل الجميع، وهؤلاء الصغار متعودون على النوم مبكرا.

* وتنبعث الأصوات من تراب شهداء الوفاء، بأن شبلى موجود فى بومباى ومحروم من هذه السعادة(١).

وكان شبلى قد نظم هذه القصيدة «مسجد كانپور» فى أغسطس ١٩١٣ ونشرت فى صحيفتى «الهلال» بكلكتا، و«همدرد» بدهلى فى وقت واحد ثم نشرت بعد ذلك فى صحيفة «زميندار» لاهور وأحدثت وعيا ساسيا وقوميا عارما فى جميع أنحاء الهند وكانت بمثابة أداة ضغط على الحكومة الإنجليزية التى استجابت فى النهاية لمطالب المسلمين. وهكذا يتضح أن الشعر السياسى لشبلى يعد ثروة عظيمة للدين والوطن ويفخر به الشعر الأردى.

---

(١) -پوچيا جومين نى كون هو تم؟ آئى به صدا — هم كشتكان معركة كانپور.. هين
-مساجد كى حفاظت كے لى پولس كى حاجت هے — خد اكو آپ نى مشكور فرما ياعنايت هے
-عجيب كياهے كه آب هرشاهراه سى يه صدا آئى — مجهے بهى كم بى كم غسلخانه كى ضرورت هے
-پنهائى جارى هين عالمان دين كوزنجيرين — به زيور سيد سجاد عالى كى دراثت هے
-يهى دس بيس اكر هين كشتكان خنجر اندازى — تومجهے كوستى يازد قاتل كى شكايت هے
-شهيدان وفاكے قطره خون كام آئين كے — عروس مسجد زيباكو افشان ضرورت هے
-عجب كيا به جونوخيزون نى سب پهلى جانين دين — به يج هين سويرهے ان كوسوجانى كى عادت هے
-شهيدان وفاكى خاك سى آتى آوازين — كه شبلى بمبىء مين ره كے محروم سعادت هے

وفى سلسلة قصائد شبلى السياسية نظم قصيدة شرح فيها الحالة المتردية لأوضاع المسلمين وتطرق فيها إلى حالهم بعد حرب البلقان والحرب على المسلمين الأتراك. يقول:-

* هل رأيتم سوء طالع المسلمين؟ وهل رأيتم جميع تقلبات الفلك الدوار الجديدة؟
* وهل يفهم أهل الهند أوجاع قلبك؟ إنكم قد رأيتم المظالم التى تزيد يوما بعد يوم.
* إنكم قد سمعتم أنات اليتامى المضنية للروح، انظروا أيضاً إلى الوجه الحزين واللسان العاجز.
* لقد حرقوا الأحياء بعد أن نهبوا المنازل، وإنكم قد رأيتم القانون الجديد لبلاد الغرب.
* (إنه يقول) اقتلوا المسلمين وحطموا الأتراك، إنكم قد رأيتم نتائج حكم (جلدستين).
* إنكم قد ضمدتم جروح الغزاة المجاهدين، وإنكم قد رأيتم الدماء على ملابس شهداء الوطن.
* إن عيونكم المعتبرة بنفسها تقول لنا، بأنها قد رأت أيضاً هذه المصائب المتنوعة.
* فقد رأينا أردية الدماء على حدود الشهداء، ورأينا على التراب قطع الصدور مضرجة بالدماء.
* لقد رأينا تزيينات العيون التى تنثر الآلى (الدموع)، ورأينا الخدود الوردية لشهداء الوفاء.
* ويُعرف منكم أخبار عن محبى الملة، إنكم قد رأيتم عشاق مفتونى الإسلام(١).

---

(١) مسلما نون کہ تم نی طالع واژون بهی دیکی هین — نئی سب انقلاب کردش کردون بهی دیکهی هین
-تمهارادرد دل شمجهین گ کیا هـ ندوستان والی — کہ تم نی وہ مظالم هاهـ روزافزون بهی دیکهی هین
-یتیمون کہ سنی هین ناله های جان کزاتم نی — زبان بی نوا کہ چهره محزون بهی دیکهی هین
-کهرون کولوتنی کہ — بلاد مغربی کہ یہ نئی قانون بهی دیکهی هین
-مسلما نون کاقتل عا اورترکون کی بربادی — نتائج های امید گلبدستون بهی دیکهی هین
-تمهین نی غازیونکہ زخم پرتانکی لکائی بین — شهیدان وطن کہ جامہء پرخون بهی دیکهی هین
-تمهاری چشم عبرت گبر خود هم سی یہ کهتی یہ — کہ هم نی وہ مصائب های گوناگون بهی دیکهی هین
-لهوکی چادرین دیکهی هین رخسار شهیدان پر — زمین پربهار هائی سبنهٔ پرخون بهی دیکهی هین
-نگار آرائیان دیکهی هین چشم کوهر افشان کی — شهیدان وفا کہ عارض گلگون بهی دیکهی هین
-تمهین سی کچهره پنہ ملتاهد شیدایان ملت کا — کہ هم فی شاهد اسلام کہ مفتون بهی دیکهی هین

* فلو فهم أحد ثورة الإسلام الثائرة فأنتم الذين فهمتم، إنكم قد رأيتم مجانين ليلى الإسلام.

* ولو بقى هناك شيء من الأمل، بأنكم أنتم الذين رأيتم رموز القوة الخفية.

* فلا عجب إن السفينة الغارقة تطفو مرة واحدة بعد الغرق، وإننا قد رأينا انقلاب السماء الدائرة هكذا.

* لو ينال القبول عند الله دعاء المسنين، فهذي هى يد الدعاء وهذا هو شبلى النعمانى.(١)

وفى الحقبة الزمنية التى عاش فيها شبلى كان هناك فى الساحة السياسية فى الهند حزبان يتصارعان للفوز بتأييد الشعب لهما وبصفة خاصة تأييد المسلمين لهما، وهذان الحزبان هما «كونجرس» أى حزب المؤتمر وكان ذا أغلبية هندوسية وله اتجاه علمانى ورغم ذلك أيده كثير من كبار رموز المسلمين وعلى رأسهم شبلى النعمانى ومولانا أبو الكلام آزاد الذى رأس هذا الحزب فترة من الفترات. والحزب الثانى «مسلم ليگ»، أى الرابطة الإسلامية وكما يبدو من اسمه فكان له ميول قومية إسلامية بحتة. وبالرغم من أن شبلى كان مؤيدا لحزب المؤتمر الهندى إلا أن هذا التأييد لم يمنعه من إبداء النصح للمسلمين المؤيدين لحزب الرابطة الإسلامية. ونظم عدة قصائد نبه فيها المسلمين إلى الأخطاء التى يرتكبونها لعدم تمرسهم بالحياة السياسية وكان يعتبر الرابطة الإسلامية تسير فى فلك السياسة الإنجليزية، ومن هذه القصائد قصيدتان، الأولى بعنوان «طمطراق ليگ» والثانية بعنوان: «مسلم ليگ» وفيما يلى مقتطفات من القصيدة الأولى «طمطراق ليگ» أى عنفوان أو سوءدد الرابطة الإسلامية. يقول:-

---

(١) -جنون جوش اسلامى كوئى سمجهانوتم سمجهى
كه هم نى ليلى اسلام كے مجنون بهى ديكهى هين

-سهارا هے اكرامبد كا اب بهى كوئى باقى
تو هم نى وه رموز قوت مكنون بهى ديكهى هين

-عجب كياهے بيرءا غرق هوكربهرا چهل آئى
كه هم نى انقلاب چرخ كردون يوم بهى ديكهى هين

-دعائى كهنه سالان به اكسر مقبول يزدانى
تواب دست دعُا هے اوربه شبلى نعمانى

(سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ٥٥٩)

* لاينكر أحد جبروت الرابطة الإسلامية وعضمتها، فلها ضجيج وجلبة فى البلد.

* وهى محط كرم أنظار الحكام المحظوظين أيضاً، وقدتولتها الحكومة بعين الرعاية.

* وليس هناك أحد إلا وهو أسير لهذه الحلقة القومية، ففيهم الزهادوفيهم شاربو الخمر.

* وكرمها حسب قدرة طالبها، فهناك الخمرالصافية وهناك ثمالة الكأس أيضاً.

* وخلاصة القول لو تسألون عن فضائلها، فهى تخدم القوم وخادمة للحكام أيضاً.

* فلها علاقة بالحكومة والوطن معا، مثلها كمثل قاعدة الإدغام فى الصرف.

- وفيها البعض حاصلون على شهادة الليسانس فى العلم والعمل، وهناك بعض المساعدين وبعض الناس فى حلقة الخدم.

* ولو يقصدون السياحة والنزهة أيام الإجازة، فهناك المال للسفر فى الدرجة الأولى الممتازة.

* لكن قل لى فى أذنى بصوت خافت، هل أنت تقوم بأى عمل طوال السنة؟(١)

---

(١)-لیکـ کی عظمت وجـبـروت انکارنهین ملکـ مین غلغله هـ، شـور هـ کـهـرام بهی هـ
- کـورنمنت کی بهی اس په عنایت کی نگاه نظر لطف رئیـسـان خـوش انجـام بهی هـ
-کـوئی به جـونهین اس حلقـه قـومی کـا اسـیـر اس مین زهـاد بـهی هـین رنـد آشـام بـهی هـ
-فـیـض اس کـاهـ باندازة طالب، یعنی بادهء صـاف بهی هـ دردتهـه جـام بهی هـ
-مختصر اس کـ فضائل کوجوپوجهم تویه هین مـحـسـن قـوم بهی هـ خـادم حکام بهی هـ
-ربط هـ اس کـوکـورنمت سی بهی ملکـ سی بهی جس طرح «صرف» مین ایکـ قـاعـده ادغـام بهی هـ
-چند بی ای هین سندیافـتـهء علم وعـمـل کـچهم اسـتنت هین کـچهـ حلقهء خـدام هی هـ
-هوجـو تعطیل مین تفـریح وسیاحت مـقـصـود سـفـر درجـهء اول کـ لی دام بهی هـ
- مـجـهرسی آ هسـته مرب کـان مین ارشاد هویه سـال بهـر حـضـرت والاکـوکـوئی کـام بهی هـ

(علی جواد زیدی: اردومین قومی شاعری کـ سوساله- اترپردیش- اله آباد- ١٩٥٩م ص: ١٢١-١٢٢).

ثم يقول فى القصيدة الثانية «مسلم ليگ» أى «الرابطة الإسلامية»:-

* عندما رأت الرابطة الإسلامية أن الناس ينفضون من حولها، لبست ثوبا جديدا بطريقة أخرى.

* إنهم يخاطبون الناس على الملأ، بأنه لامفر لنا الآن إلا الحكم الذاتى.

* ولكن هناك ميزة فى هذه الكلمة، التى يتفق عليها جميع أرباب العقول.

* وهى أن الحكم الذاتى هو الحكم الذى يكون مناسبا، وبعبارة أخرى يكون ملائما ومقبولا.

* فالحكومة التي تناسب دولة كندا، تلك الحكومة هى أساس الشر فى الهند.

* نحن فى الدولة وهناك هندوس ومسيحيون أيضاً، وهم بمثابة الورق والثمار لنخل الحكومة.

ورأى بعض زعماء المسلمين أن يقوموا بالتقريب بين وجهتى نظر المسلمين والحكومة الإنجليزية ولهذا قام حزب الأحرار فى ٢٥ أبريل ١٩١٤ بإعداد وفد للذهاب إلى نائب الملكة فى الهند، فذهب الوفد وقابل نائب الملكة وقدم له عريضة شكر وأكد له على وفاء المسلمين لهم وشكره على إنهاء قضية مسجد كانپور وفى نفس الوقت اختلفت مجموعة أخرى من حزب الأحرار على منهج الوفد فرفضوا المشاركة فى الوفد. وقد نظم شبلى هذه القصيدة فيما يتعلق بهذه الواقعة وسماها «تفرقة حق وباطل» أى «التفريق بين الحق والباطل».

---

(١)-ليگ كوجب نظر آياكه چلى هاتھ سى قوم
-منظر عام په لوگون سى كيا اس نى خطاب
- اكـ ذراسى مكّراس لفظ مين تخصيص بهى هـ
-يعنى وه سلف گورنمنت كوهو «سوت ايبل»
-جوحكومت كه كناد كيلى هـ موزون
-ملك مين هم بهى هين هندو بهى هين عيسائى بهى

اكـ نيا روپ بهرا اس نى بانداز دگّر
كه نهين سلف كَوزنمنت سى اب هم كومفر
حبس سى هين متفق اللفظ سب ارباب نظر
ياكه موزون ومناسب هو بالفاظ دگّر
هـ وهى مملكت هند مين سرمايهء شر
جوكه هين نخل حكومت كيلى برگ وثمر

(على جواد زيدى: قومى شاعرى ١٢٣- ١٢٤).

يقول :-

* إن طريقة الأحرار ومدعو الوفاء كلاهما مختلف عن الآخر.

* لأن منتهى نظرهم مختلف عن الآخر، وأسلوب بيان كل واحد منهما متباين تلقائيا.

* ومع هذا لم يكن واضحا التمييز بين الحق، ولم يكن واضحا من المختلف، وأين الاختلاف.

* وقد كشفت جمعية دهلى هذا الستار، حينما قامت معركة الامتحان منفصلة.

* والآن اتضح الفرق بين الحق والباطل، والآن الربيع شيء والخريف شيء آخر.

* وخرجت شمس الصدق من الكسوف، والآن شمع القلب المضيء شيء والدخان شيء آخر.

* ولم يعد الآن هذا الاختلاط بين الخمر الصافية والشمالة، والذين ضلوا الطريق شيء والقافلة شيء آخر.

* والناس الذين يعتبرون متاعهم ثروة التملق، فإنهم سيفتحون فى الوطن دكانهم منفصلا عن الآخر.

* وهذه قصة مختصرة لمحفل البارحة، وسأسمع هذه القصة فى «الهلال» برواية أخرى(١).

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م تعددت الآراء وتباينت بين موءيدين ومعارضين للدول المشتركة فى هذه الحرب، وكان لشبلى راى فى هذه الحرب

---

(١)-احرار اور مدعيان وفا هين اور دونون كا هـ طريقه سود وزيان الگ
-دونون كامنتهائى نظر هـ جو مختلف هـ خود بخود براكـ كاطرز بيان الگ
-اس پربهى صاف صاف نه تها امتياز حق كهلتا نه تهاكه كون الله به؟كهان الگ
-دهلى كى انجمن نى وه پرده انهاديا قائم بوا جو معركة امتحان الگ
-اب صاف هوگيا، حق وباطل كاامتياز اب فصل نوبهار الگ به خزان الگ
-اب آفتاب صدق كهن س نكل كيا- اب شمع دل فروز الگ هـ دهوان الگ
وه اختلاط دردونه صاف اب نهين كم كشتگان راه سى هـ كاروان الگ
-جو لوگ هين متاع خوشا مد كـ مايه دار كهولين گ اب وه ملك هين اپنى دكان الگ
-يه مختصر فسانهء بزم شبينه هـ سنيء گا «الهلال» مين يه داستان الگ

(المرجع السابق: ١٢٦ وحيات شبلى:٦٣٢).

فاظهره شعرا على هيئة حوار ساخن بينه وبين رجل ألمانى.

يقول سيد سليمان الندوى فى كتابه «حيات شبلى» إن هذه القصيدة كانت شديدة النقد للمتحاربين حتى أن الحكومة الإنجليزية أصدرت حكما بالقبض علي شبلى إلا أن وفاته حالت دون تنفيذ هذا الحكم».(١)

وقصيدة شبلى هذه تحت عنوان «پهلى جنگ عظيم أور هندستانى» أى «الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر هندى»:-

* قال لى رجل ألمانى على سبيل الغرور، إن النصر ليس سهلاً ولكنه صعب أيضاً.
* إن جيش بريطانيا يقل عن مليون، وألطف مافيه أنه غير مستعد أو جاهز.
* أما فرنسا فهى كالرند الأزلى، وهى لاتعرف قوانين الحرب أيضاً.
* فقلت إن ادعاءك بسبب الغرور وهو خاطئ، وأنت لست مجنونا ولست عاقلا أيضاً.
* نحن معشر الهنود عشرة أضعاف الألمان، أليس عندك التمييز بين القليل والكثير.؟
* فسمع كلامى بتمعن، ثم قال قولا لايليق بالبيان.
* يارب لماذا لايموت أحد على سجيته البسيطة، إنهم يقاتلون وليس فى أيديهم سيف.(٢)

وبعد أن ترك شبلى «ندوة العلماء» تدهور أحوالها وتوقفت معظم المساعدات عنها واعترضت إدارة التعليم الحكومية على أعمالها، وعندما رأى شبلى هذه الحالة المتردية التى ألمت بالندوة تألم ألما شديدا، ونظم قصيدة طويلة عن أحوال «الندوة وطرق إصلاحها كما شرح فيها منهج حزب على كَرط هـ رغم أنه ترك العمل تحت لوائه. وقد

---

(١) سيد سليمان ندوى: حيات شبلى:٦٣٧.

(١) اک جرمنى نى مجھ سى كہا ازرہ غرور — آسان نہين فتح تودشوار بھى نہين
-برياطنية كى فوج بى دس لاكھ بين بھى كم — اور اس په لطف يه هـ كه تيار بھى نہين
-باقى ربا فرانس تووه رند لم يزل — آئين شناس شيوه پيكاربھى نہين
-مين نى كہا غلط بى تراد عوئى غرور — ديوانه تونہين هـ هوشيار بھى نہين
-سنتاربا وه غورسى ميرا كلام اور — پھروه كہا جولائق اظهار بھى نہين
-«اس سادگى په كون نه مرجائى ان خدا — لڑتى هين اورباتهـ مين تلوار بھى نہين»

(على جواد زيدى: اردو مين قومى شاعرى كـ صدساله:١٢٧ سيد سليمان ندوى: حيات شبلى:٦٣٧.

أنشد شبلى هذه القصيدة فى الجلسة التى أقيمت فى دهلى فى ١٠ مايو ١٩١٣م. يقول:-

* ما ألطف حماة الندوة الآن، أولئك الناس الذين كانوا يتجنبون اسمها.

* أولئك الناس الذين يرون أن هذه الندوة المسكينة خيال سخيف أو أنها كانت حلما.

* أولئك الذين كانوا يرون أن طريقه التعليم فيها، بمثابة حرب ضد السير سيد أحمد خان.

* أولئك الذين فى آرائهم أن هذه الندوة الحقيرة، كانت سدا منيعا للتعليم الغربى.

* أولئك الذين كانوا (يتلوون) من الألم باسم الندوة، لقد كانت بالنسبة لهم سببا فى العذاب.

* والأمر المثير للحيرة أن هذا الاجتماع فى دهلى لهذه الجماعة كان نائبا لحل مشاكل الندوة.

* ولو أن شخصا نقد الندوة، لكان هدفا لعتاب هذه الجماعة الطيبة.

* ولو يذكر أى نقص فى الندوة ، فإنه يواجه بمائه إجابة من ناحيتهم.

* والسائرون فى فلك على كَرَ ط هـ فى المقدمة، فإنه لو أى قمر فيهم لصار شمسا(١).

---

(١) -كيابه لطف هـ كه حاميء ندوه هين اب وه لوگ
جن كوكه اس كـ نام سى بهى اجتناب تها

- لوگ جن كى رات مين يه ندوهء غريب
اكـ بهيده خيال تها يا آنكه خواب تها

-وه لوگ جن كى رات مين تعليم كايه طرز
اعلان جنگ سيد عالى جناب تها

-وه لوگ جن كي رات مين يه ندوهء حقير
تعليم مغربى كيلى سد باب تها

-وه لوگ جن كى رات مين ندوه كايه طلسم
سرتا قدم فريب ده شيخ وشاب تها

-ندوه كانام سن كـ جوكهاتى تهى پيچ وتاب
جن كيلى وه موجب رغ وعذاب تها

-حيرت يه هـ كه مجمع دهلى مين يه كَروه
ندوه كـ حل وعقد كانائب مناب تها

-ندوة په حرف گير جو هوتا تها كوئى شخص
وه اس كَروه پاكـ كا وقف عتاب تها

-ندوه مين كوئى نقص بتاتا اگركوئى
ان كى طرف سى ايكـ كاسو جواب تها

* وكان جميع شاهدى الحفل فى حيرة من أمرهم، أى سحر هذا؟ وما هذا الانقلاب؟

* أين الندوة من مجلس على كَرط هـ أنى لهذه الجماعة أن تدخل فى هذا الانقلاب؟

* متى كانت هذه الصداقة؟ وفى أى وقت ينشأ هذا الارتباط؟. وفى أى وقت كان هذا موردا لهذا الكرم الفياض؟

* وهذا الأمر لايليق بالإشادة بأن الندوة الغريبة، التى كانت منذ زمان موردا للغضب والعتاب.

* الآن أولئك الناس متحمسون لحماية الندوة ، وكانوا يتجنبون ذكرها أيضاً.

* هذا بغض معاوية وليس هذا حب على، وكل واحد كان على لسانه هذا الخطاب الذى هو فصل الخطاب.

* وهذه القصة الشائقة لم تكتمل بعد، وكل الذى قصصته كان بداة الباب فقط[1].

---

(١) -سیارکان چرخ علی کَر ط هـ تهی پیش پیش
جن مین کوئی قمر تها کوئی «افتاب» تها

-حیرت مین تهی تمام تما شائیان بزم
یعنی یه کیا طلسم تها؟ کیا انقلاب تها؟

-ندوه کهان وه علی کَرط هـ کی انجمن
اس بزم قدس مین یه کهان باریاب تها؟

-کس دن کی دوستی بی یه کب کا هـ ارتباط؟
یون کب وه مورد کرم بی حساب تها

-شایان آفرین بی وهی ندوهء غریب
جومدتون سی مورد خشم وعتاب تها

- سرشار بی حمایت ندوه مین وه کَروه
جن کوکه اس ک ذکرسی بهی اجتناب تها

- بغض معاوية هـ یه حب علی نهین
ایک ایک کی زبان په ید فصل الخطاب تها

- یه قصه لطیف بهی ناتمام هـ
جوکچهه بیان هواهه یه آغاز باب تها

(سید سلیمان :حیات شبلی: ٦٦٣-٦٦٤).

* ثالثًا : الشعر العربى

وكما مر بنا فى سيرة شبلى النعمانى فإنه قد أتقن اللغة العربية منذ صباه وكتب بها مجموعة من الرسائل الدينية منها « إسكات المعتدى على إنصات المقتدى » وألف بها كتابيه « الجزية » والانتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان وكانت له عدة خطب ورسائل وتقارير باللغة العربية . وبالنسبة للشعر العربى فقد كان شبلى متذوقًا له ثم درسه بتمعن على يد أستاذه فيض الحسن استاذ الأدب العربى فى الكلية الشرقية بلاهور الذى قرأ عليه كتاب « جمهرة أشعار العرب » و« ديوان الحماسة » لأبى تمام وبعد ذلك جادت قريحته بالشعر العربى فنظم عدة قصائد من أشهرها قصيدة فى مدح السير سيد الذى أعجب بها عندما قرأها وأثنى على لغتها وأسلوبها ونشرها فى صحيفة « أخبار على گڑھ گزت » فى ١٥ اكتوبر ١٨٨١م وكان شبلى آنذاك فى الرابعة والعشرين من عمره يقول :-

- المجد يصحب علما حيثما يصل ... والعلم عن قومنا لا زال يرتحل
- نالوا عن الذل ما لا ناله أحد ... إذ لا يرى فيهم علم وعمل
- ولا تزال ترى ينشت شملهم ... فى كل يوم وقد ضاقت بهم حيل
- لا يرغبون إلى ما كان ينفعهم ... فجل صنعتهم للغى والخطل
- تراهم اليوم فى كآب وفى قلق ... فلا أفاد فتيلا ما به اشتغلوا
- لا ينتهون وقد ذاقوا وباللهم ... عن سوء صنع فقد باءوا بما عملوا
- وهل يجازيهم إلا بما اكتسبوا ... من كان من عنده الأحكام تنفصل
- فمن سعى اليوم فى إصلاح حالهم[١] ... فالله جازيه يومًا يقطع الأمل
- إن كنت تسألنى من هذه[٢] صنعتم ... قلت الإمام الهمام السيد البطل
- هو الذى فاق فى الآفاق منزلة ... ونال ما لم تنله الأعصر الأول
- ومن أقبل الدين والدنيا عليه معا ... والآن فى نجح ما قد رام مشتعل

---

(١) هذا الشطر فى الأصل هكذا « فمن سعى اليوم فى إصلاح الهم » . (الباحث) .

(٢) الصواب ان توضع « هذى » بدلاً من « هذه » لكى يستقيم الوزن . (الباحث) .

- نال المكارم من آبائه ومشى ... فى المكرمات على آثار ما فعلوا
- فجده سيد الأعراب والعجم ... قد قال يا أمتى أمَادنا الأجل
- وهكذا صنع هذا السيد العلم ... يقول يالهف قومى[1] يسىء ما عملوا
- أحسن إليهم ولو جازوك ... ولا تبال بما قالوا وما فعلوا[2]

وعلى الرغم من بعض العيوب الفنية فى هذه القصيدة إلا أنها طراز جديد من القصائد غير معهود فى الهند فى ذلك العصر، فلم يكن هناك أحد من الشعراء يحاول تقليد المتأخرين كالمتنبى وغيره. ويتضح من القصيدة أن شبلى مدح السير سيد مرتين، مدح فى المرة الأولى - نسبه وسيادته، وفى المرة الثانية مدح اعماله القومية وهذا ما كان فيه دون إسراف فى المدح على عادة الشعراء الذين يتسولون بالمدح بذل وابتذال وهذا دليل سمو خيال الشاعر وعلو همته.

---

(١) هذه الكلمة خطأ مطبعى والصواب « يقول يالهف قومى يا سوء ما عملوا » (الباحث)

(٢) سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ١١٨-١١٩

أساتذة شبلى

تلقى شبلى تعليمه على يد جماعة من أفضل علماء وأساتذة الهند آنذاك فشكلوا عقله وشحذوا قريحته فى الوقت الذى كان شبلى يتمتع فيه بالذكاء الفطرى والذاكرة القوية. وفيما يلى سنذكر هؤلاء الأساتذة الذين أثروا فى فكر شبلى فصار أديبًا مشهورًا:

(١) حكيم عبد الله:

وهو أول معلم لشبلى حيث تلقى على يديه تعليمه الأولى فى اللغة الفارسية والقرآن الكريم فى قرية جيراجپور القريبة من قريته، وكان حكيم عبد الله تلميذًا للمفتى محمد يوسف الفرنج محلى ومولوى سيد نذير حسين الدهلوى وتوفى عام ١٣٠٧ هـ/ ١٨٩٠م يقول حكيم عبد الله: «إن علامات العبقرية كانت تبدو عليه وهو فى طفولته، فقد استيقظت ذات ليلة فوجدته جالسًا فى أحد الجوانب مستغرقًا فى كتابة شيء ما، وعندما سألته علمت أنه يكتب قطعة تتضمن التاريخ مع أنه كان فى مرحلة الطفولة».

(٢) مولوى شكر الله:

قرأ عليه شبلى قصيدة وكان من سكان سبرهد فى أعظم گرھ وتتلمذ على المفتى محمد يوسف وتوفى عام ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م وقد شهد لشبلى بالنبوغ.

(٣) مولانا عباس چرياكوتى:

تتلمذ شبلى على يديه وهو ابن الشيخ إمام على ومن أحفاد ملا باب الله جونبورى من ناحية الأم وكان من كبار المناطقة والمناظرين وشاعرًا وأديبًا باللغة العربية، وقد جاء ذكر فى «تذكرة علمائى حال» تذكرة علماء العصر أنه من بين أساتذة شبلى.

(٤) مولانا هدايت الله جونبورى:

ذكر مولوى عبد الحليم شرر وكان من أصدقاء شبلى أن «شبلى قرأ فترة من الوقت على مولوى هدايت الله خان فى المدرسة الحنفية التى أقامها الإمام بخشى جونبورى بمدينة خير آباد وقد كان هدايت الله من أشهر مدرسى خير آباد وقد أشار شبلى فى خطاباته ما يفيد ارتباطه بهذه المدرسة[١].

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٠-٧٢.

(٥) مولانا محمد فاروق[١] چرياكوتى:

وكان مولانا فاروق فى تلك الأيام مدرسًا فى «جشمة رحمت» بغازى پور وذاع صيت علمه فأرسل الشيخ حبيب شبلى إلى غازى پور عند صهره مولانا كامل وليدبورى ليتلقى العلم على مولانا فاروق وأقام شبلى هناك فى أحد منازل حى الشرفاء القديم ويسمى ميان بوره. وقال عنه شبلى: «لقد قرأت عليه جميع كتب المعقولات مثل: مير زاهد وملا جلال وحمد الله وشرح مطالع صدرًا والشمس البازغة.

وتذوقت الفارسية من فيضة كما قرأت أشعار الأساتذة عليه، ولم يكن مولانا فاروق يكتفى بتعليم المنطق النظرى فحسب بل العملى كذلك فكان يدرس النسب الأربع والقضايا والأشكال بالتدريبات «وتعلم شبلى منه الترتيب المنطقى فى الخطابه والكتابة وتدرب على المناظرات وتعلم أصول وقواعد المناظرة فى الفن والمنطق وكان لتوافق ميول الأستاذ والتلميذ دور كبير فى تقوية الرباط المعنوى بينهما وأجازه فترك الأستاذ غازى پور ورحل إلى أعظم گرﻫ عام ١٢٩٠ هـ وعمل مولانا فاروق فى المدرسة العربية التى أقامها الشيخ حبيب الله، وكان شبلى تلميذاً لماحًا ومولانا فاروق أستاذًا متبحرًا فاستفاد شبلى من فيضه وكان مولانا فاروق يفخر به دائمًا ويقول: «أنا أسد وأنت شبلى».

(٦) مولانا فيض الحسن السهارنبورى:

وكان يعمل مدرسًا فى الكلية الشرقية بلاهور وكان أديبًا فذًا فأراد شبلى أن يعب من فيض علمه فسافر له والتقى به وتعلم منه الأدب العربى فوصل إلى حد الكمال فى تذوقه

---

(١) مولانا محمد فاروق من مشاهير علماء عصره وهو ابن القاضى على أكبر ابن القاضى عطا رسول چرياكوتى وتلقى تعليمه على يد أخيه الأكبر عنايت رسول وتلقى تعليمه فى فن الهيئة على يد رحمت الله فرنگى محلى وأصول الفقه على يد المفتى محمد يوسف، وكان له إلمام شامل بالرياضيات والعلوم المعقولة والمنقولة والأدب والموسيقى وعمل مدرسًا فى العديد من المدارس فى «جشمة رحمت» بغازى پور ثم مدرسة اعظم گرﻫ ثم فى كانپور وفى مدرسة إحياء العلوم بإله آباد وعام ١٣١٧ هـ عمل مدرسًا أول فى دار العلوم ندوة العلماء عندما أقيمت وفى ١٩٠٤م ترك الوظيفة وعمل مدرسًا للحكام الأجانب فكان يدرس لهم العربية وفى عام ١٩٠٩م أسند إليه شبلى مسئولية الإشراف على الأدب فى ندوة العلماء فذهب إلى غازى پور ليحضر ممتلكاته من هناك لكنه توفى بها فى رمضان ١٣٢٧ هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٩٠٩م وله عدة رسائل منها: منظومة نحوية وفارسى خالق بارى وكشف الأقناع عن وجوه الإمتاع وغيرها وله أشعار بالأردية منها «مسدس فاروقى «نظم فيه أحداث «حرب البقر» فى أعظم گرﻫ/ عام ١٨٩٣ (سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٧٢-٧٣).

تذوقًا صحيحًا، وتلقى شبلى عنه الأدب العربى وحفظ ديوان الحماسة وقرأ شعر المتنبى وتأثر ببلاغة القرآن وفصاحته ويمكن لنا القول أن فيض الحسن هو الذى شكل ذوقه الأدبى. وتوفى فيض الحسن فى ١٣٠٤ هـ/ ١٨٨٧م.

(٧) مولانا أحمد على المحدث السهانپورى:

وكان من أشهر المحدثين وإمامًا للحديث فى عصره وتلقى شبلى عليه علوم الحديث، وقد تلقى مولانا أحمد على علوم الحديث عن الشيخ وجيه الدين صديقى السهانپورى ومولانا عبد الحى تلميذ مولانا شاه عبد القادر الدهلوى ثم شد الرحال إلى مكة المكرمة عام ١٢٦١ هـ وقرأ الحديث على مولانا شاه محمد إسحق الدهلوى المهاجر وحصل على الإجازة والسند فى الحديث ولم يكن بين علماء الأحناف فى الهند عالم يتفوق عليه فى علم الحديث، ومن أهم أعماله أنه قام بتصحيح مخطوطات الحديث بعناية فائقة وجهد جهيد حتى نشر جامع الترمذى عام ١٢٦٥ هـ وصحيح البخارى عام ١٢٦٧ هـ. ويقول شبلى «إنه قضى عشرون عامًا فى تصحيح صحيح البخارى وتحشيته وكان نموذجًا للتواضع وتوفى فى ٧ جمادى الأول ١٢٩٧ هـ[١].

(٨) توماس آرنولد:

على الرغم من أن شبلى وتوماس آرنولد كانت تجمعهما علاقة صداقة واحترام وتأثر كل منهما بالآخر فأعطى له بقدر ما أعطى لشبلى، وترافقا معا فى سفر شبلى إلى تركيا والشام ومصر لكنه افترق عنه فى بور سعيد وتوجه إلى انجلترا بينما وأصل شبلى رحلته إلى الشام وتركيا، إلا أننا نذكر آرنولد ضمن أساتذة شبلى - تجاوزًا - حيث قام آرنولد بتعليم شبلى اللغة الفرنسية إلى جانب قليل من اللغة الإنجليزية وقواعد البحث الأوربى وأصول التحقيق الحديث، وقد درّس آرنولد لشبلى اللغة الفرنسية من كتاب سيديو «تمدن اسلام» أى الحضارة الإسلامية على ظهر السفينة كما اعترف شبلى بذلك فى «سفر نامه»[٢] وأشار إلى ذلك فى قصيدة «سفر روم» يقول هذا المصرع:-

- «آرنولد آنكه رفيق است، وهم استاد مرا»[*] ويجب أن نشير هنا إلى أن شبلى علّم آرنولد اللغة العربية.

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٠-٨٦.

(٢) شبلى: سفر نامه: ١١-١٢.

(*) «آرنولد ذلك الرفيق وهو أستاذى أيضًا».

شخصيته . . أخلاقه وعاداته

نشأ شبلى فى أسرة ميسورة الحال لم يشك من شظف العيش فى طفولته كما لم يشقه العوذ فى شبابه فشب فى راحة ويسر وتعلم مبادئ دينه الأولى عن والديه فكان متدينًا ورعا منظمًا فى أعماله وأوقاته مهندمًا فى لباسه، ونتيجة لهذه البيئة الرغدة التى عاش فيها شبلى كان من الطبيعى أن يميل إلى الغرم بالمال والجاه والشهرة حيث ولد لأب من الاقطاعيين، وكان أبوه وأخوه مولوى مهدى حسن من كبار المحامين بأعظم گرﮪ وتقلد أخوه وأقاربه أعلى الوظائف الحكومية وعاشوا فى قصور وضياع كالإنجليز، وقضى ستة عشر عامًا فى على گرﮪ التى كان يجتمع بها جميع مظاهر الجاه والأبهة وعاش كذلك فترة من حياته كالأمراء فى حيدر آباد ورغم هذا كله لم يمل شبلى إلى حياة الدعة والترف وآثر أن يخوض غمار الحياة معتمدًا على نفسه فى كل شىء فعمل فى بداية حياته محاميًا براتب ضئيل سرعان ما تركها لأنه كان يخشى أن يتقيد بقيود الوظيفة فلا يستطيع أن يحقق مشروعاته الثقافية التى كانت تعتمل فى مخيلته من جانب وعدم اقتناعه بهذه المهنة من جانب آخر لأنها لا تتفق وميوله الأدبية والدينية، وكان قنوعًا حيث بدأ حياته فى على گرﮪ بأربعين روبية فى الشهر زادت إلى مائة روبية خلال رحلة عمله فى الكلية والتى قاربت ستة عشر عامًا، وعاش بهذا الراتب الضئيل حياة بسيطة هادئة إلى أن تلقى راتبًا شهريًا من حكومة حيدر آباد قدره مائة روبية تشجيعًا لجهوده الأدبية والعلمية ومن العجيب أنه استطاع سداد دين كبير على أبيه بعد وفاته ورفض أن يأخذ من أسرته ماله من عقارات تركها لهم الأب الشيخ حبيب فعاش شبلى كما يعيش أواسط الناس ورفض أن يأخذ حقوقه من تأليف الكتب فأهداها إلى كلية على گرﮪ وندوة العلماء وإدارة العلوم والفنون فى حيدر آباد.

كان شبلى مرهف الحس شديد التأثر بما حوله وعندما جاء إلى على گرﮪ لم يناسبه جوها فمرض وذهب إلى كشمير للعلاج والاستجمام بعد ذلك كان يقضى عدة شهور فى العام فى بومباى لاعتدال مناخها.

وكان شبلى كغيره من العلماء القدماء يتميز بخاصية الاستغناء والترفع والأنفة فبعد أن انفصل من كلية على گرﮪ بعدة أيام عرض عليه الأمير عبد الرحمن خان والى كابل مبلغ عشرة آلاف روبية مقابل ترجمة كتاب مقدمة ابن خلدون إلا أنه رفض هذا العرض

كما رفض كذلك أن يتولى مهمة الإشراف على « دار الترجمة » التى أنشأها هذا الأمير، وفضل أن يوجه جهوده لخدمة ندوة العلماء التى وهب حياته ومؤلفاته ومكتبته لها، ولم يكن يطمع فى الهيمنة عليها كما روج لهذه الفكرة أنصار حركة على گرھ والسير سيد أحمد خان الذين رأوا أن رئاسة شبلى لندوة العلماء هذه المؤسسة التعليمية الكبيرة تقليد لرئاسة السير سيد لكلية گرھ ومنافسة لها والدليل على دحض هذه الفكرة ما أسداه شبلى للندوة من خدمات بعد أن ترك رئاستها(١).

وكان الإباء والاعتداد بالنفس أهم سمات شبلى لذا حظى بمكانة مرموقة بين أصدقائه، حيث كان السير سيد ونواب محسن الملك ومولوى سميع الله خان يبجلونه ويقدرونه حق قدره، وبناء على هذا كان شبلى يكره الوظيفة ويرغب فى التحرر من قيودها لأن التقيد بها لا يتيح له فرصة الحياة العلمية والقومية الخالصة وعندما قبل الوظيفة فى حيدر آباد فى وقت من الأوقات كان مضطراً لتسديد ديون والده وترك الوظيفة بمجرد أن انتهى من سداد الديون(٢).

وفى أيام شبلى كان الشعراء يمدحون أمراء الممالك والإمارات الآسيوية وينالون منهم العطاء الوافر وهى عادة قديمة توارثتها هذه الإمارات المحلية، وكان شبلى فى ذلك الوقت شاعراً كبيراً فى الفارسيةإلا أنه رفض هذا الأسلوب المبتذل من الشعراء على الرغم من أنها كانت وسيلة للنجاح والثراء، فلم يمدح إلا الأمراء الذين قدموا خدمات جليلة للمسلمين مثل أميرة بهوبال وأمير حيدر آباد والمهراجا سركشن برشاد وعندما كان شبلى يقوم بعمل قومى كان ينفق عليه من ماله الخاص فلما عاد من رحلته إلى مصر والشام وتركيا أرادت إمارة بهوبال أن تدفع له نفقات هذه الرحلة العلمية إلا أنه رفض ذلك كما رفض اقتراح نواب على حسن خان بدفع مصاريف مؤتمر المستشرقين فى إيطاليا الذى كان يزمع المشاركة فيه وهذا الاستغناء منعه من الإقامة فى قصور أصدقائه فى لكناو وبومباى وغيرها فكان يقيم فى الفنادق(٣).

وتربى شبلى على الأمانة والصدق لهذا رفض العمل بالمحاماة واعتبر هذه المهنة لا تتناسب مع ميوله الفطرية فى الصدق والأمانة فكان يكره المبالغة والكذب ويحترز من

---

(١) مهدى افادى: أفادات مهدى: ١٧-١٨.

(٢) محمد واصل عثمانى: شبلى اديبون كى نظر مين: ١١٢.

(٣) مهدى افادى: المرجع السابق: ٢٥.

الشفاعة والتوصية وتجنب النزاعات والمناقشات بلا طائل ويرفض الرد على تعليقات النقاد على كتبه، فقد حدث ذات مرة أن قام أحد طلاب الفلسفة بكتابة نقد جارح على كتابيه علم الكلام والكلام ونشره فى مجلة «الناظر» بلكناو وتألم شبلى لذلك لكنه رفض الرد عليه كما رفض الرد على ما كتب من نقد على كتبه فى مجلة «دكن ريويو». وكان شبلى يتحلى بالهدوء والصفاء النفسى فى كل معاملاته إلى جانب تواضع العلماء الجم وكانت له صداقة قوية مع أحد المجلدين فى أعظم گرﮪ فيقضى معه الساعات فى الحوار الأدبى والعلمى وذلك فى كل مرة يزور فيها أعظم گرﮪ.

لقد كان شبلى جريئًا فى إبداء الرأى شديداً فى الرد على المعارضين، ففى أثناء إقامته فى على گرﮪ كان جميع أعضاء الكلية والناس جميعًا يقعون تحت تأثير السير سيد ويؤيدون خططه بلا نقاش، فعندما عارض السير سيد حزب المؤتمر أيده الجميع فى ذلك إلا شبلى الذى عارضه بشدة وأيد المؤتمر ونظم فى هذا القصائد وكتب المقالات وقد ظن الناس أن شبلى يعارض السير سيد طلبًا للشهرة والجاه إلا أنه ظل ثابتًا على رأيه حتى آخر لحظة، بعد ذلك انتقد شبلى المقررات الدراسية للتعليم العربى القديم وأراد أن تدخل اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة ضمن المقررات الدراسية وعارضه الشيوخ وبصفة خاصة أنصار مدرسة ديوبند إلا أنه ظل على رأيه حتى تحقق ما أراده ودخل التعليم الحديث فى ندوة العلماء وقام العديد من المدارس بتدريس اللغة الإنجليزية وتخرج كثير من رجال الدين الذين يتقنون اللغة الإنجليزية وذلك بفضل شبلى وتمسكه برأيه(١).

وظل شبلى طوال حياته بسيطًا فى أمور معيشته ويحث الطلاب على البساطة فى التفكير واختيار حياة العلماء ويضرب لهم المثل بنفسه وعندما أسس دار المصنفين كان يشترط على الطلاب الذين يختارهم للتعليم فيها أن يلتزموا بحياة العلماء فى الفرائض والمظهر الخارجى.

وكان شبلى يميل إلى العزلة ساعات طويلة للتفكير، ورحيمًا عطوفًا بأسرته وتلاميذه وعندما توفيت أمه تأثر تأثرًا شديداً وكان يضطرب بمجرد أن يرد ذكرها كما حزن بفاجعة موت أخيه مولوى مهدى وكان حزنه على أخيه مولوى إسحق قد أودى بحياته حيث مات شبلى نتيجة لحزنه الشديد على وفاة أخيه إسحق.

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨١٦-٨١٧.

لقد كان الوعظ والتأليف والتدريس من بين أعمال العلماء وواجباتهم تجاه المسلمين، ومع أن شبلي لم يؤسس حلقة دراسية خاصة ومستقلة كدأب العلماء المشاهير الآخرين إلا أن كثيراً من الناس المحظوظين قد استفادوا من شبلي سواء من قراءة مؤلفاته أو من التدريس المباشر. وعندما جاء إلى ندوة العلماء سنحت الفرصة لكثير من الطلاب للاستفادة منه مع أنه لم يدرس في الندوة بشكل منتظم، فكان يدرس دروساً من القرآن أحياناً ليبين مناطق الإعجاز فيه، وأحياناً كان مولانا حفيظ الله يدرس ثم يعقب عليه شبلي، وفي أوقات أخرى كان شبلي يدرس دروس صحيح البخاري أو اللغة العربية والفارسية واستفاد منه كثير من الطلاب مثل سيد سليمان الندوي وچودري خوشي محمد ناظر وسيد سجاد حيدر يلدرم ومولوي ظفر علي خان ومولانا محمد علي[1].

وكان مزاج شبلي حاداً جداً في كثير من الأحيان ويبدو ذلك جليا من خلال مواقف كثيرة في حياته، فقد كان في بداية حياته من غلاة الحنفية وكتب رسالتي «إسكات المعتدي على إنصات المقتدي» و«ظل الغمام في مسألة القراءة خلف الإمام» تأييداً للأحناف. ومن الناحية الدينية العامة فقد كان من أشد المدافعين عن الإسلام والعرب والقرآن، ومن الناحية القومية كان يناصر الأتراك لأنهم كانوا في ذلك الوقت يمثلون دولة الإسلام وعزة المسلمين وفي أثناء سفره إلى القسطنطينية كان يدرس اللغة العربية لتوماس آرنولد على ظهر السفينة فرآه أحد المسيحيين الأسبان فتحرق غيظاً وقال له: «هذه لغة البعير» فغضب شبلي واحتد عليه وذكر هذه الواقعة في كتابه «سفر نامه». وعندما وصلت السفينة عدن ورأى «السماليون» يركبون القوارب الصغيرة ويلتفون حول السفينة ويقومون بالغناء والرقص والحركات المبتذلة ليستدروا عطف الركاب فيقذفون لهم الأموال والأطعمة، حزن شبلي لحال هؤلاء القوم الذين يقومون بهذه الحركات المهينة من أجل لقمة العيش وظنهم في بادئ الأمر من العرب وقال: «ألهذا الحد يصل سوء الحال بالعرب الذين حملوا مشعل الإسلام والنور والحرية للعالم أجمع، وسرعان ما زال هذا الغضب عندما علم أن هؤلاء الناس ليسوا من العرب»[2].

ومن مظاهر غيرته الشديدة على الإسلام أنه عندما كتب جورجي زيدان كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي» غضب شبلي غضبة مضريه لأنه حقّر العرب وكتب كتابه

---

(١) محمد واصل عثماني: شبلي اديبون كي نظر مين: ٧٨-٧٩.

(٢) شبلي: سفر نامه: ١٣-١٤.

«الإنتقاد على التمدن الإسلامى» فند فيه جميع أغلاط جورجى زيدان وقال فى مقدمته يعتذر للمؤلف: «إنى أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فإنك قد نوهت باسمى فى تاليفك هذا وجعلتنى موضع الثقة منك واستشهدت بأقوالى ونصوصى ووصفتنى بكونى من أشهر علماء الهند مع أنى أقلهم بضاعة.. هل كنت أرضى بأن تمدحنى وتهجو العرب فتجعلهم غرضًا لسهامك ودرية لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو إليهم كل دنية وشر»(١).

وبناء على عصبيته لدينه كان شبلى يؤيد الأتراك فى كل ما يقومون به من حملات فكان يفرح لنجاحهم ويتألم لفشلهم، وعندما قامت الحرب بين الأتراك والروس أقام شبلى جمعية لمساعدتهم وجمع التبرعات لهم وأرسل للقسطنطينية ثلاثين ألف روبية.

وشبلى طيب المعشر ولهذا فإن دائرة معارفه وعلاقاته متشعبة ومن الصعب حصر معارفه وأصدقائه لكننا يمكن أن نحصى أصدقاءه الذين ظل مرتبطًا بهم حتى آخر حياته وهم:-

١- نواب محسن الملك وقد تعرف عليه فى على گرﻫ وتوطدت عرى الصداقة بينهما وكان له دور كبير فى إزالة الخلافات بين الحكومة الإنجليزية وشبلى وساعده فى الحصول على راتب شهرى من حيدر آباد.

٢- مولانا حالى وقد بدأت العلاقات بينهما فى على گرﻫ وقويت صداقتهما عن طريق مجالس الشعر والعلم وحالى شاعر كبير متواضع ومع أنه كان أكبر سنا من شبلى إلا أنه كان يقدره ويتشاور معه فى الأعمال الأدبية التى يقوم بها وعندما انتهى من «حيات جاويد» أرسل له نسخة هدية وقد شجع حالى شبلى على المضى قدمًا فى «ندوة العلماء» ومجلة «الندوة» وعندما أصيبت قدم شبلى اضطراب حالى ونظم عدة أبيات وضح فيها شعوره الطيب نحوه.

وهناك أصدقاء كثيرون لا يتسع المجال لذكرهم بالتفصيل مثل سيد على بلجرامى ونواب سيد على حسن ونواب عماد الملك سيد حسين بلجرامى ومولانا حبيب الرحمن خان شروانى وحاذق الملك حكيم أجمل خان. ومن رجال الدين مولانا شاه سليمان بهلوارى، مولانا غلام محمد فاضل هوشيارى، ومولانا سيد محمد على المدير السابق لندوة العلماء ومولانا فضل حق رامپورى، ومولانا سيد ظهور الإسلام فتح پورى ومولانا

---

(١) شبلى: الإنتقاد على التمدن الإسلامى: ٢ (طبعة الهند).

إبراهيم آروى ومولانا ثناء الله امرتسرى وغيرهم.

وفى أثناء إقامة شبلى بعلى گرﮫ تعرف على كثير من الأمراء والولاة الذين كانوا يأتون إلى الكلية وتعقد الجلسات للترحيب بهم مثل: - خليفة محمد حسين وزير بتياله وسر آسمان جاه رئيس وزراء حيدر آباد والجنرال عظيم الدين خان رامبورى وغيرهم وكان هؤلاء الأمراء يبجلون شبلى وقد تعرف على مير محبوب على خان حاكم حيدر آباد عندما ذهب مع السير سيد لزيارته عام ١٨٩١م وزار حيدر آباد مرة أخرى فى ١٨٩٦م وأجرى مير محبوب له راتبًا شهريًا قدره مائة روبية، والتقى شبلى بأميرة بهوبال عدة مرات عام ١٩٠٦م عندما كان يجمع المساعدات لندوة العلماء وفى عام ١٩١٢م عندما أراد أن يؤسس جمعية تاليف السيرة النبوية(١).

ولم يحصل شبلى على هذه المكانة السامية من فراغ بل كان أهلاً لها وطبقت شهرته الآفاق فى الهند الرحبة وفى خارجها وزار تركيا ومصر والشام والتقى بكبار العلماء بها ومنحه السلطان عبد الحميد «الوسام المجيدى» لجهوده العلمية والدينية فى الهند وخارجها، ومنحته الحكومة الإنجليزية لقب «شمس العلماء» وهو أعلى وسام تمنحه لغير الانجليز وشارك فى جلسة تتويج العرش وكان عضواً بارزاً فى مختلف اللجان التعليمية والمؤسسات العلمية فى عموم الهند.

وكان شبلى يحبذ الجانب العقلى فى مسائل الدين لهذا فهم الناس أنه لا يعترف بالمعجزات لأنها مبنية على أشياء خارقة للعادة وخلافًا للعقل إلا أن سوء الظن هذا كان خاطئًا بالطبع لأنه اعترف بالمعجزات وانتقد تأويلات السير سيد العقيمة يقول فى كتابه الكلام: «إن خرق العادة عنصر هام وضرورى فى جميع الأديان ولا يمكن إنكارها وهى موجودة فى الإسلام»(٢).

فشبلى لا يعتقد بالمعجزات من حيث كونها معجزة إلا بوجود دليل عقلى ثابت على وجودها؛ ولأن القرآن صادق وقطعى لذا يجب التسليم بالمعجزات.. وكانت هذه أفكار شبلى عند كتابة «الكلام» أى عام ١٩٠٢-١٩٠٤م لكنه رجع عن فكرته الأولى فى أثناء تاليف «سيرة النبى» وذكر أحاديث صحيحة للرسول عن المعجزات واعترف بذلك فى نهاية مقدمة الجزء الأول من السيرة(٣).

---

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٩٥-٧٩٧، ٨١٣-٨١٤.

(٢) شبلى: الكلام: ١٣٠-١٣٣.

(٣) شبلى: سيرة النبى: ١/ المقدمة.

كما اعترف شبلى بوجود «الشياطين والملائكة إلا أنه رفض أن يغير الشياطين صورتهم ويتشبهون بالإنسان ويأتون إليه»(١).

وفيما يتعلق بالحشر والنشر والجنة والنار وأحداث ما بعد الموت كان شبلى يعتبرها أحداثًا روحية فقط لا تحدث فى الواقع المادى وذلك من تأثير قراءاته فى كتب الكلام القديمة لكنه غير فكرته فى آخر حياته عندما قرأ الأحاديث النبوية بعمق فى أثناء تأليف «سيرة النبى» وكان لمؤلفات ابن تيمية دخل كبير فيما طرأ على أفكاره من تغيير.

وظل شبلى حتى آخر حياته يكره البدع وخاصة فى شعبان والمحرم ويرفض زيارة القبور، وعندما أفتى بعض العلماء بكفره استنادًا على بعض الفقرات فى كتابه «الكلام» والتى يبدو منها أنه يقول بقدم المادة وأنها غير مخلوقة ويعتبر النبوة أمرًا مكتسبًا قام شبلى بالرد على هذه التهم واعترف بأنه من أهل السنة والجماعة ويؤمن بما جاء فى القرآن الكريم والسنة من أفعال وأقوال.

* شخصية شبلى وتأثره بالسير سيد أحمد خان:

سبق أن تناولنا حدود العلاقة بين السير سيد وشبلى من جميع الزوايا وخرجنا من هذا البحث بنتيجة مؤداها أن هناك خلافات جوهرية وبونا شاسعًا بين شبلى والسير سيد، وأن هناك تباينا فى وجهتى نظريهما بالنسبة للناحية السياسية والدينية والتعليمية. وفى السطور التالية سنوضح مدى تأثير السير سيد فى شخصية شبلى ونتعرض بالنقد لهذه الأقاويل، وسوف أكون على الحياد فى عرض هذه الروايات وسأرجىء رأيى إلى نهاية هذا الموضوع.

التقى شبلى بالسير سيد فى عام ١٨٨٣م عندما قبل العمل مدرسًا للعلوم العربية بكلية على گڑھ وقد وصف عبد الحليم شرر نتائج هذا اللقاء بأسلوب بليغ فقال: «بدأ شبلى الآن يهتم بالتحقيق والنقد التاريخى بتوجيه السير سيد فكانت رسالة «مسلمانون كى گذشته تعليم» أولى النماذج فى هذا الصدد، وقد قدمها شبلى فى المؤتمر التعليمى الإسلامى وبدت هذه الرسالة فى نظر المسلمين جديدة وطريفة تمامًا فاستقبلوها بشغف، ثم كان كتاب «المأمون» الثانى فى هذه النوعية فلاقى انتشارًا وشهرة كبيرة وأظهر هذا الكتاب بداية نبوغ شبلى وشهرته ودل على موهبته وكيف سيكون فى المستقبل وقد تشجع شبلى بسبب صحبته للسير سيد وبدأ يتقدم للأمام فى هذا المجال فكتب «سيرة

---

(١) شبلى: مقالات شبلى: ٥/٧٣.

النعمان» و«الفاروق». لقد كان السير سيد فى الأصل غير مقلد ومن جماعة أهل الحديث لكنه بتأثير موضوعات علم الكلام واللغة الإنجليزية تحول إلى معتزلى متعصب ولم يكن هناك أى أثر على شبلى من صحبته للسير سيد وهذا شيء عجيب!! فقد ظل شبلى على تمسكه بالمذهب الحنفى النعمانى وأثبتت فى النهاية أن الحنفية هى أصل مذهب المعتزلة وخلافًا للمتأخرين من الحنفية، فقد عادى الأشاعرة عداء شديداً وأكد على الاعتزال فى ثنايا الفقه بطريقة مستترة ولهذا استحسن طلبة التعليم الإنجليزى هذه الآراء وسلموا بها، بينما ناصبه علماء الحنفية العداء الشديد. وبرغم صحبته للسير سيد ومؤهلاته الشخصية التى قدمته فى البداية لمجتمع الناس لكونه واحداً من أهم رفاق السير سيد إلا أن هذا كله لم يحد من أنفة شبلى وكبريائه سواء فى كتاباته أو فى أشعاره، وعندما رأى أن وجوده فى على گرﮫ أمر غير محتمل آثر الانفصال عن الكلية وشارك فى «ندوة العلماء» وأراد بذلك أن يصل إلى درجة شيخ العلماء وهى منزلة تفوق منزلة السير سيد ولهذا صار كل منهما زعيماً فى مجاله»(١).

ويوافق الباحث هنا شرر فى رأيه بأن شبلى وجد «شهرته» فى صحبة السير سيد كما كان لـ«تشجيع» السير سيد لشبلى أثر نفسى لا يمكن إنكاره، إلا أنه يرفض أن يكون السير سيد قد أثّر فى شخصية شبلى أو فى اتجاهاته لأنهما شخصيتان متناقصتان ولهذا عندما حدث خلاف بينهما لم يتردد شبلى من ترك على گرﮫ والانتساب لندوة العلماء.

كان شبلى مقلداً ومتخصصا فى العلوم الإسلامية فى حين نجد السير سيد من أشد المنادين والمؤيدين للأفكار الغربية الحديثة التى يرى شبلى أنه يجب الاستفادة من علوم الغرب بالقدر الذى استفاد منه علماء المسلمين من العلوم اليونانية فى العصر العباسى، فشبلى يريد أن يعيد النور القديم لا أن يظل جالسًا أمام النور الجديد وقد تأثر فى بداية الأمر برجال الدين فى عصره مثل: السيد أحمد الشهيد وآراء شاه ولى الله الدهلوى وشاه عبد العزيز، بينما السير سيد كان منطقيًا ويميل فى أسلوب حياته إلى التفرنج فى التفكير وفى الحياة اليومية ولهذا لم يؤثر السير سيد فى شبلى الذى كان يتمتع بشخصية قوية وكان عالمًا مزهواً بعلمه ويميل إلى الجانب الدينى فى حين كان السير سيد علمانى النزعة.

ولو نظرنا إلى ما تأثر به شبلى من السير سيد نجدها مجرد أشياء هامشية لا تسمن ولا

---

(١) شرر: مضامين شرر: ١/٢٥٦-٢٦٣ (گيلانى بكـ دﭘو - لاهور).

تغنى من جوع وهذا أمر طبيعى بحكم وجود السير سيد على رأس حركة على گرڑھ وماله من نفوذ سياسى واجتماعى وتعليمى إلى جانب امتلاكه مكتبة ضخمة استفاد منها شبلى ومطبعة لطبع الكتب فى وقت عزفيه وجود المطابع.

لذا لن نكون متحاملين على كثير من النقاد الذين يرفعون من قدر السير سيد بجعله مصدراً للتأثير فيمن حوله من الأدباء حتى ولو لم يلتق بهم السير سيد قط، لكننا إذا نظرنا إلى طبيعة العصر وحاجة الأدباء فى تلك الفترة الزمنية ليس فى الهند فحسب بل فى العالم كله إلى التجديد فى الدين والسياسة والأدب وجميع مناحى الحياة لوجدنا أن شبلى تأثر بحركة عصره فى الهند وخارجها فى مصر والشام وتركيا خاصة عندما زار هذه البلاد واطلع على الحركة العلمية والسياسية فيها.

لقد كانت شخصية شبلى من أهم دعائم شهرته فى الهند وخارجها يقول توماس آرنولد فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» The prcaching of Islam: «أحب أن اعترف بتشكراتى إلى صديقى وزميلى العالم شمس العلماء مولوى محمد شبلى النعمانى الذى أعاننى بسخاء جم من فيض علمه بتاريخ صدر الإسلام»(١).

ونختتم هذا الموضوع برأى لشبلى ذكره أحمد أمين فى كتابه: «زعماء الإصلاح فى العصر الحديث» يقول: «قال الأستاذ النعمانى – عالم الهند العظيم – «طالما كان النزاع بينى وبين السيد أحمد خان شديداً فى آرائه الدينية، وطالما فندت آراءه ومع هذا لا أنكر فضل أسلوبه العالى الذى استخدمه فى شرحه أفكاره فكان أسلوباً رائعًا منقطع النظير مملوءاً بالفكاهة الحلوة والتنادر الظريف»(٢).

---

(١) توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ص: ٨ (مكتبة النهضة المصرية – ١٩٤٧).

(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٤٨م ص: ١٣٦.

ثقـــافتـــه

من الأهمية بمكان أن نعرف منابع ثقافة الأديب والروافد التى غذتها والأساتذة الذين تلقى عنهم واقتدى بهم وسار على نهجهم وكونوا ثقافته الأولى حتى يمكن لنا أن نتمثل أثر هذه الثقافة ونتلمسها فى تراثه الأدبى والفكرى. ويمكن لنا بعد قراءة حياة شبلى والإشارة إلى أساتذته أن نقسم روافد ثقافته إلى تيارين:

التيار الأول: تيار إسلامى.

التيار الثانى: تيار غربى.

الثقافة الإسلامية:

نشأ شبلى نشأة دينية فكان من الطبيعى أن تكون ثقافته الأولى ثقافة عربية إسلامية، لذا تلقى تعليمه طبقًا لنظام التعليم القديم، فتعلم اللغة العربية والفارسية إلى جانب لغته الأردية، وقرأ القرآن والحديث ودرس كتب الفقه والمعاملات على يد مولانا سخاوت على جونبورى ومولانا محمد فاروق وعباس چرياكوتى وهدايت الله جونبورى وارشاد حسين رامبورى. كما تلقى علومه الأولى فى رامبور ولاهور وكان على المذهب الحنفى كمعظم أهل الهند.

ونستطيع أن نقدر مدى إتقان شبلى للغة العربية من قراءة رسائله الدينية الأولى «ظل الغمام فى مسألة القراءة خلف الإمام» و«إسكات المعتدى على إنصات المقتدى» و«بدء الإسلام» حيث كتبها بلغة عربية سهلة تعكس ما وصل إليه من إتقان للغة ودقائق الفقه الإسلامى، كما كتب كتابيه «الجزية» و«الإنتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان» باللغة العربية ولم تقتصر معرفة شبلى للغة العربية على التأليف فحسب، بل كان يستعملها فى حياته اليومية فقد عثر له على رسالة باللغة العربية بخط يده وذلك ضمن أوراق مخطوط كان عند شبلى باسم «ديوان الصبابة» لابن أبى حجلة التلمسانى الحنفى المتوفى سنة ٧٧٦ هـ وقد جمع فيه مجموعة من أشعار الغزل العربية الرائعة وهذا نص الرسالة: «هذا ديوان الصبابة يصل إليكم، أما أنا فلا يمكننى الحضور لديكم لا لأنى اشتغلت بأمور غير طائلة وقعدت همتى وصرفت العناية إلى الدنيا الدنية وبرئت من

تحصيل كمال العلم والأدب ذمتى فإنى بحمد الله خلقت وكسب الفضل سيط فى دمى، فهو لا يفارقنى إن شاء الله فى حالتى وجودى وعدمى بل لأنى لملازمتى لهذه العهدة الرذيلة أداوم أتفكر فى حالتى فيزيد همى وتزداد ملالتى وبيدكم الانصاف وما هذا إلا الجور والاعتساف فصبر جميل وهو حسبى ونعم الوكيل (ش. نعمانى).

وقد أجاد شبلى التعبير باللغة العربية نثراً وشعراً ولعل القصيدة العربية التى نظمها فى مدح السير سيد عندما التقى به على كَرط هـ خير دليل على ذلك يقول مطلعها:-

-المجد يصحب علما حيثما يصل والعلم عن قومنا لازال يرتحل

وقد زادت علاقة شبلى باللغة العربية عندما عمل فى كلية على كَرطهـ مدرسا للغة العربية فى فبراير ١٨٨٣م فكانت فرصة لإتقان اللغة العربية والعلوم العربية، وكان شبلى قد تذوق الشعر العربى عندما التقى بفيض الحسن بلا هور فى سنوات تلقيه للعلم. وفى أثناء إقامة شبلى فى كلية على كَرط هـ كانت المطبوعات والصحف العربية مثل: المقطتف وثمرات الفنون والمنار والهلال والمؤيد تأتى له بانتظام من مصر وسوريا وكان يراسلها ويكتب لها المقالات. وعندما زار مصر وسوريا كان يتكلم بها ويمارس بها حياته اليومية ويتحاور مع رموز الفكر والدين فى مصر بها، كما أنه قام بترتيب فهرس للكلمات العربية الحديثة وطبعه فى نهاية كتابه «سفر نامه».

وإلى جانب اللغة العربية فقد كان شبلى يعرف اللغة الفارسية جيدا ونظم الشعر بها بل إن شعره الفارسى يفوق شعره باللغة العربية بمراحل كثيرة فقد ترك لنا «ديوان شبلي» الذى يحتوى على قصائده الفارسية بينما لاتعدو قصائده العربية عن مجموعة متفرقة من القصائد والأبيات المتفرقة.

*** الثقافة الغربية:**

كان شبلى مهتما بالثقافة الغربية والعلوم الحضارية الحديثة وهذا الاهتمام وان كان ثانويا إلا أنه كان يشغل حيزا من تفكير شبلى وجُزءا من ثقافته العامة.

بدأ اتصال شبلى بالثقافة الإنجليزية لأول مرة عندما جاء إلي على كَرطهـ والتقى بالسير سيد وعين أستاذا للدراسات الشرقية، وتعلم اللغة الإنجليزية بحكم صلته بالسير سيد ورفاقه من ناحية، وبحكم إقامته فى الكلية واتصاله الدائم بالأساتذة الإنجليز فى الكلية التى قامت فى الأساس لترويج التعليم الغربى والثقافة الإنجليزية، كما أن اطلاع شبلى على مكتبة السير سيد الضخمة ومابها من كتب إنجليزية كان له أثر فى التعرف على ملامح هذه الثقافة.

وفى كلية على كَرْهَ التقى شبلى بتوماس آرنولد صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» وكان بمثابة نافذة على الثقافة الغربية فتعلم منه مبادئ اللغة الفرنسية كما ذكر ذلك فى «سفر نامه» ونتيجة لذلك رجع شبلى إلى كتاب أحد الفرنسيين فى الخراج.

وهذه المعرفة الأولية للغة الإنجليزية مكنت شبلى من الرجوع إلى الكتب الإنجليزية فى مؤلفاته مثل «الفاروق» الذى رجع فيه إلى منهج المؤرخ الغربى Ranke[١] فى خلق الأسباب والعلل، كما أشار إلى آراء مرجليوث[٢] وميور[٣] عن السيرة النبوية فى «سيرت النبى» وفى كتابه سيرة النعمان دافع عن الفقه الإسلامى ورد على مغالطات شيلدون آموز Sheldon Amos التى أوردها فى كتابه «القانون المدنى الرومانى» The Civil Low of Rome

ورغم هذه المعرفة الأولية فقد اعترف شبلى صراحة بعدم إجادته للغة الانجليزية وذلك فى تعليقة على الترجمة الأردية لكتاب Draper الأستاذ بجامعة نيويورك «الجدال بين العلم والدين» ترجمة مظفر على خان فقال: «إننى لن أتعرض لصحة الترجمة لأننى لا أعرف اللغة الإنجليزية ولهذا لن استطيع الفصل فى صحة الترجمة أو خطئها[٤]

---

(١) رينكى Ranke, Leopold Von (١٧٩٥- ١٨٨٦) ولد فى مدينة «ويهى» فى شرق المانيا من أسرة ثرية يعمل معظم افرادها فى المحاماة وتخرج فى جامعة ليبنزج ودرس الكلاسيكيات وعلم اللغويات وترجمة النصوص وقام بتطوير هذا المنهج باستخدام تقنى لغوى وتاريخى ينقد من خلاله السياق، ويعتبر رينكى رائدا للتاريخيين الالمان فى القرن التاسع عشر، وكان يسمى بابى التاريخ الجغرافى الحديث وتميز بالبحث المنهجى المتعمق الموضوعى.

(Encyclopaedia Britannica. Vol:15. U.S.A.1976.p 506-508)

(٢) مرجليوث Margoliouth(١٨٥٨- ١٩٤٠).

ولد وتوفى فى لندن، وقد تخرج باللغات الشرقية فى جامعة اكسفورد، وأتقن العربية وكتب فيها بسلاسة وأقام أستاذا لها فى جامعة أكسفورد منذ ١٨٨٩ ورأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ونشر فيها بحوثا ممتعة. وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق وأهم آثاره: مختارات شعرية لأرسطو مترجمة بالعربية و«متى بن يونس» و«السريانية واللاتينية» و«محمد ونهضة الإسلام (نيويورك ١٩٠٥).

(نجيب العقيقى: المستشرقون: ٢/٥١٨).

(٣) ميور Muir, Sir William(١٨١٩- ١٩٠٥).

إسكتلندا، تعلم الحقوق فى جامعتى جلاسجو وادنبرا، وعُلم فى ادنبرا حيث امتاز بمحاضراته امتيازه بخدماته التى أداها للهند يوم أرسال إلى البنغال(١٨٣٧) وعين أمينا لحكومة الهند(١٨٦٥- ١٨٦٨م ثم اختبر رئيسا لجامعة ادنبرا (١٨٨٥- ١٩٠٢)، وأهم آثاره: سيرة النبى والتاريخ الإسلامى.

(نجيب العقيقى: المستشرقون: ٢/٤٩٢).

(٤) شبلى: مقالات شبلى: ٤/١٧٧.

ودافع شبلى عن التعليم الإنجليزى وسعى إلى إدخاله فى ندوة العلماء.

ومن جانب آخر اهتم شبلى بلغات الهند وخاصة اللغة السنسكرتيية وفتح لها فصلا دراسيا فى ندوة العلماء وحث الطلاب على تعلمها للمقارنة بينها وبين اللغات الآرية الأخرى. وقد أبدى شبلى اهتماما خاصا بثقافة الهند ولغاتها وحضارتها وتاريخها فكتب كثيرا من المقالات فى هذه الموضوعات وخاصة ديانات الهند وفلسفاتها وكان شبلى ملما بها إلماما كافيا وأثناء توليه منصب سكرتير جمعية تطوير الأردية «انجمن ترقى اردو» شجع ترجمة الكتب الهندية إلى اللغة الأردية وكانت أول جائزة يمنحها من نصيب نراين برشاد درما «بيغمبران هند» أى رسل الهند وفيه تذكرة سرى كرشن وبوذا ويحتوى على أصول الديانة الهندوسية.

وكان شبلى ذا ثقافة قانونية اجتماعية واسعة نتيجة دراسة كتب القانون واجتيازه لامتحان المحاماة.

لقد كان شبلى واسع الثقافة غزير المعرفة، كلفا منذ صباه بالقراءة والمطالعة واقتناء الكتب الثمينة ويقضى الساعات بين الكتب ويتجشم مشاق السفر الطويل من أجل كتاب، بل إن رحلته إلى تركيا والشام ومصر كانت من أجل الكتاب وجمع المادة العلمية لكتابه «الفاروق» وكان مغرما بالمخطوطات بشكل خاص وينفق من مالة الكثير لاقتنائها فقد دفع فى نسخة «مؤنس الأرواح» المذهبة مائة روبية ودفع فى نسخة من القرآن مائتى روبية ولما لم يتوفر لديه المال لشراء الكتب كان ينسخها مثلما نسخ «الخصائص» لابن جنى و«أخبار الحكماء» للشهرزورى و«كشف الأدلة» و«الرباعيات» للسنحابى و «رد المنطق» لابن تيمية.

إن ما خلفه لنا شبلى من تراث وشارك فيه من أعمال يكشف عن عقلية مرتبة فذة وإذا تمثلنا ثقافته نجد أنها تنم عن عقلية جادة منسقة تعى ما تقرأه وتمحصه بسرعة.

*** شبلى بين معاصريه :-**

يعد شبلى من الشخصيات التى تركت بصمات واضحة على الأدب واللغة الأردية، وهى شخصية موسوعية جامعة تتوفر فيها جميع عناصر التفوق والنجاح. وكان بين شبلى ومعاصرية من الأدباء والشعراء علاقة ود وصداقة يحترم كل منهما الآخر ويعترف بفضله ويمدحه على الملأ، وقد نال شبلى شرف معاصرة نواب محسن الملك ومولانا حالى

ومولانا نذير أحمد ومولانا محمد حسين آزاد وخواجة عزيز الدين وسوف نتناول آراء هؤلاء الأدباء فى شبلى النعمانى:

*** نواب محسن الملك:**(١)

اعترف نواب محسن الملك بوضوح بموهبة شبلى وفضله، وقد صرح بذلك في الكلمة التي ألقاها فى الجلسة التى رأسها فى كلية على كَرْ هـ لتهنئة شبلى بلقب «شمس العلماء» يقول: «إن شبلى أول مؤلف فى عصرنا نجد فى مؤلفاته سلاسة العبارة وفصاحة البيان ويتسم أدبة بجميع المزايا والمحسنات كالاعتدال والإنصاف وعدم التعصب، كما أن أفكاره الشعرية خالية من المبالغة والاستعارات والتصنع وتزيين العبارات واستخدام الأسلوب الفلسفى ببراعة فى كتابة السيّر».

*** ألطاف حسين حالى:**(٢)

كانت هناك صداقة حميمة بين شبلى وحالى وعلى الرغم من أن حالى يكبر شبلى بعشرين عاما إلا أنه اعترف بموهبته فى الشعر وكان حالى يمدحه فى المجالس المختلفة وكان شبلى يقول: «أنا بحر وحالى بئر» أى أن علمى غزير وفيه متسع، وبالرغم من أن المعلومات لدى حالى قليلة إلا أنها عميقة ومتاصلة، فأنا لا أستطيع أن أخطو خطوة واحدة فى التأليف مالم يكن لدى مادة كافية للكتابة بينما حالى كان نافذ البصيرة والفكر يستخرج المعانى والموضوعات بسلاسة ويسر وهذا دليل على كمال الاجتهاد».

---

(١) نواب محسن الملك (١٨٣٧- ١٩٠٧) ولد محسن الملك نواب سيد مهدى عليخان بهادر عام ١٨٣٧م فى أتاوة وبعد أن أتم تعليمه الأولى عُين كاتبا فى شركة الهند الشرقية وترقى تدريجيا حتى وصل عام ١٨٥٧م إلى مدير إدارة وفى عام ١٨٦١ عين محصلا حكوميا وفى تلك الأثناء ألف كتابين باللغة الأردية هما: «قانون مال» و«قانون فوجد ارى» وشارك فى حركة على كَرْ هـ (رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٤٣- ٤٤٤. وموج كوثر: ١١١- ١٢٢).

(٢) الطاف حسين حالى (١٨٣٧- ١٩١٤) شاعر وناقد وناثر وكاتب سيرة أردى مشهور ولد فى پانى پت (١٨٣٧) وبعد أن أكمل تعليمه بها تفتقت قريحته بالشعر وكان من أبرز شعراء التجديد فى الشعر الأردى وشارك فى حركة التجديد فى الشعر الأردى فى لاهور وله ديوان بالأردية «ديوان حالى». ونشر عام ١٨٩٣م كما نظم قصائد فارسية وعربية عديدة. ومن آثاره: كتاب «مقدمة شعر وشاعرى» وهو الكتاب الكلاسيكى الأول فى نقد الشعر الأردى و«مسدس حالى» و«حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات جاويد» والأخير سيرة حياة السير سيد أحمد خان حيث كان حالى من أتباعه المقربين له.
(قدم الباحث رسالة ماجستير عن حالى بعنوان «ألطاف حسين حالى ومنهجه فى نقد الشعر الأردى» مكتبة جامعة القاهرة -١٩٩٠م. كما ترجم كتابه «مقدمه شعر وشاعرى» للعربية.

وكان شبلى من أشد المعجبين بكتاب حالى «حيات سعدى» وعندما أراد كتابة سيرة سعدى فى الجزء الثانى من كتابه «شعر العجم» تأمل هذا الكتاب وقال: ماذا يمكن إضافته فى هذا الموضوع بعد حالى!!؟».

أما حالى فكان من المعجبين بشبلى كمؤلف وكشاعر وعندما نشر «سيرة النعمان» كتب حالى تعليقا عليها فقال: «إن شبلى يبين فى كل مؤلف له مقدرته الفذة على الكتابة والتاليف بطريقة عقلية استدلالية فيها تناسب واتساق وقد استخدم فى كتابته طريقة الرأى والقياس بطريقة سليمة كما طبق عليه الرواية والدراية على أكمل وجه» وكان حالى يُقبل على اقتناء مؤلفات شبلى بشغف ويضعها فى مكان بارز فى مكتبتة وكان شبلى يهديه مؤلفاته بنفسه فى بعض الأحيان وعندما أهداه شبلى مجموعته الشعرية «دسته كَل كتب حالى يقول: «يستطيع المرء أن يعتقد أن هذه أشعار ذلك الأديب الذى كتب مؤلفات مقدسة مثل:- الفاروق وسوانح مولانا روم، إن فى غزلياته جمال ورقة غزليات حافظ، ومن الممكن أن تكون غزليات حافظ جذابة لكن غزليات شبلى أكثر تاثيرا وحرقة من حيث الأفكار ولايمكن لشخص أن يستمتع بهذا الشعر إلا إذا ابتلى بمثل ما ابتلى به القائل، لقد كنت قد عزمت على أن أطبع ما نظمته من شعر وما كتبته من نثر بالفارسية لكن بعد الاطلاع على «دسته كَل» سقطت غزلياتى من نظرى» وعندما أهداه شبلى نسخة من كتابه «سوانح مولانا روم» كتب إليه حالى يقول:

«لقد قرأت السوانح وأستطيع أن أقول أن من عرف منزلتكم فى التاليف كل لسانه فأنت فخر القوم»(١) وعندم استرد شبلى صحته بعد سفره إلى كشمير ونظم القصيدة الكشميرية أرسلها إلى حالى ورد عليه برسالة طويلة بدأها بقطعة شعرية تبدأ بهذا البيت:-

-لله الحمد يس ازنا خوشى ورنج دراز شبلى ء ما بمراد ازسر سر بالين برخاست(٢)

وبالرغم من هذه العلاقة القوية والاحترام المتبادل فقد كان شبلى في بعض الأحيان ينتقد مؤلفات حالى دون أن يتعرض لذاته يقول فى سوانح مولانا روم: «أجمع معظم كتاب التذاكر على أن الشعراء الذين أسسوا الغزل هم سعدى وعراقى ومولانا روم ومن

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٠٢- ٨٠٧.

(٢) الحمد لله بعد المرض والألم الطويل، فقد نهض شبلى حبيبنا عن وسادته معافى.

هذه الحيثية فإن من واجبنا أن نقوم بالتعليق على ديوان مولانا روم ونعرض نماذج لهؤلاء الفحول الثلاثة ونبين خصائص كل واحد منهم ولما كان جلال الدين الرومى بطلنا لذا فإننا طبقا لذوق العصر نرجحه عليهما سواء شئنا أم أبينا إلا أن هذا فى الحقيقة يُعد خلافا لاصول سرد الوقائع »(١)

ويقول شبلى فى إحدى المواضع من كتابه « موازنه أنيس ودبير » : إن السيّر التى كتبت فى عصرنا لم تستخدم النقد والجرح كما ينبغى وعلى الرغم من مزاعم الحرية فإن قومنا ليس بالقوم الذين يعرض فيهم كلا الجانبين »(٢)

ويقول شبلى فى نقده للسيّر فى عصره: « لقد تعلم كُتاب السيّر فى لغتنا هذه الطريقة من أوربا وهذا ما نلمسه من أعظم السيّر التى لدينا » . ويبدو من هذه العبارة بوضوح أنه ينقد حالى وأن المقصود بأعظم السيّر هى سيرة السير سيد « حيات جاويد » وقد صرح شبلى فى إحدى خطاباته لمولانا شروانى أن « حيات جاويد » ليست سيرة حياة بل كانت للمناقب وهى غير كاملة والناس فيما يعشقون مذاهب » .(٣) وهذا الرأى ليس قدحا فى ذات حالى بل إن شبلى أبدى رأيه فى سيرة السير سيد غير الكاملة ولو أن مؤلفا آخر كتب « حيات جاويد » لما تأخر شبلى فى إبداء رأيه .

*** مولوى نذير أحمد الدهلوى :-**

مع أنه لم تكن هناك علاقات وروابط مباشرة بين شبلى ونذير احمد إلا أنهما كانا يعرفان بعضهما البعض عن طريق المؤتمرات والمنابر العامة وذات مرة فى إحدى الجلسات قال نذير أحمد مادحا شبلى « لو أحد سأل شبلى عن أى شيء دقيق فى قواعد النحو العربى لبهت لمعرفته إياه » . والتقى به شبلى فى الجلسة العامة للندوة فى دهلى وشارك نذير أحمد فى الجلسة التى يلقى فيها الطلاب خطبهم باللغة العربية، وعندما صدرت مجلة الندوة أرسل لشبلى خطاب تهنئة فيه هذان البيتان :-

-يقولون إن العلم والفضل والنهى ... حبيس على المتقدم المتبصر

-فلما تصفحنا صحائف ندوة ... وجدنا بأن الفضل للمتأخر

---

(١) شبلى : سوانح مولانا روم : ٧٢ .

(٢) شبلى : موازنه أنيس ودبير : ٢٣٥ .

(٣) مهدى افادى : افادات مهدى : ٣٣٢ .

وفى جلسة الندوة عام ١٨٩٠ ألقى شبلى قصيدة مدح فيها كلا من حالى ونذير أحمد فقال :-

-عليك أن تلقى بنظرة الحب على حالى المتحرر، وانظر إلى نذير أحمد ذلك الأديب البليغ.(١)

* محمد حسين آزاد :

لم تكن هناك علاقة مباشرة بين شبلى وآزاد وقد التقى به مرة واحدة فى لاهور عندما أصيب بالجنون وبالرغم من ذلك كان شبلى يعتبره أعظم كاتب نثر أردى ويقول : «آزاد رائد النثر الأردي الراقى وهو كاتب عملاق بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة وعندما كتب فى «الندوة» موضوعا عن جهانكير قال فى مقدمته : «لقد ذكر أكبر كاتب فى الهند جهانكير فى كتابه «شعر العجم» فقام بمدحه والثناء على هذا الكتاب. ورثاه شبلى بقوله «اليوم مات رب الكلم»(٢)

ويقول الشيخ محمد إكرام فى كتابه «موج كوثر» «كان حالى وآزاد ووقار الملك ومحسن الملك كواكب منيرة فى سماء الأدب لكن أين هم من شبلى؟؟ الذى كان زاهدا بين الزهاد وكاتبا بين الكتاب وشاعرا بين الشعراء ومعلما بين المعلمين ومؤرخا بين المؤرخين وسياسيا بين الساسة ومؤسسا لرسائل الغرام فى الأردية وخبيرا للتعليم الجديد ورائداً للتاليف العلمى وعلى الرغم من اعتلال صحته وقصر عمره إلا أن ما أنجزه من أعمال ومؤلفات يعتبر معجزة نادرة»(٣)

ويرى آل أحمد سرور : «أن شبلى كان أكثر الكتاب المعاصرين له تاثيرا على الجيل الجديد وترك تاثيرا كبيرا فى الحياة العلمية لمسلمى الهند وجعلهم يحسون بمشاكل العالم الإسلامى وبصَّرهم بحقوقهم السياسية».

ويعتبر مهدى أفادى شبلى من بين «عناصر الأدب الأردى الخمسة» وأصغرهم سنا- ولد فى ثورة ١٨٥٧م وتوفى فى ثورة أخرى عام ١٩١٤م وكان أول أديب يفلسف التاريخ وهو أديب يغبطه الكثيرون على لغته الراقية.(٤)

---

(١) نگه از مهر سوئى حالى آزاده فكن.. وآن نذير أحمد طوطى شكر خابنكر.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٠٩ -٨١١. (٣) محمد اكرام: موج كوثر: ٢٣٤.

(٤) مهدى افادى: افادات مهدى: ٢٢٤.

أسلـوب شبلى

يمكن لنا تقسيم مؤلفات شبلى من الناحية الأسلوبية إلى مرحلتين:-

الأولى: مؤلفاته قبل ذهابه إلى على كَرط هـ ولقائه بالسير سيد أحمد خان وتمتد من عام ١٨٧٨م حتى عام ١٨٨٢م وتحتوى هذه المرحلة على مؤلفات شبلى الأولية وهى عبارة عن عدة رسائل دينية. ويتضح من أسلوب هذه الرسائل مدى قوة بيان شبلى وأسلوبه فى الكتابة الأردية -والعربية- قبل أن يلتقى بالسير سيد فكان لديه قدرة على حل المسائل الفكرية والأسلوبية إلى حد ما ويتسم أسلوبه بالبساطة وعدم التعقيد.

الثانية: مرحلة كتاباته فى على كَرط هـ وهى من عام ١٨٨٣م وحتى عام ١٩١٣م وتبدأ من كتابه «مسلمانون كى كَذشته تعليم» حتى «سيرة النبى» وهى مرحلة النضج الفكرى، حيث بدأ شبلى يتجه إلى كتابة التاريخ والسيّر والموضوعات الفلسفية والسياسية والدينية والأدبية بأسلوب علمى فلسفى يعتمد على المنطق وتسلسل الأفكار وجدلية البحث.

وكانت السيّر والتراجم والفلسفة والكلام والشعر والأدب والدين والتاريخ والمقالات والرسائل مجالات خصبة لقلم شبلى المعجز فتميز أسلوبه بالانفرادية والتفوق فى كل موضوع يتناوله، وكانت قوة بيانه من الصفات البارزة فى أسلوبه ومن نتيجة هذا التفوق إحساسه بالعظمة والكمال. وشبلى على الرغم من كونه مؤرخ وكاتب سيرة إلا أنه لم يتخل مطلقا عن أسلوبه الشاعرى فى الكتابة وتميز بالسلاسة والبساطة وعدم التكلف والتصنع والميل إلى المنطق والمعقولات والإيجاز والإطناب وقوة البيان.

ويعتبر شبلى الكاتب الوحيد من بين كتاب عصره الذى يتميز أسلوبه بالرحابة واللامحدودية، فهو لايتقيد بنمط واحد بل تجتمع فيه جميع الأنماط الفنية، فهو لاينحت الألفاظ والكلمات مثل محمد حسين آزاد ولايفتقد أسلوبه إلى اللون الشخصى وجمال العاطفة كألطاف حسين حالى. وقد اهتم شبلى بحسن الصنعة إلا أن مايميزه عن كتاب النثر القدماء الذين اختاروا أسلوب آزاد هو أنه لم يبعد عن هدفه وكان هذا التوازن جزءا من انفراديته فكان على حد تعبير أحد النقاد- «أول يونانى يولد بين المسلمين» و«أسلوبه كان سببا لازدهار الأردية».

ولو لم يكن شبلى كاتبا لأصبح رساما فهو متدفق ومتنوع المزاج يميل فى كتاباته إلى

الجانب الروائى واتساع اطلاعه يعد جزءا من صفات شخصيته وبسببها نجد فى قلم شبلى قوة وتدفقا هادرا وكل هذه الخصائص مجتمعة منحته الإحساس بالعظمة والسمو.(١)

كذلك فإن الاختصار والإيجاز من سمات أسلوب شبلى الذى جمع بين جمال الأسلوب فى مدرسة دهلى وقوته فى مدرسة لكناو.

كما تميز أسلوب شبلى بالموسيقية الناتجة عن الشاعرية وحسن الصنعة غير المتكلفة، إلى جانب الارتجالِ والطبع. يقول السير سيد عن أسلوب شبلى: «إنه صاف وعباراته مطبوعة وهو مثار لحسد الدهلويين». (٢) والحق أن شبلى اختار أسلوبا تجتمع فيه فى -وقت واحد- سخرية آزاد وتفكهه وتعبيرات نذير أحمد اليومية الشائعة وبساطة حالى.

ولعل أهم سمة تميز أسلوب شبلى هى قوة البيان والحماس وهى نتيجة للإحساس بالكمال والمحصلة للشعور بالعظمة. ويؤكد الشيخ محمد اكرام فى كتابه «شبلى نامه» أن احساسه العرقى كان أكبر المصادر والينابيع التى يصدع عنها إحساسه القوى بالفخر والتسامى وهو نفس مايتمتع به الراجپوت من سرعة الإحساس والغيرة والحمية وقوة الفخر، وأن اعتماده على النفس والثقة فى فنه لهما أثر كبير فى تكوين أسلوبه بل إن الغرور والاعتزاز بالنفس الذين نجدهما عند مير وغالب لايختلفان كثيرا عما لدى شبلى الذى يخاطب الناس من عل.

إن الاعتداد بالنفس والتفاخر فى لغة خطاب شبلى ظاهرة ملموسة فى كل مؤلفات شبلى، فهو يختار طريقة الخطيب فى موضع والمدرس فى آخر والواعظ فى ثالث وأحيانا الأسلوب الفلسفى ويبدو من مؤلفاته أنه كان لديه يقين تام بجهل الناس فى عصره وكان متأكدا أن هدفه ومهمته أسمى وأرفع مكانة من الآخرين ولهذا السبب يبدو فى نثره قوة وصلابة.

ونتيجة لأسلوب شبلى الوعظى التدريسى فإنه يستعمل هذه الكلمات مرارا: «ديكهو» أى أنظر، «غوركرو» أى فكر، «تم نى ديكها هوكا» أى لعلك رايت، «تم كهوكى» أى ستقولوا، «خود بى سوجو» امعن النظر، «يه بات يادرهى» أى تذكر هذا الأمر. ويبدو من استعمال هذه الكلمات أن شبلى لايعتبر الذى أمامه شريكا فى الحوار معه بل يتعامل معه بفوقية(٣)

---

(١) محمد واصل عثمانى: شبلى اديبون كى نظر مين: ١٢٧.

(٢) شبلى: المامون: ١ -٣. (٣) شبلى: موازنة انيس ودبير: ٦١

والمعانى الداخلية للعبارات منظمة كما أن النظام المنطقى الظاهرى كامل ومتناغم ولهذا السبب نجد قوة فى الفقرات وتنسيقا فى الجمل وترابط الأفكار بحيث تبدو فى النهاية نموذجا جيدا، فهو يميل إلى التعبيرات الفورية والأحداث المفاجئة ويضحى بالحقائق فى سبيل إثارة الحماس وزيادة المتعة.

وكانت الاستعارة وسيلة من وسائل الإيجاز عند شبلى إلا أنه كان مغرما بمعانيها وصورها ومنها المبالغة وسخرية الحياة ونجد فيها كذلك الإفراط والشدة وتنعدم التشبيهات فى أسلوب شبلى- وإن وجدت فإنها مقصورة على كتاباته الأولية- ويقل فى أسلوبه التشبيهات المركبة ومراعاة النظير مثل آزاد كما لايستعمل التشبيهات فى عباراته مثل حالى بل يفضل الاستعارة القوية والكتابة اللطيفة ويناى بكل الطرق عن التفصيل والإسهاب ويختار الإيجاز والإطناب.

وشبلى يستخدم فى كتاباته التعبيرات الأدبية الشائعة بإيجاز وكانت التراكيب الفارسية المتنوعة والتعبيرات الأردية المناسبة تسيران معا فى خط واحد فى تقاريره فكان يربط بينهما بإتقان شديد وتعبيراته تجعل بيانه مأنوسا فتبدو عباراته براقة.

ويتميز نثر شبلى بميزة خاصة وهى « الشاعرية » فهناك لون خاص للعناصر الشاعرية فى نثر محمد حسين آزاد أيضاً لكن الأمر الخاص فى شاعرية نثر شبلى هو زيادة العناصر الخاصة بالغزل فنجد فيها كثيرا من الرمز والإيجاز والإجمال فتكون بمثابة ترجمان للمعانى العاطفية الشديدة، وتراكيب شبلى غالبا مأخوذة من الشعر الفارسى وخصوصا من شعر شعراء الهند فنجد بها الشراب والشباب والربيع والوردة والسُكر والذهول عن الذات والتنوع والتموج فتبدو حلاوة الألفاظ وجمال المعانى من عالم الشعر فظهر نثره منظم ومتناغم وفيه موسيقية(١)

ويبدو نثر شبلى بسيطا- ظاهريا- إلا أنه يتميز بحسن الصنعة غير المتكلفة ومن هنا ينشأ نوع خاص من الجو الصوتى تلقائيا تبعا لما يقتضية طبيعة الموضوع وأهدافه فمثلا يظهر نوع خاص من الموسيقى التلقائية فى كتابات شبلى فى أثناء عرضه للأفكار الحماسية فتمتلأ العبارة كلها بعاطفة مستساغة بسبب تكرار الحروف والكلمات، ويظهر هذا الأسلوب فى كل مكان بلا تصنع أو تكلف مطلقا وتأتى الأصوات فى كتابات شبلى منفصلة بعضها عن بعض فيخلق الحماس فى العابرات. لقد كان شبلى كاتبا حمل على عاتقه مسئولية تقديم قصة المفاخر القومية، ولهذا تتدافع لى ذاكرته جيوش

(١) سيد عبد الله: سر سيد أحمد خان اور انكى رفقاكى نثر كا فكرى اورفنى جائزه: ١٦٣- ١٦٥.

الكلمات والحروف لتصوير الماضى العظيم للإسلام.

ويوصف أسلوب شبلى بأنه غير متصنع ومرتجل لكن هذا الارتجال وعدم التصنع يختلف عن الارتجال فى كتابات السير سيد أحمد خان وحالى لأن السير سيد لايهتم بتنقيح العبارات وأسلوبه طبيعى وغير متكلف لكن ليس فيه ترويض للألفاظ والعبارات وبعض العبارات متخلفة من الناحية العلمية وبعضها من حيث الصوت مكروه وغير مستساغ كما أن بعض الجمل يمتاز بالطول غير المناسب وبعضها الآخر معقد ومتشابك وأسلوب حالى أكثر بساطة وفصاحة من أسلوب السير سيد.

*** السخرية والتعريض:**

من المسلم به أن عصر شبلى قد انتشر فيه جو البحث والمناظرة والأدب الساخر حيث ازدهرت فى هذا العصر الميول والنزعات الساخرة وكان شبلى وأكبر إله آبادى من أكبر الممثلين لهذه النزعات. وكان شبلى- الذى يهمنا هنا- من أشد المناظرين حماسا وقد خلق اعتداده بالنفس قوة هائلة فى إظهار سخريته وكان يقدم شخصياته الساخرة فى شكل حواشى لاتزيد عن نصف جملة لكنها مؤثرة ولها فعل السحر، وأحيانا يقدم تلميحاته الساخرة فى شكل مصرع من الشعر الفارسى أو الأردى. (١)

وقد زادت الميول الساخرة عند شبلى دقة وعمقا مع مرور الأيام وقد وجه شبلى لسعاته الساخرة إلى الذين تلقوا التعليم الإنجليزى وقصيرى النظر من العلماء ومؤرخى أوروبا المتعصبين والساسة، وكان مؤرخو أوروبا المتعصبون أكثر الذين أمطرهم شبلى بوابل من سهام سخريته ومن بعدهم ذوو الثقافة الإنجليزية الذين يفخرون بالعبودية والتبعية الفكرية لأوربا، كما هاجم شبلى السير سيد أحمد خان وسخر منه باعتباره رائداً لأصحاب الثقافة الإنجليزية الحديثة ومن الذين يميلون أكثر إلى السياسة والحضارة الأوروبية. وتقل الفكاهة بشكل عام فى كتابات شبلى بينما تكثر السخرية والنقد اللاذع فى الأمثلة التى يقدمها حيث يتوفر الدهاء فى الكلمات، ويوجد فى المأمون وسيرة النعمان عدد كبير من الطرُف. ويتجلى الأسلوب الساخر لشبلى فى كتابات رفاق شبلى مثل: سيد سليمان الندوى ومولانا حبيب الرحمن شروانى ومولانا عبد الماجد دريا آبادى ومولانا أبى الكلام آزاد الذين قلدوا أستاذهم الكبير فى السخرية واتبعوا الأسلوب الخاص بمدرسة شبلى، صحيح أن سخرية شبلى لاذعة وحادة جدا إلا أن كتاباته فيها تنظيم منطقى فأصبحت السخرية وسيلة مثلى للحيوية والحماس والقوة فى

---

(١) المرجع السابق: ١٦٦- ١٦٩

نثره فُيمتع بها الصديق وغير الصديق كلاهما على قدم المساواة.

إننا نجد فى كتابات شبلى الصور الأربع للأسلوب أى: الوصفى، والاستدلالى، والبيانى، والتوضيحى. إلا أن أهمية شبلى تبدو لنا من زاويتين هما: شبلى الفيلسوف وشبلى المؤرخ حيث ساهمت المعقولات بشكل واضح فى تشكيل أسلوبه فاتسمت بالوقار العلمى وتعد كتبه: الكلام وعلم الكلام والغزالى من أفضل نماذج النثر الفلسفى الأردى ولغة الخطاب فيها علمية، ورغم ذلك فإن بها وضوحا وبساطة وصراحة وسلاسة ويبدو فيها الاستدلال المنطقى.

وقد تفوق شبلى فى وصف المناظر العامة والصور فقدم لنا صورا فنية فى «المأمون» و«الفاروق»، كما أن الحوار فى مؤلفات شبلى فى موضعه تماما ولايخل بالمعنى العام للصورة التى يقدمها وعن طريق الحوار يقدم صورة ناجحة للجوانب النفسية والعاطفية وتتضح فيها أيضاً حركات وسكنات الشخصيات كما أن بعض الحوارات فى كتاب «المأمون» نماذج جيدة للأسلوب المسرحى. ومن عيوب أسلوب شبلى تداخل العنصر الشخصى فى كتاباته ووجود سيل من المبالغات فى وصفه التاريخى(١).

وكانت دراسة شبلى للقانون وعمله فى المحاماة فترة من الوقت قد منحا أسلوبه نوعا من الحجية والمجادلة لكتابة مذكرات الدفاع.

وتميز أسلوب شبلى فى اللغة العربية بالسلاسة وعدم التأثر بالأسلوب الهندى فى الكتابة ومايتسم به من إغراق فى الكنايات والسجع والمحسنات اللفظية. يقول عبد الرازق: «لقد اعترف علماء مصر والشام بأسلوبه فى الكتابة العربية بينما كان أسلوبه بالفارسية كأهل اللغة».(٢)

يقول بابو سكسينه: «كان شبلى يفضل دائماً البساطة والوضوح فى الكتابة ولم يكن يميل إلى التعقيد وفى أسلوبه بريق وقوة ويقل فى أسلوبه وعباراته التكلف والبديع»(٣).

لقد حصل شبلى على مكانة رفيعة فى الأدب الأردى لأعماله الأدبية والعلمية وكذلك لأسلوبه المتميز الذى سيخلد فى تاريخ اللغة الأردية.

---

(١) سيد عبد الله: سر سيد أحمد خان اورانكى رفقا كى نثر كافكرى اورفنى جائزه: ١٦٩ -١٧٢

(٢) عبد الرازق: يادايام: ٦٤.

(٣) رام بابو سكسينة: تاريخ ادب ادو: ٤٧٤- ٤٧٥.

obeikandl.com